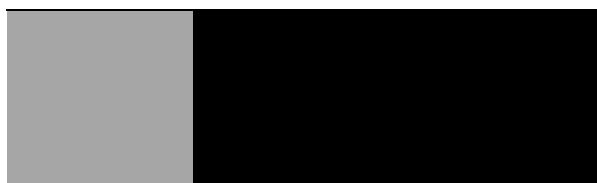


التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء الرابع



التفسير التحليلي للقرآن الكريم

الجزء الرابع

الأستاذ الدكتور
عبّاس عليّ الفحام

الطبعة الأولى / ٢٠٢٣م



مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع - نشر - توزيع



مؤسسة دار الصادق الثقافية (طبع - نشر - توزيع)

التفسير التحليلي للقرآن الكريم
الجزء الرابع

اسم الكتاب:

الأستاذ الدكتور عباس عبي الفحام

اسم المؤلف:

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق في بغداد: ١٢٥٠ لسنة ٢٠٢٣ م

I.S.B.N.978-9922-702-09-4

ردمك

الأولى / ٢٠٢٣ م

رقم الطبعة:

٢٤ × ١٧

القطع الطباعي

٣٦٧

عدد الصفحات:

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف والناشر

تحذير

لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي من المؤلف والناشر.

This book or any part of it may not be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form without the written permission of the author and publisher.

العراق - بابل - الحلة - شارع ابو القاسم - مقابل جامع ابن النما

هاتف: 009647801233129

E-mail: alssadiq@yahoo.com


مؤسسة دار الصادق الثقافية
طبع - نشر - توزيع

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ

وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ

الحشر: ٢١

صَدَقَ اللَّهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ

تتمة سورة المائدة

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

قوله (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله) استئناف ابتدائي مؤكد بالقصر لبيان حكم حد المفسدين، ومحاربة الله مجاز مرسل، لأن كل مخالفة لشريعة الله التي نزلت على أنبيائه سبب للحرب مع الله، والعطف بلفظ الرسول لتهويل أمر من خالفه وعاداه، فالحكم واحد.

قوله (ويسعون في الأرض فسادا) (واو) العطف لبيان شدة الجرم، وفعل السعي دال على شدة الاهتمام، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الأرض للعموم، ولفظ الفساد منصوب على الحال، ويراد به مطلق العدوان، ويبدو من الجزاء الشديد أن المراد به شدة الإفساد في الأرض لا مطلق المحاربة، كترويع الناس وقطع الطريق عليهم والإخلال بأمنهم بشدة إخافتهم.

قوله (أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلف أو ينفوا من الأرض) جملة المقصور عليه، خبر الابتداء، والتضعيف للأفعال يراد به الشدة والزيادة، ودلالة (أو) تفيد التردد المقابل للجمع، وأما الترتيب أو

التخيير بين أطراف التردد فتبينها السنة الشريفة وروايات أهل البيت عليهم السلام، فالحدود الأربعة (القتل والصلب، والقطع، والنفي) بحسب درجات الإفساد كمن شهر سيفاً فقتل النفس وأخذ المال أو أخذ المال فقط، أو قتل فقط، أو شهر سيفاً فقط، ومعنى (من خلاف) أي: يكون القطع من اليد والرجل من جانب مخالفاً الأخرى، كاليد اليمنى والرجل اليسرى، والنفي من الأرض بمعنى الطرد من بلد إلى آخر.

قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٤)

قوله (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) الاستثناء لإخراج التائبين مما ذكر من الجزاء، واشترط فيه التوبة الطوعية لا القهرية بالقبض عليهم وقيام البينة على إجراء الحد.

قوله (فاعلموا أن الله غفور رحيم) الفاء فصيحة بمعنى: فإن تابوا فاعلموا أن الله غفور رحيم، وجملة الإخبار متضمنة معنى العفو عنهم برفع الحد عنهم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٥)

قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) خطاب استثنائي لتوجيه المؤمنين وتحذيرهم من التهاون في تقواه تعالى.

قوله (وابتغوا إليه الوسيلة) عطف على جملة الأمر بالتقوى، أمره بالتوسل إليه تعالى، والابتغاء شدة الطلب، أي: اجتهدوا أيها المؤمنون بطلب العلم والعمل الحقيقي الموصل للعبودية الحقة، إذن هي كناية عن تلك المعاني كلها.

قوله (وجاهدوا في سبيله) فعل الجهاد أصله من الجهد وهو بذل المشقة، وتستعمل لما يشق على النفس كبذل الإنفاق وبذل الأنفس، والظرف من الجار والمجرور علة للأمر، أي لأجل دينه، وسماه سبيلا لأنه الطريق الموصل إلى رضاه تعالى.

قوله (لعلكم تفلحون) جملة تعليل بمعنى: رجاء أن يكون ذلك سبيلا لظفركم بالثواب والجنة.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣٦)

قوله (إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا) قطع الكلام لتعليل أمر ابتغاء الوسيلة لئلا يكونوا مثل الكافرين، وجملة الافتراض ب (لو)

لبيان تهويل العقاب، واللام في (لهم) للملك، والمراد بـ (ما) لغير العاقل أي: ما ضمت الأرض من كنوز وجواهر، وتعريف الأرض للعموم، ونصب لفظ الجميع على الحال للتأكيد.

قوله (ومثله معه) ضمير الهاء في اللفظين عائد إلى (ما) أي: زيادة على ما معهم، ليكون لهم ضعفا ما في الأرض.

قوله (ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة) جملة تعليل لما تقدم، أي: للافتداء من عذاب النار. والهاء في (به) راجع إلى محصل ما في الأرض وزيادته، وحرف الجر (من) تبيينية، وإضافة لفظ العذاب إلى الظرف دون لفظ النار مجاز لأنها سبب فيه، وصورة الفدية من صور الدنيا يأتي استعمالها لتهويل العقاب بغية التأثير بإيصال الفكرة بعالم الحس.

قوله (ما تقبل منهم) جواب (لو)، أورد بمطلق النفي، لأن العالم يوم القيامة عالم الخلود للنار أو للجنة، وأفعالهم موصلة للنار ولا سبيل إلى الخروج منها بمال ولو ملكوا الأرض كلها، لأنه عذاب مقيم دائم.

قوله (ولهم عذاب أليم) إخبار بالوعيد، واللام في (لهم) للاستحقاق، والعذاب الأليم العذاب المستمر المؤلم.

قوله تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى (يريدون أن يخرجوا من النار) الإخبار من الغيب في تصوير حال الكافرين في العذاب يوم القيامة، وفعل الإرادة لرغبتهم وأمنيتهم بالتخلص من عذاب النار.

قوله (وما هم بخارجين منها) نفي مشدد لإمكان الخروج من النار، ف (ما) لمطلق النفي، أي: لا الآن ولا في أي زمن لأنه عذاب مقيم، والباء زائدة لتقوية النفي. والهاء في (منها) عائد إلى النار.

قوله (ولهم عذاب مقيم) الإخبار تقرير لما تقدم، وتقديم الظرف للتأكيد، ووصف العذاب بالمقيم مجاز لمكوثهم الدائم فيه.

قوله تعالى ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

قوله (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما) العطف لحكم على آخر، وارتفاع لفظ السارق على تقدير: فيما فرض عليكم حكم السارق والسارقة، والسارقة أخذ ما ليس له في خفاء، والإتيان بالتذكير قبل التأنيث لأن السرقة تكون في الرجال أكثر، بينما ابتدئ بالتأنيث في قوله تعالى (والزانية والزاني) لأن الغالب يكون ذلك في النساء، فضلا عن الاحتراز من فهم قصر الحكم على واحد منهما.

والفاء المقترن بفعل القطع للشرط المنوي في الكلام، والقطع كما قال الراغب: فصل الشيء مدركا بالبصر كالأجسام أو مدركا بالبصيرة كالأشياء المعقولة فمن ذلك قطع الأعضاء. انتهى.

والأيدي جمع يد وهي الجارحة المعروفة، وإيراد الجمع دون التثنية لإفادته القطع من يمين السارق والسارقة، لذلك جمع إذ ليس في الجسد إلا يمين واحدة، قال الفراء: وكل شيء موحد من خلق الإنسان، إذا ذكر مضافا إلى اثنين فصاعدا، جمع فليل: قد هشت رؤوسهما، وملأت ظهورهما وبطونهما ضربا، ومثله قوله (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) قال: وإنما اختير الجمع على التثنية، لأن أكثر ما يكون عليه الجوارح اثنان اثنان في الإنسان، كاليدين والرجلين، واثنان من اثنين جمع لذلك، يقال: قطعت أرجلها، وفقت عيونهما، فلما جرى الأكثر على هذا، ذهب بالواحد إذا أضيف إلى اثنين، مذهب الاثنين. انتهى.

ويبدو أنه من اطراد الجمع في الكلام في إضافة العضو إلى المثنى، حتى لو لم يكن من المزدوجات، كالظهر والرأس والقلب كما مر.

واختلف في كيفية القطع، وفي فقه أهل البيت عليهم السلام أن القطع يكون من أصول الأصابع، وتترك له الإبهام والكف، ويطلب التفصيل من مواردته الفقهية.

قوله (جزاء بما كسبا) نصب اللفظ على الحال أو المفعول لأجله، والجزاء الاستحقاق والمجازاة، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية زائدة، أي: بكسبهما.

قوله (نكالا من الله) حال ثانية أو مفعول لأجله ثان، ويراد به العقوبة الرادعة له ولغيره ليعتبر بها، وكونها صادرة من الله لبيان غضبه تعالى، وفي النكل قال الراغب: يقال نكل عن الشيء ضعف وعجز، ونكلته قيدته، والنكل قيد الدابة وحديدة اللجام لكونهما مانعين والجمع الأنكال، قال (إن لدينا أنكالا وجحيما) ونكلت به إذا فعلت به ما ينكل به غيره واسم ذلك الفعل نكال، قال (فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها) وقال (جزاء بما كسبا نكالا من الله). انتهى.

قوله تعالى ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِٔ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح) الفاء أداة لتفريع المعاني، وهو حكم من ندم وتاب من فعل السرقة والظلم وفعل الفعل الصالح.

قوله (فإن الله يتوب عليه) الفاء مقترن بفعل جواب الشرط، والإخبار بتوبة الله على العاصي بمعنى قبول توبته.

قوله (إن الله غفور رحيم) الفصل والابتداء بحرف النسخ مؤذن بالتعليل لما سبق، والإخبار بالجملة الإسمية المؤكدة لرسوخ المعنى وثباته، وفيه ترغيب للإقلاع عن فعل السرقة والظلم.

قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قوله (ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض) الاستفهام للتقرير، والخطاب لكل سامع، والكلام تعليل للعفو لمن تاب وأصلح، وذكر ملك الله للسماوات والأرض كونه تعالى المتصرف الوحيد فيها إن شاء يعفو وإن شاء يعاقب لحكمة يقتضيها.

قوله (يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء) تعذيبه وغفرانه تعالى لمن يشاء قضاءه على أساس المجازاة تحقيقاً للعدل الذي شاءته حكمته ولو شاء غير ذلك لفعل.

قوله (والله على كل شيء قدير) إخبار تقريرى لقوته وملكه سبحانه.

قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَامَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ

يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا
فَاخْذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴿٤٢﴾

تخلل جمع الآيات سياق واحد مرتبط بالأجزاء، ومضمونها يحكي عن طائفة من اليهود حكموا رسول الله ﷺ في بعض أحكام التوراة راجين الحكم بخلاف ما حكمت به التوراة اتباعا للهوى وفتنة للنبي، وذلك حين زنا منهم محصنان من أشرافهم فأراد أحبارهم تبديل حكم الرجم إلى الجلد فبعثوا من يسأل النبي عن ذلك فحكم بالرجم كما في التوراة فتولوا معرضين وباء المنافقون بالخزي.

قوله (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر) خاطب النبي بصفته ولم يخاطبه باسمه كما هي العادة في خطابات الأنبياء، ولم يرد في القرآن كله أن خوطب النبي باسمه تشريفا له من الله وتعظيما، إذ كانت الخطابات إما بصفة النبوة وهي الغالبة أو الرسالة نحو (يا أيها النبي، يا أيها الرسول)، أما التكنية عنه فقد كانت صفة الرسالة هي الغالبة، ونهي الله تعالى النبي ﷺ عن الحزن فيه إشعار بالحرص البالغ للنبي ﷺ على هداية الناس أيا كانوا فيؤلمه شفقة عليهم نفاق المنافقين ويؤذيه تدليس المدلسين من أهل الكتاب، لهذا تأتي الخطابات القرآنية لتخفف عنه وتذكره

أن مهمته التبليغ أما الهداية فهي من الله وأن ليس عليه هداهم، وألا يحزن ويلوم نفسه نحو قوله تعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم) [الكهف ٦]، والمسارعون في الكفر مجاز للمخفين إليه المتعجلين إلى جدد آيات الله قبل سماعها، وإظهار أشكال الكفر في كل مناسبة وغير مناسبة، وتعدية الفعل بالظرفية (في) لتضمنه معنى التوغل، والإتيان باسم الموصول وصلته لتعليل النهي.

قوله (من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) تفيد (من) التبيين والتفصيل، والكلام كناية عن المنافقين، وهم أولى الفئتين للمسارعين في الكفر، جيء بصفتهم من دون تسميتهم لإخزائهم، إذ افتضحوا بالدليل والبرهان، فهم مؤمنون ظاهراً على اللسان لم يمس الإيمان قلوبهم، فهي كناية أبلغ من التصريح. وإسناد الإيمان إلى قلوبهم مجاز عقلي على طريقة البيان العربي يراد به نفوسهم ومدركاتهم.

قوله (ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) العطف على جملة المسارعة، وهم الفئة الأخرى التي لا تستحق اهتمام النبي ﷺ وحزبه فئة اليهود المحرفين، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان تفصيل علة النهي، ومعنى (هادوا) تسمية أنفسهم باليهودية بدلاً من الحنيفية بزعم تمسكهم بتعاليم التوراة.

وفي الكلام تدرج من العام إلى الخاص أو فيه تفرع وتقسيم على الأصل، وارتفع (سماعون) لأنه خبر لـ (من الذين)، أو مبتدأ بتقدير: منهم فريق

سماعون، والصيغة مبالغة في كثرة سماعهم الكذب من علمائهم، واستعدادهم النفسي لتقبل الكذب حسدا وبغيا، لذلك تكررت مرتين، فالأولى تعني إصغاءهم للكذب وهم يعلمون أنه كذب، والثانية تفيد تقبلهم له للعمل به من علمائهم الذين لم يصلوا النبي ﷺ في قصة الحكم، بدلالة اللام المتعلقة بـ (سماعون) فـ: سمع له بمعنى: قبل، والقوم الآخرون هم أبحارهم الذين أرسلوهم إلى النبي ﷺ للاستفتاء، و(لم يأتوك) موقعها الصفة.

قوله (يحرّفون الكلم من بعد مواضعه) جملة التحريف موقعها الصفة لـ (قوم آخرين)، وتركز تفصيل الكلام عليهم لأنهم الأصل في مضمون القصة، وهم المعروفون بصورة تحريف الكلام عن موضعه في التوراة، والتحريف أشكاله كثيرة أغلبه يتعلق بالنبي ﷺ مثل كتمان الحق، وكتمان البشارة بالنبي، وتحريف الوقائع المتصلة بآخر الزمان أي زمان الرسالة المحمدية ونحوها، والمقصد هنا بتحريف الكلم: أي: لم يغيروا ما في التوراة من حكم الرجم بحق الزاني المحصن من أشرفهم، وإنما بعثوا إلى النبي من يريد مساءلته في ذلك للوقوع في فخ التحريف فيصيبوا هدفين للنيل من الرسالة: اليهود ليكذبوا أصل الرسالة، والمنافقون ليفتنوا النبي بها ويشيعوها بين الناس.

قوله (يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه) جملة فعل القول موقعها صفة ثانية لـ (قوم آخرين) وهم أبحار اليهود يرشدون قومهم المستفتين النبي ﷺ، وفعل الإيتاء بمعنى التبيان والإفادة، و(هذا) للإشارة إلى الكلم المحرف، وأمر الأخذ التمسك به.

قوله (وإن لم تؤتوه فاحذروا) الشرط لاستقصاء حالة نفي الإفادة بما يهون، والمعنى: إن كان الحكم من النبي ﷺ موافقا للهوى فخذوا به، وإن لم يكن كذلك فأعرضوا عنه.

قوله (ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا) في الشرط إشعار بحفظ الله للنبي ﷺ وطمأنة لنفسه، فهو مسدد من الوقوع في فتن اليهود وغيرهم، ولو أراد الله غير ذلك فلا أحد يملك تخليصه منها، وإرادة الله الفتنة بالعبد مجاز بسبب إعطاء الحجة من العبد على نفسه - وحاشا النبي ذلك - لذلك هذا الخطاب فيه إشعار تحذير للأمة، وتهديد للذين أرادوا الإيقاع بالنبي ﷺ من اليهود والمنافقين.

قوله (أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم) الفصل للابتداء، ولفظ الإشارة لتمييزهم، وجمع صفاتهم بلفظ واحد، ونفي إرادة الله مجاز في سخطه وغضبه، وجملة التطهير موقعها النصب، والفعل استعارة مكنية عن القذارة المترسخة في قلوبهم من تكرار فسقهم مرة بعد مرة.

قوله (لهم في الدنيا خزي) تقديم المتعلق (في الدنيا) للاهتمام، والخزي الذل، وهو عقابهم في العاجلة.

قوله (ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهو عقابهم الآخروي، ووصف العذاب بالعظيم لشدته، والإخبار في غاية الوعيد والتهديد.

قوله تعالى ﴿ سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾



قوله (سماعون للكذب) أي: هم سماعون للكذب، وهم القوم المبعوثون من علماء اليهود، مبالغة لتكثير معنى سماعهم للكذب واستعدادهم لقبول العمل به كما تقدم بحسب التوزيع.

قوله (أكالون للسحت) وصف لعلماء اليهود المعبر عنهم بلفظ القوم على زنة ما سبقها مبالغة في أكلهم المال الحرام، لأنهم يقبضون الرشى مقابل تغيير أحكام الله في التوراة، وقد عرفوا بذلك ومنها هذه الواقعة التي اجتهدوا في تحريفها ممالأة لأشرافهم على حساب الحق، والتعبير بأسلوب الفصل بين الجملتين لكمال الاتصال بينهما، فالجملة الثانية تؤكد معنوي لمعنى الجملة الأولى، لأن أكل السحت وهو الرشوة هنا مبني على كذبهم وتحريفهم، والسحت أصله القشر الذي يستأصل، وهو مصدر بمعنى المسحوت، استعمل لما يحظر كأنه يسحت دينه ومروءته، كما ذكر الراغب. أه.

قوله (فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم) الفاء للتفريع على الإخبار، والكلام من الله تخيير لنبيه بين الحكم بينهم أو تركهم وتجاهلهم.

قوله (وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئاً) وفرع على خيار تركهم الطمأنة لنفسه بنفي الضرر عنه، لأنه ﷺ استشعر خشية الفتنة من ترك الحكم فيهم.

قوله (وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط) وفرع على خيار الأخذ بالحكم بينهم شرط أن يكون حكمه بالعدل على وفق شريعة الإسلام، لأنها ناسخة للشرائع كلها بما فيها التوراة.

قوله (إن الله يحب المقسطين) الإخبار تعليل وتأكيد لخيار الحكم المشروط بشروط الله وهو العدل، وحب الله مجاز في رضاه سبحانه، وفي الكلام التفات من الخطاب إلى الغيبة للتعظيم.

قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾

قوله (وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك) الاستفهام دلالة الإنكار والتعجب من حالهم، إذ وقعوا في تناقض عجيب من اضطرابهم في هذه الواقعة التي أربكتهم، فهم أصلاً لا يعترفون بنبوذة محمد ﷺ ويعدون كتابهم ونبيهم خاتمة الأديان والأنبياء، واللجوء إلى النبي يعني الاعتراف به وبنبوته ضمناً، فكيف يحكمون النبي فيما لا يعتقدون به، بل كيف يتولون عن الحكم في التوراة أصلاً وهم يدعون

اكتمال الشريعة في كتابهم؟ هذا هو التخبط والضلال بعينه، والتحكيم الفصل بين المتنازعين المختلفين.

قوله (وما أولئك بالمؤمنين) نفي مؤكد لإيمانهم بكتابهم أصلاً، الذين يدعون الاعتزاز به، وفي الآية إشارة إلى أن القرآن الكريم صدق حكم الله في التوراة بهذا الشأن وأنه لم يمسه التحريف، على أن أكثره كذبه القرآن لتحريفه وتغييره.

قوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوُا اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾

قوله (إنا أنزلنا التوراة) الآية تعليل لما سبق، وردّ على المحرفين من علماء اليهود وأحبارهم، فالشرائع التي جاءت في التوراة وغيرها من الكتب السماوية ليهتدوا بها في تنظيم شؤونهم بالرجوع إليها فيما يختلفون فيه وليس ليحرفوها ويشتروا بها ثمناً قليلاً.

قوله (فيها هدى ونور) الجملة موقعها الحال، والهدى والنور استعارة للشرائع والأحكام في التوراة بجامع الوضوح في الرؤية، والتذكير للتعظيم كونها نازلة من الله تعالى قبل أن تمسها يد التحريف.

قوله (يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار) لا تخلو دلالة حضور فعل الحكم من الإشارة إلى قضاء النبي ﷺ بينهم في قضية رجم المحسن - موضع شاهد الآيات - فشرعة الله واحدة وإن جاء القرآن ناسخا لكثير من أحكام التوراة بحسب حكمة الله لما يحتاجه عباده، واللام في (للذين هادوا) للتعليل بمعنى: لأجل.

ووصف النبيين بالإسلام من التسليم لأن أصل الأديان هو الإسلام الذي هو دين الله، ويدخل في لفظ النبيين نبينا لأن حكمه موافق لما في حكم التوراة ولا يعني ذلك تعبد به بشرعية التوراة بل يراد به تصديق صحة ما في التوراة لتنبيه اليهود على صحة نبوة النبي ﷺ مع أنه لم يقرأ كتابهم.

قوله (والربانيون والأحبار) العطف بمعنى: ويحكم بالتوراة العلماء الربانيون الذين يعلمون الناس بعلومهم ويربونهم بتربيتهم، وكذلك الأحبار وهم خاصة العلماء وخبرائهم عملوا على حفظ ما جاء في التوراة من أحكام وهم شهداء على صحته وعلى من حرف فيه، والربانيون العلماء الذين يربون العلم، أو يربون الناس، ذكر في المفردات: وقيل هو منسوب إلى الرب أي الله تعالى فالرباني كقولهم إلهي، وزيادة النون فيه كزيادته في

قولهم: لحياني وجسماني، قال علي رضي الله عنه: أنا رباني هذه الأمة، والجمع ربانيون. انتهى.

والحبر أصله الحسن، قال الراغب: والحبر العالم وجمعه أحبار لما يبقى من أثر علومهم في قلوب الناس ومن آثار أفعالهم الحسنة المقتدى بها، وقال: وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه بقوله: العلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة. انتهى.

قوله (بما است حفظوا من كتاب الله) الباء للملابسة متعلقة بفعل الحكم، والاستحفاظ مبالغة في الحفظ استعارة لاستئمان الله لهم علم التوراة والعمل به وعدم تحريفه، والواو ضمير نائب الفاعل عائد إلى الربانيين والأحبار كونهم ورثة الأنبياء، وكلهم الله بحفظ كتابه من أي تغيير أو تحريف، وحرف الجر (من) للتبيين، وإظهار (كتاب الله) بدلا من الإضمار تشريف للتوراة.

قوله (وكانوا عليه شهداء) أي: أحبارهم شهداء على صحة ما في التوراة وأنه لم تغير أحكامه ولم تبدل ألفاظه.

قوله (فلا تخشوا الناس واخشون) تفریع على جملة الشهادة، بالنهي عن الخوف من الناس في قول الحق والالتزام بخشية الله لأنه الأحق بالخشية فهو خالقهم ومالكهم.

قوله (ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا) العطف لأن النهي من جملة التفریع الثاني، وفعل الاشتراء مجاز من البيع والقبض، والباء في (بآياتي)

للعوض، ونسبة الآيات إلى ياء الله لتعظيمها وتهويل الاجترار على تحريف أحكام الله لأجل الثمن القليل من حطام الدنيا، والصورة تعريض وتلميح لقبولهم الرشى مقابل تبديل آيات الله وقد ترددت فيهم كثيرا في القرآن وثبتها عليهم.

قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) الكلام متضمن التهديد والوعيد للمبدلين لأحكام الله المحرفين لكتابه، أثبت لهم الكفر وشدده عليهم بقصرين بضمير الفصل وأل التعريف.

قوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

قوله (وكتبنا عليهم فيها) العطف لحكم على آخر، وهو بيان حدود القصاص من القتل والقطع والجرح، وفعل الكتابة مجاز من التوثيق للحكم والقضاء بمعنى فرضنا، لذلك عدي بـ (على) الدال على التمكن، وضمير جمع الغائبين عائد إلى اليهود، و(في) للظرفية الحقيقية والهاء راجع إلى التوراة.

قوله (أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسِّن بالسِّن) جملة تفسير الكتابة، والنفس كناية عن إزهاق الروح بالقتل مقابل

القتل، فالباء للعوض، فالعين تفقاً بالعين، والأنف يجدع بالأنف، والأذن تصلم بالأذن، والسن تقلع بالسن.

قوله (والجروح قصاص) أي: وأن الجروح ذوات قصاص، وهو من عطف الجمل، والحكم عام في كل ما يمكن أن يقتص فيه، ومنهم من قرأ اللفظ مرفوعاً على الاستئناف لابتداء حكم عام، وفيها وجوه إعرابية مختلفة ذكرها المفسرون لمن يرغب بالرجوع.

قوله (فمن تصدق به فهو كفارة له) الفاء لتفريع حكم آخر على الإخبار، والتصدق كناية عن التنازل عن القصاص، ويكون عفوه كفارة له عن ذنوبه، وفاعل فعل التصديق عائد إلى أولياء القصاص كولي المقتول أو نفس المجني عليه أو المجروح، والهاء في (به) عائد إلى القصاص، والهاء في (له) تحتل العود إلى المتصدق كما تقدم، أو إلى الجاني، والكفر أصله الستر، قال الراغب: والكفارة ما يغطي الإثم ومنه كفارة اليمين نحو قوله (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) [المائدة ٨٩]، وكذلك كفارة غيره من الآثام ككفارة القتل والظهار قال (فكفارته إطعام عشرة مساكين) [المائدة ١٠٦]، والتكفير ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل. انتهى.

قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) العطف على (فمن تصدق)، والكلام ما زال في خصوص الأحكام المفروضة على اليهود في التوراة، لذلك المراد بقوله (بما أنزل الله) أي بما أنزل الله في التوراة،

وإحضارهم بلفظ الإشارة لتمييزهم حتى كأنهم يُشاهدون، ووصفهم بالظالمين لظلمهم أنفسهم بتعريضها لعقاب الله.

قوله تعالى ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾

قوله (وقفينا على آثارهم) الواو لعطف جملة على أخرى، وفعل التقفية من القفو وهو المضي خلف قفا الشيء، وهو استعارة مكنية من الاتباع، والمراد اتباع عيسى نفس سبيل الأنبياء في الدعوة إلى التوحيد والتسليم لله، و(على) مجاز للتمكن والاستعلاء، والآثار ما يخلف من أثر العمل والضمير فيه عائد إلى النبيين.

قوله (بعيسى بن مريم) الباء للتعدية متعلق بفعل التقفية المضعف الذي يطلب مفعولين، والتصريح بذكر الأم إشارة إلى بطلان من ادعى أنه ابن الله.

قوله (مصدقاً لما بين يديه من التوراة) انتصب لفظ التصديق على الحال، والمعنى: مقرراً مؤيداً لما تقدمه من كتاب التوراة، وكل ما هو أمامك فهو بين يديك، سابقك ومتقدم عليك، والهاء في (يديه) عائد إلى عيسى، وجملة الحال دالة على نفي الفرق بين موسى وعيسى، وأنهما يستقيان من منبع إلهي واحد.

قوله (وآتيناه الإنجيل) أي: وأعطينا عيسى الكتاب المسمى بالإنجيل، وإعطائه يكون بتبليغه إياه بالوحي، تأييدا وضمانا للرجوع إلى الشريعة الواحدة الداعية إلى التوحيد، وقيل إن الإنجيل اسم للوحي الذي أوحى به إلى عيسى، أو إنه معرب من الآرامية بمعنى الخبر الطيب، أدخل عليه أل التعريف وكسر همزته جريا على أوزان اللسان العربي.

قوله (فيه هدى ونور) الجملة موقعها الصفة للإنجيل، ولفظ الهدى والنور استعارتان بالكناية عما ضمه الإنجيل من معارف وعلوم.

قوله (ومصدقا لما بين يديه من التوراة) النصب على العطف، وجملة التصديق ليست تكرارا بل من تصديق الإنجيل للتوراة للإشارة إلى تبعيته لشريعة التوراة، بينما التصديق الأول من تصديق عيسى للتوراة، والتصديق الإيمان.

قوله (وهدى وموعظة للمتقين) جمل العطف محلها النصب، وتكرار لفظ الهدى لكون الإنجيل يدعو إلى عناية خاصة بالتقوى في الدين، ويرى العلامة الطباطبائي: أن الهدى المذكور أولا غير الهدى الذي تفسيره الموعظة، فالهدى المذكور أولا هو نوع المعارف التي يحصل بها الاهتداء في باب الاعتقادات، وأما ما يهدى من المعارف إلى التقوى في الدين فهو الذي يراد بالهدى المذكور ثانيا. انتهى.

والموعظة استعارة للإنجيل للمبالغة في التذكير، وخُص المتقون بالموعظة لأنهم الأكثر انتفاعا منه.

قوله تعالى ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ﴿٤٧﴾

قوله (وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه) أي: وقلنا وليحكم، أمر مشدد من الله بالعمل في شريعة الإنجيل الناسخة لبعض أحكام التوراة، يشمل الناس جميعا يهودا ونصارى.

قوله (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون) الشرط لبيان جوابه وهو الحكم المؤكد بفسقهم في حال لم يحكموا بشريعة الإنجيل، ووصفهم بالفسق لخروجهم عن أصل الشريعة بالتشريك والتثليث.

والوعيد على الكفر والظلم والفسق لمن لم يحكم بما أنزل الله وإن كان سياقه في أهل الكتاب غير أنه غير مقتصر حكمه عليهم، فربما احتمل العموم على عادة القرآن.

قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق) العطف لجملة على أخرى، لذكره تمجيد التوراة والإنجيل، وفعل الإنزال مجاز في علوه تعالى، والخطاب في انتهاء غاية الإنزال موجه إلى النبي ﷺ، وتعريف الكتاب للعهد ويراد به القرآن العظيم، وجملة الجار والمجرور (بالحق) موقعها الحال، أي: في حال من الصدق من الله لا شك فيه ولا ريب، والباء للملابسة.

قوله (مصدقاً لما بين يديه من الكتاب) النصب على الحال من الكتاب، والتصديق الإقرار والتأييد للكتب السماوية السابقة المتقدمة على زمن نزول القرآن، لأصول الشرائع السابقة الثابتة في التوراة والإنجيل بما يناسب حال هذه الأمة فلا يناقضه ما نسخ منها أو زيد أو نقص بحسب حكمة الله في خلقه وترقيهم سلوكاً وفهماً، ولا يعني ذلك التصديق تصديق إبقاء، ولذلك أردف بما يدفع مثل هذا التوهم فقال (ومهيماً).

قوله (ومهيماً عليه) النصب لأنه عطف على الحال، والهيمنة العلو والإشراف والقدرة، استعارة لنسخ شريعة القرآن لجميع شرائع الكتب السابقة، و(على) مجاز للتمكن، والهاء عائد إلى جنس الكتاب، وهي وإن كانت متممة لحال التصديق إلا أنها تشير إلى سلطة القرآن في التبديل والتكميل والنسخ لجميع الكتب السماوية السابقة، وهي سلطة إلهية نابعة من معرفة حقة لسيرورة الأزمان وتطور الإنسان وتبدل الحياة في زمن النبوة وإلى يوم القيامة، فقد أريد للقرآن أن يكون خاتمة الكتب السماوية المستوعبة للأزمان اللاحقة، تواكب حركة الإنسان وتطوره، ولا تتخلف عنه في أي شكل من أشكال تعقيد الحياة.

قوله (فاحكم بينهم بما أنزل الله) الفاء للتفريع، والأمر بالحكم للنبي ﷺ بين اليهود المستفتين والناس جميعا، مشروطا أن يكون بما أنزل الله في القرآن من أحكام قاطعة.

قوله (ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق) النهي عن اتباع أهواء اليهود والمنافقين استعارة مكنية عن الميل والانحياز عن أحكام القرآن الحقة الثابتة التي لا تقبل التبديل، وتعدية فعل الاتباع بـ (عن) لتضمنه معنى الميل والانحياز، والنهي خوطب به النبي ﷺ والمراد به الحكام جميعهم، و(من) ابتدائية.

قوله (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) أي: لكل أمة من الأمم الثلاثة أمة موسى، وأمة عيسى، وأمة محمد شرع لها كتابا وأحكاما، شبه الشريعة السماوية بالطريق الواضح أو بشريعة الماء بجامع الوضوح والظهور في كل منهما ثم حذف المشبه على سبيل الاستعارة التصريحية، أي للتوراة شريعة وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة.

قوله (ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة) الأداة (لو) افتراضية لبيان كمال قدرة الله تعالى، أي: لو اقتضت مشيئة الله تعالى أن يكون الناس كلهم على ملة واحدة في دعوة جميع الأنبياء، لا تتبدل منها شريعة ولا تنسخ لفعل ذلك.

قوله (ولكن ليلوكم في ما آتاكم) الاستدراك على الافتراض للإتيان بجملة التعليل لها، وهي حكمته تعالى في اختبار عباده فيما كلفهم فيه من العبادات.

قوله (فاستبقوا الخيرات) جملة تفریع على التعليل، واستباق الخيرات استعارة بالكناية للمبالغة في المسارعة إلى عمل الخير والمبادرة إليه.

قوله (إلى الله مرجعكم جميعا) الفصل لأنه تعليل لأمر الاستباق، وهو الإخبار بأن معادهم جميعا إليه تعالى للحساب والمجازاة، وتقديم الظرف للقصر بأنه إليه وحده مرجع الخلق الذي أكده بالحال (جميعا).

قوله (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الفاء للتفريع، والإنباء الإخبار بالخبر العظيم، والاختلاف تفريق الرأي الموجب للنزاع، والكلام متضمن الوعيد والتهديد، وفي الآية التفات من ضمير التكلم في فعل الإنزال إلى الغيبة في نهايتها ويراد به التعظيم.

قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾

قوله (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم) العطف من باب التفصيل بعد الإجمال، لذلك الأمر بالحكم بالرجم بحسب ما أنزل فيه بشأن

قضية اليهود الواردة في الآيات، وتكرار الأمرين لفعل الحكم لاختلاف
مواردهما، فالآية بمنزلة البيان لبعض ما تتضمنه الآية السابقة من المعاني
المفتقرة إلى البيان، وضمير الغائبين في (أهواءهم) عائد إلى اليهود
بالرجوع إلى القصة موضع الآيات.

قوله (واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك) أي: واحذر اليهود
من فتنهم بتكذيب حكمك بتكذيب وجوده في التوراة، وذلك لما عرفوا به
من تبديل كلمات الله وتزويرها.

قوله (فإن تولوا فاعلم أن يصيبهم ببعض ذنوبهم) الجملة
مفرعة على أمر الحكم، أي: فإن لم يرضوا بحكمك فإنما يريد الله إصابتهم
ببعض إجرامهم، بمعنى يصيبهم كلهم، فذكر الخاص وأراد العام.

قوله (وإن كثيرا من الناس لفاسقون) إخبار يراد به تطيب نفس النبي ﷺ،
بأن أهل الإيمان قليلون وأهل الفسق كثيرون، وفي الكلام تعريض بالمبدلين
المحرفين من أهل الكتاب.

قوله تعالى ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ
يُوقِنُونَ ﴾

قوله (أفحكم الجاهلية يبغون) الكلام مفرع على ما سبق، والاستفهام
مجازي يفيد الإنكار والتوبيخ، وتقديم المفعول (أفحكم) للإشعار بالتنبيه إلى

تركيز النظر على إنكار مثل هذا الفعل، والمراد إنكار العمل بعمل الجاهلية إذ كانوا يوجبون الحكم على الضعيف من دون القوي.

قوله (ومن أحسن من الله حكما) الاستفهام للإنكار، أي: لا أحد أحسن حكما من الله، وبين اسم الاستفهام (من) وحرف الجر (من) جناس ناقص.

قوله (لقوم يوقنون) تعريض في كونهم مضطربين، لأن الموقن من أمره يبتغي العادل المحقق لحكم العدل فيما يختلف فيه.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) بعد ذكر الشرائع المختلفة للأمم وتبديل أهل الكتاب شريعة السماء بأهوائهم حذر الله تعالى في هذه الآيات المباركة المؤمنين من اتخاذهم أولياء تحذيرا شديدا إلى حد استبدالهم بمن يحبهم الله ويحبونه حفاظا على إقامة الدين.

ونهي المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى تكرر كثيرا في آيات الكتاب، لما في ذلك من تهديد لأصل وجود الإسلام، والموالاة استعارة لكل ما هو قريب من الاعتقاد والمكان والصحة والدين ويراد بها هنا ولاية القرب القلبي، واختيار التصريح باسم اليهود والنصارى دون الكناية المعتادة بأهل الكتاب للتحذير التفصيلي، ولأن في تعبير الكناية بأهل الكتاب ما يشعر في قربهم قربا يوجب إثارة المحبة فلا يناسب النهي عن اتخاذهم أولياء.

قوله (بعضهم أولياء بعض) أي اليهود والنصارى لأنهم مشتركون في تحريف الكلام وتغيير الأحكام ومحاربة النبي ﷺ، وفيه تعليل لما سبق، وتحذير لمن يهادنهم من المنافقين المدعين للإيمان فهؤلاء متحالفون رغم شقاقهم وعداوتهم لبعضهم إلا أنهم يجمع قلوبهم كرههم للنبي واتباعهم الهوى ولا نفع في قرب المنافقين منهم إذ لن ينصروهم على أنفسهم.

قوله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) تهديد وتحذير، و(من) اسم للشرط، وفعل التولية جزم لأنه فعل الشرط، والتولي الاتباع، و(من) تفيد التبعية، أي: من بعضكم. والخطاب للمؤمنين، والفاء في (فإنه) واقعة في جواب الشرط، و(من) في (منهم) تبيينية، والمعنى: من يتولهم يكن جزءا منهم يخرج من الإيمان ويصبح بدرجتهم في الكفر والعقيدة المشوهة.

قوله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) الفصل للتعليل لأن وليهم ظالم مثلهم والله لا يهدي القوم الظالمين، والإخبار دال على التحذير والوعيد الشديد، لأن فيه تعريضا بوسمهم بصفة الظلم لأنفسهم بخروجهم من الهداية، والإتيان بلفظ القوم لإفادة رسوخ لفظ الظلم فيهم، وفي الآية عدول من الخطاب إلى الغيبة بشأن المؤمنين يراد به تهويل الفعل.

قوله تعالى ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾

قوله (فترى الذين في قلوبهم مرض) الفاء للتفريع من جملة الموالاة، وفعل الرؤية للعلم، والخطاب لكل سامع، ولفظ المرض استعارة لاعتلال القلب تطلق لكل شيء غير سوي كالكراهة والحقد والحسد والنفاق ومكانها في القلب على لغة العرب، لأنها موضعه الذي يبين به في السلوك، ويراد بهم المنافقون ومن في صفتهم ممن يحمل كدورة القلب ودرن الأهواء، فهذه صفتهم التي رسمها لهم القرآن كثيرا في آياته، وفائدة جملة الموصول لتبيان علة فعل المسارعة.

قوله (يسارعون فيهم) كناية عن موالاة اليهود بالمسارعة إليهم ومناصحتهم ومعاونتهم على المسلمين بالنميمة ونقل الأخبار وبث الكذب، وفعل المسارعة دال على كثرة المنافقين، وتعديته بـ (في) لتوغلهم في موالاتهم كأنهم منهم.

قوله (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) جملة فعل القول محلها الحال بمعنى: قائلين، والكلام كناية عن وقوع الدائرة وهي الداهية أو الانتصار أو الدولة لأعداء المسلمين على المسلمين، وهو عذر تخلق به المنافقون لموالاة اليهود والنصارى.

قوله (فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده) الفاء للتفريع، و(عسى) من أفعال المقاربة، والفتح كناية عن نصر الإسلام على الكفر، وقيل فتح مكة أو فتح قلاع اليهود، وإسناده إلى الله تشریف وتصديق لأحقية الرسالة المحمدية.

قوله (أو أمر من عنده) تفيد (أو) العطف، والترديد، ولفظ الأمر إبهام يراد به التعظيم بدلالة التأكيد بأنه من عند الله، وفيه دلائل النصر والإعزاز للمسلمين ما لا يعلمها إلا الله.

قوله (فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) الفاء للتعقيب الذكري، والواو في (يصبحوا) عائد إلى الذين في قلوبهم مرض، وهم المنافقون، وفعل الإسرار استعارة بالكناية عن النفاق المخبوء في سرائرهم، وانتصب (نادمين) على الحال، والندم الأسف على فوات الفرصة.

قوله تعالى ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللّٰهِ جَهْدَ ءَيْمَنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴾

قوله (ويقول الذين آمنوا) العطف لجملة على أخرى لبيان أحوال المنافقين ومراتبهم، والقائلون هم المؤمنون حقاً، يقولون لضعفاء الإيمان المحابين لأهل الكتاب.

قوله (أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم) الاستفهام للتقرير والتعجيب، ولفظ الإشارة لتمييز المشار إليهم وهم اليهود والنصارى، والتعجيب من حالهم، لأنهم كانوا يغلظون الأيمان في الدفاع عنهم، وعند حلول العذاب يتبرؤون منهم فلا ينفعونهم.

قوله (إنهم لمعكم) جملة مقول القول التي تضمنها فعل القسم، خاطبوا به المنافقين مؤكدين لهم بنصرتهم لهم.

قوله (حبطت أعمالهم) إخبار بسقوط أثر إيمانهم يوم القيامة كون أعمالهم بلا ثواب، فلا يتبقى لهم سوى العقاب.

قوله (فأصبحوا خاسرين) الفاء للتعقيب على حبوط الأعمال، وهو خسرانهم يوم القيامة ثواب الآخرة.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب استئنافي عام لكل المتصفين بصفة الإيمان ولاسيما المدعون له، لإفادة التحذير والتهديد، والكلام شديد الاتصال بما قبله.

قوله (من يرتد منكم عن دينه) شرط جازم حاد لا يحتمل التأويل، والارتداد كناية عن الانتكاسة والرجوع من الإيمان إلى الكفر، و(من) للتبعية، وحرف التجاوز لأن فعل الردة متضمن معنى الرجوع.

قوله (فسوف يأتي الله بقوم) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، ودلالة (سوف) الاستقبال، ونسبة إتيان القوم إلى الله نسبة إعزاز وتشريف للدين لا يحتاج معه إلى نصره غيره، وتكون بتقديم قوم وتأخير آخرين في الرتبة

والمنزلة، وليس باستئصالهم لأن الله رفع عن أمة النبي ﷺ مثل هذا العذاب، وتنكير لفظ القوم للتعظيم والنوعية.

قوله (يحبهم ويحبونه) جملة فعل الحب موقعها الصفة للقوم، والحب صفة قلبية نقية لا تطلق إلا على العارفين بالله حق معرفته، لذلك هي قليلة فيمن أطلقت عليه في القرآن لندرتهم، وحب الله تعالى لهم مجاز لبراءته لهم من كل ظلم، وطهارتهم من كل قذارة معنوية من الكفر أو الفسق بعصمة أو مغفرة إلهية عن توبة.

قوله (أذلة على المؤمنين) لفظ الأذلة جمع ذليل، وهو استعارة بالكناية عن التواضع والتطامن ولين الجانب مع قومهم من المؤمنين وهو ذل التواضع نحو قوله تعالى (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)، وتعديتها بـ (على) لتضمنه معنى الحنان والحنو أي عاطفين عليهم، كما ذكر الزمخشري. أه. والجملة صفة ثانية للتعريف بالقوم.

قوله (أعزة على الكافرين) والأعزة جمع عزيز وهو الشديد القوي، واللفظ كناية عن سمو النفس وأنفتها وترفعها مما عند الكافرين، وتعديتها بـ (على) لتضمنها معنى الاستعلاء على الكافرين، والجملة صفة ثالثة للقوم.

قوله (يجاهدون في سبيل الله) الفصل بين الجمل لكمال الاتصال بينها ولما تحمل الجمل من التوكيد المعنوي لبعضها بعضاً، والمجاهدة بذل النفس والمال في سبيل توحيده تعالى وهي صفة المؤمن الحقيقي، والجملة موقعها الصفة للقوم.

قوله (ولا يخافون لومة لائم) الواو للحال، والجملة حالية من كل ما تقدم وليس للجملة الأخيرة فحسب، والكلام كناية عن تحقيق العدل والمساواة وعدم المهادنة على حساب ذلك، واللومة مصدر يراد به المرة من اللوم، وفيها وفي التثكير لـ (لومة لائم) مبالغتان في تصور معنى اللوام، والجملة قيد آخر للفظ القوم.

ومن مجموع الصفات المعرفة بهؤلاء القوم، وبضم الروايات المؤيدة لما سبق يتضح بما لا يقبل الشك أن القوم الذين تنطبق عليهم تلك الصفات هم أمير المؤمنين علي عليه السلام وأبنائه من الأئمة المعصومين عليهم السلام في كل زمان.

قوله (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) لفظ الإشارة لاختصار ذلك الثناء، وفضل الله نعمه الزائدة لتكرمه، والإيتاء الإعطاء، وتعليق إعطاء الفضل بالمشيئة مبني على حكمته باستعداد العبد المستحق وقابليته في التضحية من أجل توحيد الله، والكلام يفيد التذليل.

قوله (والله واسع عليم) الجملة تذييل وإخبار بسعة عطاء الله وعلمه بالمستحقين لفضله.

ولا ريب في أن المنافيين فئات مختلفة في المجتمع الإسلامي زمن النبوة، منهم الكتابيون الذين أسلموا وقد صورتهم الآيات كثيرا ووقفت على أحوالهم وحذرت المؤمنين منهم، ومنهم فئة خطيرة تدعي الحماس في الدفاع عن الدين، خالط قلوبهم كثير من شوائب اتباع الهوى وميل النفس

إلى طلب الجاه والرئاسة ولو على حساب الدين وأحكام الله، فهؤلاء مرضى القلب أشد خطرا وأعظم بلاء على التوحيد، لقابلياتهم وامتداداتهم وقدرتهم على تحريف بنية الدين كما فعل أحبار اليهود ودهاقين النصارى، ولكن الله تكفل برد هؤلاء فأعد لمن يحمي الرسالة بعد النبي ﷺ.

ولا ريب في أن المواصفات التي فصلت الآيات فيها لا تنطبق إلا على رجل لوحده أمة، وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وتؤكد السنة النبوية الشريفة والروايات المعتبرة ذلك المعنى كثيرا ومنها على سبيل الإشارة:

- نقل في صحيح البخاري ومسند ابن حنبل - وغيرهما كثر - قول النبي ﷺ لعلِّي أعطائه راية فتح خيبر: لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كرارا غير فرار، يفتح الله على يديه. انتهى.

- وجهاد الإمام علي عليه السلام بين يدي رسول ﷺ أشهر من أن يدفع، فقد طرزت ذلك الآيات الشريفة، ووثقه الإمام عليه السلام نفسه في أكثر من مناسبة ومنه في نهج البلاغة قوله: ولقد واسيته في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها. انتهى.

- وسيرة أمير المؤمنين عليه السلام كلها حافلة بعدم مهادنته الكافرين والمنافقين، وإن من أوصافه أنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وفي نهج البلاغة قوله عن نفسه: وإنني لمن قوم لا تأخذهم في الله لومة لائم سيماهم الصديقين، وكلامهم كلام الأبرار. انتهى. والحديث في ذلك يطول.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾

قوله (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) تفيد (إنما) القصر، والخطاب للمؤمنين والولي من معانيه المالك والناصر والمؤيد والمحب، والمراد بها ولاية التصرف إذ لا معنى للقصر غير ذلك، والقصر لحصرها بالله ورسوله والمفهوم من الذين آمنوا وهو أمير المؤمنين عليه السلام، كما سيأتي.

قوله (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة) جملة بيان لجملة الموصول التي سبقتها قيدتهم بأظهر صفتين للمؤمن وهما إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

قوله (وهم راكعون) جملة حالية قيدت المذكورين بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة بهيأة الركوع، وعلى هذا يبدو أن الآية تخص حادثة بعينها لشخص محدد، أخبرت بصيغة الجمع على عادة الأسلوب القرآني إذ لا معنى أن يخاطب المؤمنون بالقصر في التولية بالله ورسوله ثم يذكرون مرة أخرى، وإنما المقصود الأخذ بالقيود اللاحقة المبينة لهذا المقيم الصلاة المعطي الزكاة وهو في حال الركوع، وقد اتفقت التفاسير على أن الآية خصت أمير المؤمنين عليه السلام بالذكر.

ومن هنا تبدو الآية متصلة بما قبلها تمام الاتصال، فحين نهت الآيات السابقة عن تولية المؤمنين لليهود والنصارى أمرت بمن ينبغي عليهم أن يتولوا، لذلك بدأت بالتولية بالقصر بـ (إنما) والمقصود عليه تحدد بالله

ورسوله والذين آمنوا، أي وجوب اختصاصهم بالموالاة، وتحديد هوية (الذين آمنوا) تحددت بالحادثة الكريمة التي تخصه وهي تصدق الإمام علي عليه السلام بخاتمته وهو في الصلاة، لأن الزكاة من أفراد الصدقة لكون الصدقة مطهرة مزكية ولذا وقع اسمها على الزكاة لكثرة الاستعمال.

ولم يقل: إنما أولياؤكم، بل أفرد، لأن في إسناد المفرد (ولي) إلى الجميع (الله ورسوله والذين آمنوا) إشارة إلى كون الولاية في الجميع بمعنى واحد، فولاية النبي على أمته مستمدة من أصالة ولاية الله تعالى بالولاية التشريعية وعطف الذين آمنوا على الرسول ولفظ الجلالة يؤيد كون هذه الولاية ولاية واحدة للجميع، وهو مثل الجمع لله ولرسوله وللذين آمنوا في قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون) [المائدة: ٥٦].

فإن تخصص اللفظ العام (الذين آمنوا) بالجملة الثانية البيانية (الذين يقيمون الصلاة) بهذه الكيفية التي لا شك في أنها مخصوصة وليست عامة يمكن ادعاؤها لكل أحد، تبيينها وقائع نزول الآية والروايات المعتبرة التي أكدت اختصاصها بعلي بن أبي طالب عليه السلام، والجمع للتعظيم، وهذه الصفة الجديدة في تحديد شخص الإمام علي عليه السلام تضاف إلى مجموعة الصفات في الآيات السابقة من حبه الله ورسوله وحب الله ورسوله له ونحوها، أما إطلاق لفظ الجمع على الواحد فذلك من الأساليب القرآنية الشائعة في إطلاق لفظ الجمع وإرادة الواحد قد يراد به ترغيب الجماعة في مثل هذه الأخلاق الرفيعة ولتنبيه جماعة المؤمنين ليحذو حذوه، كما ذكر الزمخشري. انتهى.

وفي الأثر المشهور كما في شواهد التنزيل، وكشف الغمة وغيرها مرفوعاً عن أبي ذر الغفاري قال: سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فصمتاً، ورأيته بهاتين وإلا فعميتاً، يقول: علي قائد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله، فلم يعطني أحد شيئاً، وكان علي راکعاً، فأوماً بخنصره اليمنى إليه، وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين رسول الله ﷺ، فلما فرغ النبي ﷺ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: اللهم إن أخي موسى سألني فقال: (رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشد به أزي وأشركه في أمري) فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً (سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما) اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك، اللهم فاشرح لي صدري، ويسر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أشد به ظهري، قال أبو ذر: فوالله ما استتم رسول الله الكلمة، حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله، فقال: يا محمد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال: اقرأ (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الآية. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ

الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾

قوله (ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا) إشعار بالرد على الذين في قلوبهم مرض، بأن الموالاة الحقيقية تكمن في موالاة الله ورسوله وأمير المؤمنين، فإن جملة الموصول تفيد العهد.

قوله (فإن حزب الله هم الغالبون) جملة جواب الشرط، صيغت بالجملة الاسمية لما تتضمن من عدول لافت في إثبات المعنى وتنبيه المتلقي لأهميته، والحزب الجماعة المتحزبة المجموعة على أمر، وإضافة اللفظ إلى اسم الله للتعظيم، والإخبار بنصرهم وغلبتهم بقصرين ضمير الفصل وأل (الغالبون) تشديد للمعنى وتبديد للمكرين ذلك.

ولا ريب في أن الآيتين بحسب السياق تخصان ولاية الإمام علي عليه السلام، والآيتان في معنى واحد، فالأولياء الثلاثة: الله تعالى والرسول ﷺ والإمام علي عليه السلام، والولاية أساس معنى الآيتين، والذي تغير هو الأسلوب بسبب تغير التوجيه، فالأولى خصت الأولياء الثلاثة بالولاية للتعريف الحقيقي بمعنى الولاية وفيمن تجب، وأطنبت في الثالث لدواعي التحديد، وأما الآية الثانية فاشتترطت تولية الثلاثة للفوز بغلبة حزبهم، ولم تطنب في صفة الثالث تعويلا على التفصيل في الآية السابقة.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوءًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُمَ

مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لكل المؤمنين يراد به الإقبال على النهي الإلهي عن تولية أهل الكتاب وتفصيل أسباب ذلك بذكر صفاتهم من نقض العهود ونحوها.

قوله (لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا) نهي من الله عن الاعتماد على الكافرين ومحاباتهم، وكنى عنهم بجملة الموصول لبيان تعليل النهي، وهو سخريتهم من دين الإسلام، وما أبلغ استعمال فعل الاتخاذ نهيا وأمرًا في الجملة نفسها لتنبية المؤمنين من محابة الكافرين.

واللعب تضييع الهدف، قال الراغب: ولعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصدا صحيحا. انتهى. والخطاب يراد به تهيج حمية المؤمنين على دينهم، وفي الآية تشبيه ضمني أي تشبيه الدين بالهزاء واللعب.

قوله (من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء) جملة تبين للتي قبلها، يراد بهم اليهود والنصارى فهم سبقوا المؤمنين بإعطاء الكتاب، والكناية تحمل دلالة التعريض بهم فكأنهم تسلموا الكتاب بطريقة أو بأخرى من غير فهمه والعمل به.

والعطف تبين ثان بمعنى: ومن الكفار، ولفظ (أولياء) منصوب مفعول فعل الاتخاذ، والمعنى: لا تتخذوا اليهود والنصارى والكفار أولياء يلون أمرهم ويتصرفون بكم.

قوله (واتقوا الله) أي: واتقوا الله باجتناب موالاة أعدائه.

قوله (إن كنتم مؤمنين) أي: إن كنتم مؤمنين بمصيركم ومعادكم ومحاسبتكم، ويبدو أن المعني بهم فئة غافلة من المسلمين جاملت اليهود ونحوهم تختلف عن الفئة السابقة في الآيات السابقة، ولذلك عدلت عنهم إلى تبيان أفعال اليهود والنصارى.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ٥٨﴾

قوله (وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا) العطف على ما سبق بمثابة تقديم البرهان على الدعوى، والنداء رفع الصوت بالدعوة إلى أداء الصلاة، كناية عن الأذان المرفوع قبل الفرائض، وذكر الصلاة بالاستخفاف من المستهزئين لأنها أهم مظهر عبادي متكرر يوميا لدى المؤمنين.

قوله (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) جملة تعليل بنفي الفهم عنهم لاستهزائهم، والإتيان بلفظ القوم ثم وصفه بنفي العقل لإفادة اللزوم، ومن الطبيعي أن من لا يفهم جواهر الأمور يهزأ بها، فالناس أعداء ما جهلوا، ولذلك جاء التذييل بشأنهم مؤكدا نفي العقل عنهم.

قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ ٥٩﴾

قوله (قل يا أهل الكتاب) الأمر من الله لنبيه لإنكار أفعال أهل الكتاب.

قوله (هل تنقمون منا إلا أن آما بالله) الاستفهام يفيد الإنكار والتعجب بمعنى: لا تنكرون منا إلا إيماننا بالله، والكلام من أسلوب المدح بما يشبه الذم، لأنهم ينكرون على المؤمنين محمدا لا تنكر وهي الإيمان بالله ورسله.

قوله (وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل) العطف بمعنى: هل تنقمون منا إلا إيماننا بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة، بمعنى أن نعمتكم علينا غير مسوغة وحربكم علينا غير عادلة لأننا مؤمنون بالله وبالأديان كلها، فما الداعي لتجافيك ونفاقكم ضدنا.

وفي الكلام تعريض بإيمان أهل الكتاب، فلم يقابل ما أنزل إلى المؤمنين بما أنزل إليهم، بل أبهم فلم يقل: أنزل اليكم، مقابل (أنزل إلينا) لأنهم لم يعملوا به، وكذلك في كون المؤمنين لا يفرقون في الإيمان بين الكتب والأنبياء بينما هم يفرقون، فاليهود يؤمنون بموسى ولا يؤمنون بعيسى ولا محمد، والنصارى يؤمنون بموسى وعيسى ولا يؤمنون بمحمد ﷺ.

قوله (وأن أكثركم فاسقون) العطف داخل في التعجب من نعمتهم على المؤمنين بمعنى: أن فسق أكثركم لا نملكه نحن حتى تنقموا به علينا وتكرهونا لأجله، على سبيل التهكم بهم.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِمَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾

قوله (قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) الآية رد من الله على أهل الكتاب بنفس أسلوبهم في عد المحامد كالإيمان بالله وبالرسل شرورا فتنكر، فأنبأهم على لسان نبيه تهكما بهم بشر مما عدوا وما نقموا، على طريق التسليم أخذا بالنصفة في التكليم، وليس هو بشر للمؤمنين، وهو (مثوبة عند الله) ونصب لفظ المثوبة على التمييز من (شر) لأنها اسم تفضيل بمعنى: أشر، والمثوبة من الثوب وهو الرجوع ويراد بها العطية، وبوصفها (عند الله) لتعظيمها في مجازاة المؤمنين، والكلام زيادة في التهكم بالناقمين على المؤمنين.

قوله (من لعنه الله وغضب عليه) (من) اسم موصول يحتمل ثلاثة تقديرات: الرفع بمعنى: هم من لعنه الله وغضب عليه، والجر بمعنى: هل أنبئكم بمن لعنه الله، والنصب بمعنى: هل أنبئكم على من لعنه الله، والكلام رد من الله على اليهود لبيان الأشر مكانا، فذكر بمساوئ أسلافهم، لأن الخلف على سنة السلف.

قوله (وجعل منهم القردة والخنازير) أي: مسخهم قردة وخنازير كما فعل بأصحاب السبت.

قوله (وعبد الطاغوت) العطف بمعنى: ومن عبد الطاغوت، كناية عن بعض قوم موسى الذين عبدوا العجل، والطاغوت مبالغة في الطغيان غلب إطلاقه على الأصنام.

قوله (أولئك شر مكانا) لفظ الإشارة لتمييز المشار إليهم واختصار صفاتهم لجدارتهم بما يخبر عنهم وهو أنهم الأشر مكانا، وإثبات الشر للمكان إثبات لهم مبالغة في صفة شرهم حتى كأن المكان أصبح شرا لحلولهم فيه، وهو كناية عن نسبة، ونصب المكان على التمييز.

قوله (وأضل عن سواء السبيل) العطف بمعنى: وأولئك أضل عن سواء السبيل، والأضل اسم تفضيل للدلالة على شدة إضاعتهم طريق الحق، وحرف التجاوز (عن) لتضمن فعل الضلال الانحراف، وسواء السبيل كناية عن الطريق الواضح المستقيم، الذي لا اعوجاج فيه، بل يفضي بسالكة إلى الهدف المنشود، ويراد سبيل الحق.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِءٌ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ٦١﴾

قوله (وإذا جاؤوكم) العطف لحالة على حالة من أحوال الكافرين والمنافقين، وضمير الواو في فعل المجيء عائد إلى المنافقين، وضمير النصب عائد إلى المؤمنين، والمراد به: اللقاء ببعض.

قوله (قالوا آمنا) كناية عن إظهار الإيمان باللسان لا يتعداه إلى الاعتقاد القلبي، وهذا شأن المنافقين الذين أثبت صورتهم القرآن كثيرا بهذا الوصف نحو قوله تعالى (وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون) [البقرة ١٤].

قوله (وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به) تأكيد لحال المنافقين أي حالهم لا يتبدل من الكفر، والدخول والخروج كنيات عن تقلب الحال، والباء في (بالكفر) و(به) تفيد الحال، بمعنى: دخلوا كافرين وخرجوا كافرين، وبين الجملتين مقابلة بديعية لافتة.

قوله (والله أعلم بما كانوا يكتمون) إخبار متضمن معنى الوعيد للمنافقين بالحساب، وأفعل العلم للإطلاق لا للتفضيل لأن علم الله لا تفاضل معه، والكتمان الإضمار والإخفاء.

قوله تعالى ﴿ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعمَلُونَ ﴾

قوله (وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت) أي: وترى يا محمد كثيرا من علماء اليهود مسارعين في الإثم والظلم وأكل المال الحرام، وفعل المسارعة مبالغة في معنى السرعة وهي أمس بعمل الأعضاء، وتعديته بالظرفية (في) لتضمنه معنى التوغل في الموبقات المذكورة، والإثم الجرم، والعدوان الظلم، وأكل السحت أخذ المال الحرام

بطريق الرشوة، وسمي بالسحت لأنه يؤدي إلى استئصالهم وسحتهم وإذهابهم.

قوله (لبئس ما كانوا يعملون) واللام مؤذنة بالقسم لتأكيد ذم أفعالهم، والكلام من غضب الله عليهم.

قوله تعالى ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

قوله (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت) الحث بـ (لولا) يراد به توبيخ الربانيين والأحبار في تخاذلهم عن أداء واجبهم التربوي والإرشادي في نهى علماء اليهود - المستفاد من لفظ كثير - عن قول الإثم وأكل المال الحرام مع علمهم بذلك، ولم يكرر (العدوان) كما ذكر الإثم وأكل السحت لدخوله في الإثم، والأكل استعارة مستفادة لمعظم الانتفاع، والسحت المال الذي يهلك صاحبه.

قوله (لبئس ما كانوا يصنعون) قسم وذم من الله لصنيع علماء السوء في موبقاتهم وربانيهم في تخاذلهم، والصنع أخص من العمل.

قوله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ

طُغِينَا وَكُفِّرَّا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا
لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ



قوله (وقالت اليهود يد الله مغلولة) العطف على ما سبق لبيان قبائح أفعال اليهود، وهو جرأتهم على ادعاء البخل على الله، لأن غل الأيدي يعني قبضها ومسكها عن إعطاء المال كناية عن البخل، وبسطها يعني بذل المال وهي كناية عن الكرم بحسب السياق، والغل القيد إلى العنق، والظاهر إن قول اليهود من عادة استهزائهم وليهم للكلام فهو من هزئهم في فهم قوله تعالى (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) [البقرة ٢٤٥].

قوله (غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا) الكلام في ظاهره دعاء على اليهود على اجترائهم على توصيف الله بما لا يليق بساحة عظمته، وفي مضمونه إخبار منه سبحانه بغل أيديهم إلى أعناقهم كناية عن رد صفة البخل عليهم، وهي من صفاتهم السلوكية اللصيقة بهم، وباللعن بالطرده من رحمة الله واستحقاقهم ذلك بسبب تجرؤهم وافترائهم. و(الباء) في (بما) تفيد السبب، و(ما) مصدرية زائدة، أي: بسبب قولهم.

قوله (بل يدها مبسوطتان) تفيد (بل) الإعراض عن ادعائهم والتأكيد لما بعدها، والكلام كناية عن كثرة عطاء الله ووسع فضله، والتثنية للفظ اليد للمبالغة في كمال قدرته تعالى مع أن اليهود قالوا بإفراد اليد.

قوله (ينفق كيف يشاء) جملة بيان لبسط اليدين، والإنفاق استعارة لكثرة رزق الله لعباده ونعمه عليهم التي لا تعد ولا تحصى، و(كيف) لبيان الحال مجرد من الاستفهام.

قوله (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) العطف على الإيعاد في قوله (غلت أيديهم)، واللام المتصل بفعل الزيادة للقسم، ونون التوكيد لاتصال الفعل بالقسم، لتحقيق المعنى، وفعل الزيادة استعارة مناسبة لما سبق من موارد العطاء والرزق، وإنما المفاجأة في عكس صورة استعمالاتها، إذ فاجأتهم في الاستزادة بالشر وهو الكفر والطغيان، بسبب أفعالهم وتجربتهم على الله، فكان عنادهم والوقوف بوجه الحق سببا بسلب الله التوفيق منهم للهداية فازدادوا تجبرا وكفرا، والتعقيب بالكفر لأن الكفر من نتائج الطغيان، والتكنية بفعل الإنزال المخاطب به النبي ﷺ بحرف الانتهاء دون التصريح بلفظ القرآن لبيان تعظيمه، وإسناد زيادة طغيان اليهود وكفرهم إلى القرآن مجاز عقلي للمبالغة لأنه السبب في إثارة حسد اليهود وتجاوزهم الحد لاعتداد نفوسهم وتعاليلها على غيرهم.

قوله (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة) فعل الإلقاء أصله رمي الشيء من اليد على الأرض، فهم لفظ مستعار من الأجسام لتصوير غضب الله عليهم وقضائه بفرقتهم بسبب العداوة والبغضاء فيما بينهم إلى يوم القيامة، وسمة الحقد والعدوان واصطناع الفتن ثابتة في نفوس اليهود إلى هذا اليوم وإلى يوم يبعثون، وقد يراد به العداوة بين اليهود والنصارى

بدلالة الخطاب السابق لأهل الكتاب في قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا).

قوله (كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله) قطع الكلام لأنه تعليل لعقاب الله فيهم، لكثرة فتنهم وفسادهم، وإيقاد النار كناية عن بدء الحرب واستعارها، وإطفاء الله لها استعارة مكنية، والمعنى: كلما صنعوا فتنة أو أشعلوا حربا تكفل الله تعالى بالقضاء عليها، إما بافتضاح أمرهم أو بإرسال الوحي ليعلم نبيه مؤامراتهم وحيلهم ونفاقهم، وإشعال الفتن والحروب بين الأمم وكثرة فسادهم في الأرض من الصفات السلوكية لليهود طوال تاريخهم الحافل بذلك.

قوله (ويسعون في الأرض فسادا) السعي المشي في أمر مهم، كناية عن اجتهداهم نشر الفساد بين الناس، مثل ابتداعهم أكل المال الحرام بالرشوة والربا في معاملاتهم التجارية، ونصب لفظ الفساد لأنه مفعول لأجله.

قوله (والله لا يحب المفسدين) إخبار ظاهره نفي حب الله للمفسدين ومضمونه سخط الله على اليهود المجترئين عليه سبحانه، وخص ذكر المفسدين لتضمنه أفعالهم.

والآية رسمت صورة اليهود رسما نفسيا دقيقا تحددت فيه الطبيعة الشخصية لسلوكهم نحو:

أولا: تخرصهم على الله وجرأتهم عليه وذلك للنفس المضطربة التي لا تؤمن إلا بأنانيتها وانغلاقها، وهي تذكر بكثير مما فعلوا من لي الكلام

والاستهزاء مثل تحريفهم الألفاظ عن مقاصدها، والاستهزاء ببدء الصلاة عند المسلمين.

ثانياً: صفة البخل المستمكنة من نفوسهم، والبخل جامع لمساوئ العيوب.

ثالثاً: طغيانهم وتجبرهم على الآخرين وشعورهم المستعلي دائماً وأنهم أفضل الأمم.

رابعاً: صفة الحقد والعدوان التي تجعل منهم مرضى غير أسوياء.

خامساً: تفننهم في صناعة الصراعات واختلاق الفتن بين المؤمنين.

سادساً: سعيهم الدائب في الإفساد فيما يقضي على الاستقرار الاقتصادي كابتنكار التعامل الربوي.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾

قوله (ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا) (ولو) افتراض لم يتحقق، وفيه نتيجة وخيمة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، لأن ذلك يعني أنه لن تكفر عنهم السيئات ولن يدخلوا الجنات، لأنهم لم يؤمنوا بالقرآن ولم يتقوا ويعملوا به، بدلالة الآية اللاحقة.

قوله (لكفرنا عنهم سيئاتهم) التكفير بالتضعيف من الفعل كَفَّرَ تكثير لمعنى الستر، وتعدية فعله بحرف التجاوز (عن) لتضمنه معنى العفو والصفح،

والفعل استعارة، فكأن المعاصي مما يعاب فتستر رحمة من الله، والمعنى: لغفر الله لهم.

قوله (ولأدخلناهم جنات النعيم) أي: ولجازاهم الله على إيمانهم وتقواهم بإدخالهم جنات النعيم يوم القيامة، وإضافة الجنات إلى النعيم من إضافة الصفة إلى موصوفها.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل) جملة افتراض ثانية لتصوير فداحة خسرانهم، لأنها مما أتيح لهم ولم يفعلوا، والإقامة تعني القيام على الشيء والاهتمام به، استعارة يراد بها العمل بالكتب السماوية وشرائعها النازلة على موسى وعيسى وليست التي بين أيديهم التي مستها يد التحريف، لذلك صرحت الآية بأسماء الكتب.

وقوله (وما أنزل إليهم من ربهم) تأكيد ثان يراد به سائر الكتب التي نزلت على الأنبياء كمزامير داود التي سماها القرآن الزبور. و(من) ابتدائية.

قوله (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) اللام واقعة في جواب (لو) غير المتحقق لعدم تحقق شرطه، والكلام كناية عن كثرة الخير المحيط بهم من

كل جانب أو كناية عن خيرات السماء والأرض لو أنهم عملوا بشريعة التوراة والإنجيل، في إشارة إلى آثار الأعمال الموصلة إلى الخيرات، قال السيد في الميزان: والآية من الدليل على أن لإيمان هذا النوع أعني نوع الإنسان وأعماله الصالحة تأثيرا في صلاح النظام الكوني من حيث ارتباطه بالنوع الإنساني، فلو صلح هذا النوع صلح نظام الدنيا من حيث إيفاءه باللازم لحياة الانسان السعيدة من اندفاع النقم ووفور النعم. انتهى.

قوله (منهم أمة مقتصدة) الفصل للابتداء والاستئناف، والتبويض في (منهم) أي: من أهل الكتاب، والأمة الجماعة، والاقتصاد كناية عن اعتدال النفس وعدم الإسراف في الفعل والقول غير المرضي، وهي صفة مدح، أريد بها إنصاف قلتهم مراعاة للحق.

قوله (وكثير منهم ساء ما يعملون) العطف على ما سبقها لإفادة تحقيق المقابلة المعنوية بين جماعة القلة وكثرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى التي غلب عليها السوء في أعمالهم، ودلالة فعل الحضور (يعملون) للإشارة إلى استمرار سوءهم زمن النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ ﴿٦٧﴾

قوله (يا أيها الرسول) استئناف ابتدائي لخطاب الرسول ﷺ، نودي بأبهي نداء وأشرفه وهو الاتصاف بصفة الرسالة تمهيدا لتذكيره بأن التبليغ من ضمن معنى الرسالة، ولم يخاطب النبي بهذا الخطاب التشرifi إلا مرتين وكلاهما في سورة المائدة، الأولى في تسليته بالنهي عن الاهتمام بنفاق المنافقين والكافرين، وهذه هي الثانية، ولا ريب في أن الخطاب فيهما مقصود بصفة الرسالة، وهو هنا أشد وضوحا بدلالة فعل التبليغ كما تقدم.

قوله (بلغ ما أنزل إليك من ربك) خطاب بالأمر الصريح إلى النبي ﷺ بإيصال آيات الله النازلة عليه إلى عموم الناس، واستعمال جملة الموصول لتعظيم التبليغ، و(من) ابتدائية، وإسناد لفظ الرب إلى كاف خطاب النبي ﷺ للإشارة إلى عظمة الخالق بأنه الأقدر والأعلى.

قوله (وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) تهديد لم يسبق مثله من قبل، فقد جعل آية التبليغ عدل الرسالة كلها باستعمال مطلق النفي بـ (ما)، لأنه يقينا أراد بالرسالة دين الإسلام كله، إذ ليس من المعقول أن يقال: إن لم تبلغ رسالتي فما بلغت الرسالة، فذلك ليس من الأدب في شيء، بله الأدب القرآني البارع.

والظاهر من ذلك أن النبأ الجديد المراد تبليغه متم لأصل الرسالة لكمال الاتصال بينها وبين المعارف الدينية والأحكام الإسلامية، وأن أي خلل في واحد منها خلل في الجميع، وفيه يكشف أن أصل تردد النبي ﷺ بين

الإخبار وعدمه لدواع تتعلق بتقبل الأمة ووحدة الصف، لا في أصل التبليغ وانصياعه لأوامر الله، أي: في إيجاد الفرصة المناسبة لإذاعة الخبر.

قوله (والله يعصمك من الناس) تعليل لما سبق وبيان لسر تخوف النبي ﷺ، والعصمة استعارة بالكناية عن حفظ الله لنبيه ومنعه من مؤامرات المتآمرين وإفشالها.

ويبدو أن التخوف من المجتمع المسلم لا من مجتمع اليهود أو النصارى، والطبقة التي يحسب حسابها من طبقة النفوذ من الذين في قلوبهم مرض، فمن الممكن - كما ذكر صاحب الميزان - أن يكون النبي ﷺ يخافهم في أمر تبليغه أن يتهموه بما يفسد الدعوة فسادا لا تنجح معه أبدا، وكما يمكن أن يتهموه بالملكية واستغلال النبوة والدين لمصالح ابن عمه وأسرته مثلا، كما حصل معه أثناء طلبه القلم والدواة واختلاف أصحابه بين يديه واتهامه بما لا يليق.

قوله (إن الله لا يهدي القوم الكافرين) إخبار متضمن معنى التهديد والوعيد، والفصل لأنه تعليل لقوله (والله يعصمك من الناس)، وذلك بأن الله تعالى لا يُمكن الجاحدين بالحكم المنزل إلى النبي ﷺ من أصل الدين، والمقصود بالكفر الكفر بأحكام هذه الآية النازلة في قوله (ما أنزل إليك).

وفي سورة المائدة ذكر متكرر بالإشارة إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) كونها من آخر الآيات النازلة وتمثل خاتمة القرآن والضمانة الحقيقية لرسالة النبوة، وهي ليست منقطعة عن سياقها التاريخي ولا السنة النبوية الشريفة،

واللحاجة التاريخية والتفسيرية في الالتفاف على حكم الآيات الشريفة النازلة بحق الإمام عليه السلام تعسف وظلم، يذكرني بمطالب بني إسرائيل من النبي محمد ﷺ أن ينزل عليهم كتابا من السماء بأسمائهم حتى يؤمنوا.

وتؤكد الروايات الكثيرة المعتبرة انطباقها على معنى الآية في أنها نزلت يوم تنصيب النبي ﷺ عليا عليه السلام في غدير خم وليا أميراً للمؤمنين بعد الانتهاء من مناسك الحج واجتماع القوافل العائدة في الجحفة بين مكة والمدينة، إذ نصب له منبر من أقتاب الإبل في يوم قانض وبلغ الناس فيها آية التبليغ هذه وكان مما قال (من كنت مولاه فهذا علي مولاه).

وفي الآية كثير من الدلالات التي تحتاج التفصيل مثل:

أولاً: انقطاع الخطاب عما قبلها من الآيات، في دلالة على خصوصية فرادتها، وأنها وإن انقطع الاتصال عما قبلها وما بعدها، غير أن أصل غرض السورة المتعلق بحفظ العهود والمواثيق غير منبت عن آية التبليغ، فالعلاقة متلازمة بينها.

ثانياً: مناسبة نزولها في سورة المائدة وهي آخر السورة النازلة بعد فتح مكة واكتمال الشريعة ومعارف الدين.

ثالثاً: اختصاصها بتولية الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في غدير خم وتنصيبه خليفة من بعد الرسول ﷺ.

رابعاً: طلب النبي ﷺ الوقت المناسب للتبليغ وما تضمنته الآية من تهديد وتكفل حفظ الله له، فهذه المسائل تحتاج استفاضة واسعة تراعى فيها قرائن الأحوال المؤيدة لمعاني الآية.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

قوله (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء) رجوع بالكلام عن اليهود والنصارى، والنفي بمعنى: لا قدم ثابتة لكم ولا استعداد لديكم للانطلاق إلى العمل بالتوراة والإنجيل، وحرف حرف الجر حرف استعلاء استعارة من الاعتماد على أي شيء يثبتهم.

قوله (حتى تقيموا التوراة والإنجيل) تفيد (حتى) انتهاء الغاية لابتداء معنى بعده، وإقامتهم التوراة والإنجيل مجاز للعمل بهما وبشريعتهما، والتصريح بالكتابين دون الكناية عنهما نحو استعمال فعل التنزيل للتأكيد على العمل بهما خاصة، وليس الكتب المحرفة من أيديهم.

قوله (وما أنزل إليكم من ربكم) كناية عن سائر الكتب المنزلة على أنبياء بني إسرائيل كصحف داود المسماة بالزبور، والآية نظير قوله تعالى فيما سبق (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم).

قوله (وليزیدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) إخبار مؤكد من الله بأن القرآن النازل من الله سيزيدهم غلوا في الطغيان والكفر، وذلك لحقدهم وحسدهم واستعلائهم وتكبرهم حد ادعائهم أنهم أبناء الله، وأورد فعل الزيادة مؤكدا بلام للقسم والنون الثقيلة للتأكيد.

قوله (فلا تأس على القوم الكافرين) جملة مفرعة على الإخبار، بنهي النبي ﷺ عن الحزن عليهم لكفرهم لأنهم لا يستحقون عناية واهتماما من النبي ﷺ، والإتيان بلفظ القوم ثم وصفه بالكافرين لإفادة لزوم صفة الكفر بنفوسهم، لخروجهم عن الشريعة الحقة لموسى وعيسى، والكفر أصله الجحد.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٦٩﴾

قوله (إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى) الفصل للاستئناف، وجملة المتصفين بالإيمان كناية عن أمة محمد ﷺ، وجملة المتصفين باليهودية كناية عن أمة موسى ﷺ، والمسمون بالصابئة كناية عن أمة داوود ﷺ، ولفظ النصارى كناية عن أمة عيسى ﷺ، وأنسب السياقات التركيبية لحل رفع لفظ الصابئين أن يفهم العطف على أصل موضع الذين آمنوا قبل مضي الخبر، لا كما اشترط النحاة، ومن تراكيب الكتاب العزيز يؤخذ النحو.

قوله (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) وجملة الموصول (من) بمعنى: من آمن منهم بالله، والفاء في (فلا خوف عليهم) لأن جملة الموصول قريبة من الشرط، والجملة محلها الخبر لـ (إن).

ومحصل المعنى ألاّ اعتبار لهذه المسميات للأمم من دون الإيمان بالله وبالمعاد، ومن دون ترجمته بالعمل الصالح، فهي المعايير الحقيقية لتقدم هذه الأمة على تلك عند الله ولا عبرة بالتسميات الأخرى من دون ذلك، وهذا ما ينبغي أن يجمع الأمم كلها، فهؤلاء الذين يستحقون الأمن يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾

قوله (لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل) اللام في (لقد) إشعار بالقسم، وحرف التحقيق لتأكيد أخذ الله تعالى بوساطة رسله العهد باليمين من بني إسرائيل على الالتزام بالشرعية الحقة، وعبر عنه بالاستعارة الشائعة في القرآن بلفظ الميثاق، والكلام تعليل لنفي إقامة التوراة.

قوله (وارسلنا إليهم رسلا) العطف بمعنى التأكيد على ما سبق بإرسال الله الرسل إليهم، وتنكير الرسل يفيد التكثر.

قوله (كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم) أي: كلما أرسل الله رسولا من عنده إليهم بما لا يرغبون جعلوا الرسل فريقين فريقا كذبوا وفريقا يقتلون، وفعل المجيء يراد به تبليغ الرسول قومه رسالة الله، والإسناد مجاز عقلي عن بعثة الله له، وتنكيره للتعظيم، والباء في (بما) للتعدية والملابسة، و(ما) اسم موصول، والهوى أصله الهوى والسقوط، وهوى النفس ميلها ورغبتها إلى ما لا ينبغي، لذا غلب على الهوى صفة الذم، والضمير في (أنفسهم) عائد إلى بني إسرائيل.

قوله (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) لفظ الفريق بمعنى الجماعة المتفرقة عن آخرين، ونصبت على المفعولية للعناية والاهتمام: فريقا من الرسل كذبوا إشارة إلى تكذيبهم لعيسى عليه السلام سابقا، والنبي ﷺ في زمنه، وإنما قال بالجمع لا بالإنفراد كما قال (جاءهم رسول) لأنه أخذ في (كلما) معنى الجمع ولذا لم يقل: فرسولا كذبوا.

أما قوله (وفريقا يقتلون) فهو كناية عن قتلهم لزكريا ويحيى وما صرحوا بقتلهم لعيسى لولا رفعه إلى السماء وتشبيهه بآخر، وفي الالتفات من فعل الماضي إلى فعل الحضور فلم يقل: وفريقا قتلوا، دلالة استمرار فعلهم في الغدر والقتل وإشارة إلى أمانهم بقتل النبي ﷺ.

قوله تعالى ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾

قوله (وحسبوا ألا تكون فتنة) تتعلق بما قبلها من تكذيبهم وقتلهم للأنبياء، فهم يعتقدون أنهم أمة مميزة وأنهم أحباء الله وأن لهم كرامة اليهود فلا يصيبهم سوء مهما فعلوا وتكرر منهم ذلك، والحسبان الظن، والفتنة البلاء الذي يفتن به الإنسان ويختبر.

قوله (فعموا وسموا) الفاء للتفريع، وفعل العمى والصمم استعارتان للنكث بالعهود.

قوله (ثم تاب الله عليهم) العطف بـ (ثم) للتراخي الرتبي لأن الكلام في تعداد مثالب بني إسرائيل، وتوبة الله عليهم بمعنى قبولها منهم بعد رجوعهم إليه نادمين.

قوله (ثم عموا وسموا) العطف للتراخي الرتبي إشارة إلى استمرار فعلهم في نقض المواثيق، والعمى أصله ذهاب البصر والصمم ذهاب السمع، مجازات عن إغلاق عيونهم عن إبصار الحقائق، وصم آذانهم عن سماع المواعظ.

قوله (كثير منهم) ارتفع اللفظ على البذل من واو الجماعة في فعل العمى والصمم، حفظا لحق القلة وإخراجهم من العموم، قال السيد في الميزان: والواقع أن المتصف بهاتين الصفتين كثير منهم لا كلهم أولا، وإيماء إلى أن العمى والصمم المذكورين أولا شملا جميعهم على ما يدل عليه المقابلة ثانيا، وأن التوبة الإلهية لم يبطل أثرها ولم تذهب سدى بالمرة بل نجا بالتوبة بعضهم، فلم يأخذهم العمى والصمم اللاحقان أخيرا ثالثا. انتهى.

قوله (والله بصير بما يعملون) إخبار يراد به التهديد والوعيد، والبصير مجاز يراد به المبالغة في العلم والإدراك.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٧٦)

قوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم) الكلام في القسم الآخر لأهل الكتاب المذكور في صدر الآيات التي قللت من شأن التسميات من دون العمل الصالح، وهم أمة عيسى الذين سموا أنفسهم النصارى.

والآية تعليل لوصفهم بالكافرين في قوله (فلا تأس على القوم الكافرين) فقد انتهت من بيان كفر بني إسرائيل وشرعت تفصل بكفر النصارى مبتدئة بالأسلوب نفسه باللام المشعرة بالقسم وحرف التوكيد (لقد) تشديدا على كفرهم وخروجهم عن تعاليم شريعة عيسى الحقّة المنزلة في الإنجيل، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الحكم عليهم بالكفر، والقول باتحاد الله بعيسى كناية عن طائفة اليعاقبة الملكانية وهم أرثوذكس الروم، فقد زعموا بدلالة ضمير الفصل (هو) الاتحاد لا القصر، أي اتحاد الذات بين اللاهوت والناسوت.

وتقرن الآيات المسيح بأمه دائماً للدلالة على استحالة ادعاء نسبته لله، وللإشارة إلى أنه مثل باقي البشر ينتسب لأم غير أنه مخلوق بإعجاز كلمة الله بغير أب.

قوله (وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم) الواو للحال بمعنى: زعم بنو إسرائيل ذلك في حال نداء عيسى لهم بكونه عبداً لله، والكلام تكذيب لادعاء المدعين من بني إسرائيل بلسان عيسى، وكنى عنه بـ (المسيح) اتباعاً لما قبلها وتكراراً مقصوداً، والأمر بعبادة الله يقابل قولهم (إن الله هو المسيح)، والإطناب في إطالة الكلام بوصف المعبود (ربي وربكم) تعليل للأمر بالعبادة وإبطال للافتراء على المسيح.

قوله (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار) الفصل للابتداء، والهاء في حرف النسخ ضمير الشأن للتهويل، والعدول في تغيير الخطاب إلى الغيبة لتهويل شأن الشرك وعواقبه، كما إن الالتفات من الإنشاء في (اعبدوا) إلى التعبير بالإخبار في الجملة الإسمية أثبت للمعنى وأبلغ في هذا المقام، وهذا ما يحكيه القرآن عن قول عيسى في بيان الأمر.

وتحريم الله الجنة بمعنى منعها من المشرك، والمأوى المصير والمنقلب ويراد به مكثهم في النار، وفي الكلام إبطال للعقائد الفاسدة نحو تفدية المسيح عنهم بصلبه وتحمله أوزارهم وأنهم مغفور لهم.

قوله (وما للظالمين من أنصار) أي: وما للمشركين أي مانع من العذاب عنهم، لأن الشرك أسوأ أنواع الظلم فقد قال تعالى (إن الشرك لظلم عظيم)،

و(ما) مستعملة لمطلق النفي، و(من) زائدة لتقوية عموم النفي، والنصير المدافع، والأكثر أن الكلام من تنمة قول عيسى عليه السلام.

قوله تعالى ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ 

قوله (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة) وهي الطائفة الثانية لجمهور النصارى وتسمى المثلثة التي تدعي التثليث: الله وعيسى ومريم، أي الأب والابن والأم، وجاء التعبير بذات الدلالة تأكيداً على خروج الادعاء على شريعة الإنجيل تكذيباً لهم.

قوله (وما من إله إلا إله واحد) الواو للحال، والقصر يفيد اختصاص الله وحده بالألوهية، فهو نفي مشدد لقولهم، جمع أطراف التوكيد بأبلغ معناه في إثبات التوحيد بالله تعالى نحو النفي والاستثناء، و(من) الزائدة للتوكيد، ومجيء المستثنى (إله واحد) بصيغة التذكير، وذلك كله لإنكار شدة الفرية وزيف الادعاء بأن الله ثالث ثلاثة، ووصف الله تعالى بالأحادية لأن ذاته واحدة لا تقبل التعدد ولذلك الكلام رد على زعمهم بتعدد الذات، والصفات المضافة إليه سبحانه لا تعدد ذاته فذاته تعالى لا تجزأ ولا تقسم، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف انه غير الصفة، فمن وصف

الله فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزاه، ومن جزاه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حده، ومن حده فقد عده. انتهى.

ونفي الصفات بمعنى أن المفاهيم لا تستطيع الإحاطة به سبحانه وكيف تحيط به صفة والصفات تقصر عن إدراك ساحة عظمتها، فإن قيل عنه عالم فقصدنا أن له علما لا كالعلم، وإن قيل قادر فإن له قدرة لا كالقدرة التي نعرفها، لذلك تنفي عنه الصفة تفصيلا في عين إثباتها له إجمالا، وفي نهج البلاغة معارف توحيدية تعد عماد الفلسفة الإسلامية فيما بعد قال السيد في الميزان: فالذي بينه القرآن الكريم من معنى التوحيد أول خطوة خطيت في تعليم هذه الحقيقة من المعرفة، غير أن أهل التفسير والمتعاطين لعلوم القرآن من الصحابة والتابعين ثم الذين يلونهم أهملوا هذا البحث الشريف، فهذه جوامع الحديث وكتب التفسير المأثورة منهم لا ترى فيها أثرا من هذه الحقيقة لا ببيان شارح، ولا بسلوك استدلالي، ولم نجد ما يكشف عنها غطاءها إلا ما ورد في كلام الإمام علي بن أبي طالب عليه أفضل السلام خاصة، فإن كلامه هو الفاتح لبابها، والرافع لسترها وحجابها على أهدى سبيل وأوضح طريق من البرهان، ثم ما وقع في كلام الفلاسفة الاسلاميين بعد الألف الهجري، وقد صرحوا بأنهم إنما استفادوه من كلامه عليه السلام. انتهى.

قوله (وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم) في الشرط أسلوب تهديد وإيعاد شديد من الله لهم، والانتهاه الامتناع والإقلاع،

واللام المقترن بفعل المس للقسم والنون لتأكيد الفعل، والمس أخص في الدلالة من اللمس لأنه يعني تغلغل ألم العذاب فيهم، فلذا يقال للمجنون به مس لمخالطة عقله الجنون.

قوله تعالى ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٧٤)

قوله (أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه) الجملة مفرعة على الوعيد السابق، والاستفهام إنكار وتوبيخ فيه حض على التوبة والاستغفار، فقد خرج من الاستفهام إلى الأمر بمعنى: توبوا، وتعدية الفعل بحرف الغاية (إلى) لتضمن الفعل معنى الرجوع، والاستغفار طلب المغفرة من الله، ودلالة الحضور استمرار الطلب.

قوله (والله غفور رحيم) إخبار متضمن معنى عفو الله عنهم، وفي الآية معنى عظيم لسعة رحمة الله وغفرانه حتى مع قبيح تخرصهم، إذ كل مفرداتها اشتملت على معنى العفو (تاب، يستغفرون، غفور، رحيم)، فضلا عن إظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار وغايته الرحمة وطمأنينة النفس.

قوله تعالى ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ

صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُيِّنْ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنِّي

يُؤْفَكُونَ ﴾ (٧٥)

قوله (ما المسيح بن مريم إلا رسول) الآية رد على مزاعم الطائفتين من أمة عيسى القائلين بألوهيته، بقصر المسيح بأسلوب النفي والاستثناء على صفة الرسالة في كونه مبعوثاً من الله، وفي لفظ المسيح وتعني المبارك من الله إشارة إلى بطلان ادعائه الها أو ولداً، إذ كيف يكون مباركا من الله ويسمى المسيح وهو الله أو ولد الله؟ وكذا إثبات البنية لأمه إبطال للألوهية المزعومة.

قوله (قد خلت من قبله الرسل) أي شأنه شأن الرسل الذين سبقوه كإبراهيم وإسحاق ويعقوب وموسى عليهم السلام يبعث ويموت، وفعل الخلو بمعنى الماضي، وكل شيء كان قبلك فقد سبقك، وتعريف الرسل للجنس لأن النبي ﷺ خاتمهم.

قوله (وأمه صديقة) تأكيد ذكر الأم بعد التصريح باسمها تأكيد للصفة البشرية لعيسى في كونه له أم مثل البشر، وصفة الصديقة تكثير لما عرفت به مريم من صدق إيمانها بآيات الله.

قوله (كانا يأكلان الطعام) كناية عن كونهما من البشر يحتاجان ما يحتاجه البشر من أكل وإفراغ، وهذه الصفات لا تنطبق على الإله بأي حال من الأحوال بل على الممكنات المصنوعات كعيسى وأمه وسائر البشر.

قوله (انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون) الأمر بفعل النظر خطاب للنبي ﷺ يفيد التعجيب، والاستفهام بـ (كيف) للحال مجرد من السؤال، والتبيين التوضيح والإظهار، وتعدية الفعل باللام في (لهم) للتأكيد،

وضمير الغائبين عائد إلى النصارى، والآيات العلامات الدالة على توحيد الله تعالى، و(ثم) للتعقيب الذكري، وتكرار فعل النظر إشارة إلى عناد النصارى وإصرارهم على الكفر مع وضوح البينات وصرف عقولهم عنها، و(أنى) بمعنى كيف، والإفك القول الكذب المصروف عن الحق، قال في المفردات: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤفكة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

قوله (قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا) فعل الأمر (قل) بمعنى: أخبرهم يا محمد، وهمزة الاستفهام لإنكار عبادتهم غير الله، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الإنكار في الاستفهام، لأن كل معبود غير الله لا يجلب خيرا ولا يدفع ضرا فلا ينطبق عليه مفهوم الألوهية الذي ينشده الإنسان.

والإبهام في (ما) يراد به مطلق المعبودات المتخذة من دون الله أصناما أو بشرا، لأنه لو استعمل (من) لانحصر بدلالة العقلاء فقط، والحال تريد الآية جميع المعبودات الباطلة أيا كانت لا تضر ولا تنفع لمن يتخذها إلها.

قوله (والله هو السميع العليم) إخبار تعليلي لبطلان عبادة غير الله، وصفة العليم السميع مقابلة في المعنى لصفة لا تضر ولا تنفع لما يُعبد من دون الله، والكلام مؤكد بقصرين ضمير الفصل وأل التعريف للفظ السميع.

قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ ﴿٧٧﴾

قوله (قل يا أهل الكتاب) الآية بيان تأكيد وعطي للقول الأول في صدر الآيات تضم الفريقين اليهود والنصارى.

قوله (لا تغلوا في دينكم غير الحق) نهى حقيقي عن أصل مشكلتهم، فقد تعصب اليهود لنبيهم وكتابهم حتى ادعوا أن نبيهم ختام الأنبياء وأن كتابهم المنزل لا كتاب بعده، وأنهم أمة مختارة أحباب الله لا تمسهم النار، وادعى النصارى لتعصبهم بأن المسيح ابن الله وأن لا نبي بعد عيسى، وكلاهما حرفا ما أنزل الله حسدا وبغيا، ويبدو أن الخطاب لعامة الناس زمن النبي ﷺ من اليهود والنصارى من دون علمائهم الضالين، والغلو والمغالاة تجاوز الحد إفراطا وتفريطا، و(في) للظرفية المجازية، ونصب (غير) على الحال، معمول فعل المغالاة، أي: لا تغلوا في دينكم مجاوزين الحق.

قوله (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل) الخطاب لعامة أهل الكتاب، ينهاهم عن الاقتداء بضلال علمائهم الضالين، والأهواء رغبات النفس المذمومة، واتباعها مجاز أريد به اتباع القوم الضالين للمبالغة، وجملة

الضلالة وصف للفظ القوم، وهم عبدة الأصنام المؤمنون بتعدد الآلهة ومنهم انسرب التثليث إلى أهل النصارى، وجملة (قد ضلوا من قبل) محلها الصفة للفظ القوم، وتدل على بعد عهدهم بعبادة الأصنام وتأثر أمة عيسى بهم، قال السيد في الميزان: فيكون ذلك حقيقة تحليلية تاريخية أشار إليها القرآن الكريم هي أن القول بالأبوة والبنوة مما تسرب إلى أهل الكتاب من قبل من تقدمهم من الوثنية. انتهى.

قوله (وأضلوا كثيرا) أي: هؤلاء القوم مسؤولون عن إضلال سواد الناس من اليهود والنصارى.

قوله (وضلوا عن سواء السبيل) أي: وكان نتيجته ضلالهم عن سبيل الإسلام المعتدل المؤدي إلى طريق النجاة، ففعل الإضلال على هذا المعنى ليس تكراراً، بل هو ضلال لمعنى ثان، وسواء السبيل استعارة بالكناية عن الميل عن قصد الطريق المؤدي بصاحبه إلى الغرض المنشود، ويراد به هنا الضلال عن الإسلام.

قوله تعالى ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٧٨)

قوله (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل) إخبار من الله تعالى عن كفر بني إسرائيل بدعاء أنبيائهم عليهم باللعن إمعاناً في إلقاء الحجة عليهم، واللعن الطرد من رحمة الله تعالى، و(من) للابتداء.

قوله (على لسان داوود وعيسى ابن مريم) يفيد (على) مجاز تمكن اللعن من السنة أنبياء اليهود نتيجة عصيانهم أنبياءهم، وذكر اللسان مجاز مرسل علاقته السببية يراد به ما ينتج عنه من الكلام، وقد كان ذلك من داوود وعيسى عليهما السلام حينما دعوا على بعض بني إسرائيل لنقضهم العهد ولعصيانهم وعدوانهم في أزمان منفصلة معهما.

قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) الفصل للتعليل، أي ذلك اللعن بسبب عصيانهم وتمردهم واعتدائهم الراسخ في طباعهم، والباء في (بما) تفيد السبب، و(ما) مصدرية، والتعبير بمضي الكون مع دلالة حضور فعل الاعتداء لإصرارهم عليه واستمراره منهم.

قوله تعالى ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (٧٩)

قوله (كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) فصل الكلام لتعليله ما سبق من ذكر لعن داوود وعيسى على بعض بني إسرائيل، وفيه دلالة على إصرارهم على فعل المنكر رغم علمهم بقبحه، وإلى الفعل الجمعي الذي يتشارك فيه في عدم الإقلاع عن المنكر بدلالة الفعل (يتناهون) أي: لا ينهى بعضهم بعضاً من فعل المنكر، والإبهام في تنكير لفظ المنكر يراد به تصور مطلق المنكرات، وقد يراد به العصيان والعدوان بدلالة الآية السابقة أي على تقدير: لا يتناهون عن منكر فعلوه من العصيان والعدوان.

قوله (لبئس ما كانوا يفعلون) قسم وضم من الله تعالى متضمن معنى الإيعاد على فعلهم.

قوله تعالى ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ ﴿٨٠﴾

قوله (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا) الخطاب في فعل الرؤية للنبي ﷺ، ولأتمته للإخبار عن تولية أهل الكتاب المشركين بغيا وعنادا، لأن التوحيد هو ما ينبغي أن يجمعهم مع أمة الإسلام لا موالاته المشركين ومحاباتهم وتصديقهم، والتعبير بالكثرة منهم لأن الانحراف عن الحق سجية لأغلب سواد الناس من اليهود والنصارى، وقد أكدتها الآيات المباركة في كل مناسبة.

قوله (لبئس ما قدمت لهم أنفسهم) قسم وضم من الله تعالى لصنيعهم متضمن الإيعاد لهم يوم القيامة بدلالة تقديم الأنفس لهم من أعمال في الحياة الدنيا.

قوله (أن سخط الله عليهم) المصدر المؤول (أن سخط) أي: سخط الله عليهم تمام جملة فعل الذم، وهو مجاز مرسل علاقته اعتبار ما سيؤول، والمعنى: لبئس ما قدمت لهم أنفسهم من فعل كان نتيجته سخط الله عليهم، والسخط شدة الغضب.

قوله (وفي العذاب هم خالدون) التقديم لشبه الجملة مشعر بغضب الله عليهم، ويوحى بتأكيد المعنى واستمكانه، وضمير الفصل (هم) للقصر، والخلود الدوام.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ ﴿٨١﴾

قوله (ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه) جملة افتراض، لبيان حال فسق اليهود وإعراضهم عن الإسلام، أي: ولو كان اليهود مصدقين مؤمنين بالله ورسوله وبالقرآن، ويمكن إفادة عموم الإيمان بأنبيائهم وبكتابهم.

قوله (ما اتخذوهم أولياء) جواب لو، بمعنى: ما اعتمدوا الكافرين المشركين أولياء تابعين لهم.

قوله (ولكن كثيرا منهم فاسقون) الاستدراك على جملة الافتراض لتأكيد أن أغلبهم خارجون على شرائع التوراة الحقّة وتضليل علمائهم الفاسدين لهم واعتيادهم على العناد.

قوله تعالى ﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ

قَالُوا إِنَّا نَصَرِيَّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيسِينَ وَرُهَبَانَا وَأَنَّهُمْ

لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾

قوله (لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا) الكلام في صفة فتني أهل الكتاب بالنسبة للمؤمنين، فيبين أن اليهود والمشركين مشتركان في العداوة الشديدة للمؤمنين، واللام المقترن بفعل الوجدان للقسم ونون التأكيد لتأكيد الفعل، والفعل بمعنى العلم، والعداوة انتصبت على التمييز من (أشد)، ومعناها الكراهة والمحاربة، واللام في (الذين آمنوا) متعلق بلفظ العداوة، ولفظ اليهود مفعول ثان لفعل الوجدان، وعطف (الذين أشركوا) عليهم لأن الحقد والحسد يجمعهما في عداوة المؤمنين.

قوله (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى) العطف لبيان النقيض، لذا الكلام يقابل ما سبقه، ولفظ القرب مجاز من الأعيان للقرب القلبي، لذا ناسبه مجيء لفظ المودة تمييزاً له، والمودة ميل قلبي، وانتصبت على التمييز، وجملة الموصول وصلته في ذكر النصارى موقعها المفعول الثانى، وجيء بها علة لبيان قربهم من المؤمنين إشارة إلى نصرتهم عيسى كما وصفوا أنفسهم.

قوله (ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا) لفظ الإشارة لاختصار القول المتقدم من مودة النصارى للمسلمين، وهي تمهيد لتعليل قربهم من المؤمنين، وهو ما اتصف به علماء النصارى من الانقطاع إلى التعبد وفرط الرهبة، وقيل

في لفظ القسيسين إنه معرب من الكشيش، والرهبان مبالغة في الرهبة والخوف من الله، والباء في (بأن) تفيد السبب.

قوله (وأنهم لا يستكبرون) أي: وبأنهم لا يستكبرون، فالجملّة تعليل آخر لميل النصارى للمؤمنين، والمراد أنهم متواضعون غير مستعلين موصوفون برقة القلب كما سترسمها الآية اللاحقة، وهذه الصفات الثلاثة هي التي أهلت قربهم من المؤمنين وهي: فيهم علماء زهاد ومنهم الرهبان والقسيسون، وأنهم غير مستكبرين، والاستكبار مبالغة في التكبر.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ۝١٣﴾

قوله (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول) الكلام في تفصيل صفة القسيسين والرهبان، فواو الجمع المقترن بفعل السمع عائد إليهم، لوصف حالهم وقت سماع القرآن، دال على ثناء الله عليهم لحسن إقبالهم على الإصغاء إلى آيات الله والتأثر بها، والتعبير بلفظ الرسول لتعظيم شأن نبينا.

قوله (ترى تفيض أعينهم من الدمع) الخطاب في فعل الرؤية للنبي ﷺ ولعموم من يرى، والفيض الامتلاء، والأعين جمع قلة للعين، وإسناد الفعل إليها مجاز عقلي لأنها مكان الدمع، والحقيقة أن الذي يفيض هو الدمع، والمراد المبالغة في تكثير معناه فكأن لكثرتة فاض مكان الدمع، والصورة

ذات دلالة مضمرة لخشوع القسيسين والرهبان حين سماع آيات الله في القرآن وانفعالهم معها، لأن من يتأثر بالشيء فيصل تأثيره إلى قلبه تفيض عينه دموعاً، ولا عجب فمن هؤلاء النجاشي ملك الحبشة فقد أسلم بمجرد سماعه آيات الله في شأن مريم العذراء، و(من) حرف ابتداء.

قوله (مما عرفوا من الحق) أي: بسبب ما عرفوا من الحق، ف(مما) مكونة من (من) بمعنى لام التعليل، و(ما) اسم موصول، والعرفان درجة عالية من العلم واليقين، وحرف الجر في (من الحق) للتبيين، والكلام كناية عن القرآن وصحة نسبة ما فيه إلى الغيب.

قوله (يقولون ربنا آمنة) الفصل لوقوع الجملة حالا من ضمير الجمع في (عرفوا) أي: قائلين، والإيمان التصديق بالنبى ﷺ وكتابه.

قوله (فاكتبنا مع الشاهدين) الفاء للتفريع على جملة الإيمان، وهو الدعاء لله بطلب الكتابة مع الشاهدين على صحة النبوة والكتاب، وفعل الكتابة للتأكيد لما فيه من دلالة التوثيق، بمعنى: اقض لنا قضاء محتوماً بأن نكون مع الشاهدين، وتعديته بحرف المعية لتضمنه معنى الصحبة وال لزوم.

قوله تعالى ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾

قوله (وما لنا لا نؤمن بالله) العطف لأن الكلام متصل عن أحوال علماء النصارى من القسيسين والرهبان، والاستفهام للإنكار بمعنى: وأي شيء يمنعنا من الإيمان بالله.

قوله (وما جاءنا من الحق) العطف بمعنى: وما لنا لا نؤمن بما جاءنا من الحق، كناية عن تبليغ الرسول ﷺ لهم آيات الكتاب العزيز، لذا يحتمل لفظ الحق الإشارة إلى القرآن، أو إلى الله تعالى، فمن أسمائه الحق، و(من) على الاحتمالين تفيد الابتداء.

قوله (ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين) الطمع شدة الرغبة يدل على شدة رجائهم في أن يجعلهم الله مع القوم الموصوفين بالصلاح في دخول الجنة.

قوله تعالى ﴿ فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾

قوله (فأثابهم الله بما قالوا جنات) الكلام مفرع على قول القسيسين والرهبان ورجائهم، بمثابة الله لهم بإدخالهم جناته، والمثابة عود الله عليهم بالثواب، والباء في (بما) للسبب.

قوله (تجري من تحتها الأنهار) تفصيل لطبيعة المثوبة من المكان الذي تمنوا الدخول إليه، وهي صورة تكررت في القرآن الكريم لتتشوف النفس إليها أكثر وتثير فيهم الرغبة بالعمل الصالح.

قوله (خالدين فيها) النصب على الحال، وفيه إشارة إلى طمأنة النفس بدوام البقاء في الجنة الموصوفة، لأن من شأن النعم في الدنيا ألا تدوم، بينما في الآخرة نعيم مقيم خالد.

قوله (وذلك جزاء المحسنين) الإخبار فيه مدح لهذه الفئة الصالحة من النصارى، وفي هذا الإطناب في صفة القلة الصالحة انتصاف لها ومراعاة لحقوقها من الضياع وسط الأغلبية الضالة من جمهور الملة الكتابية.

قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ



قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) العطف لإتمام الصور المتقابلة بين الصالحين والكافرين لأهل الكتاب، والكلام إخبار عن العلماء والأخبار والكهنة، فهؤلاء علموا بآيات الله ثم كفروا بها عنادا وإصرارا، بينما الصورة السابقة للقسيسين والرهبان يخشعون مع آيات الله.

قوله (أولئك أصحاب الجحيم) لفظ الإشارة لتمييزهم بوصفهم أحرىء بملازمتهم للجحيم، والتعبير بالجملة الإسمية لدوام المعنى.

قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) بعد ذكر أحوال الكتابيين انتظم سياق الآيات في خطاب استثنائي لمجتمع المؤمنين لبيان فروع الأحكام من اليمين والصيد والوصية ونحوها.

قوله (لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم) النهي عن تحريم ما أحل الله لما فيه من إشارة منازعة الله في سلطانه وحكمه واعتداء عليه لأنه تشريع مقابل تشريع ينافي مبدأ الإيمان به سبحانه، والحل مستعار من حل العقدة، والتقابل بين الإحرام والإحلال من جهة تخيل العقدة في المنع الذي هو معنى الحرمة ونحوها ثم مقابلته بالحل المستعار لمعنى الجواز والإباحة، والطيبات جمع الطيب، قال الراغب: وأصل الطيب ما تستلذه الحواس وما تستلذه النفس، والطعام الطيب في الشرع ما كان متناولاً من حيث ما يجوز، وبقدر ما يجوز، ومن المكان الذي يجوز فإنه متى كان كذلك كان طيباً عاجلاً وآجلاً لا يستوخم. انتهى. وذكر الطيبات والتصريح بلفظ الله لبيان علة النهي.

قوله (ولا تعتدوا) الاعتداء مجاوزة الحق، والنهي عنه لمكان قوله (ولا تحرموا) لأنه اعتداء على حق التشريع الإلهي، إذ لا يكون تشريع الأحكام إلا منه تعالى.

قوله (إن الله لا يحب المعتدين) الفصل لعلة النهي، وهو أنه تعالى يغضب على المعتدين المجاوزين حدودهم، وفي الحب عنه تعالى إشارة إلى سخطه وغضبه.

قوله تعالى ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾

وقوله (وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا) العطف بأمر الأكل على النهي عن التحريم لتقرير المعنى، والأكل مستعمل للتغذي حقيقة ولمطلق التصرف مجازا، و(من) في (مما) حرف ابتداء، و(ما) اسم موصول، والرزق لما ينتفع من الطعام، وإضافته إلى اسم الجلالة للتعظيم، وانتصب لفظ الحلال على الصفة لمقدر محذوف: رزقا حلالا، أو على أنه مفعول (كلوا) ويكون (مما رزقكم الله) متعلق بأمر الأكل أو موقعه الحال لـ (حلالا) تقدم عليه لكونه نكرة، كذا ذكر في الميزان. انتهى بتصرف. والقيود الوصفية للتأكيد على ألا مسوغ لاجتناب ما أحل الله على ما تقدم.

قوله (واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) الأمر للمؤمنين بتقوى الله يكون بالتزام أوامره تعالى في التحليل واجتناب نواهيه في التحريم، والإتيان باسم الموصول وصلته لتنظيم الحجة على المأمورين بالتقوى.

قوله تعالى ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ

ذَلِكَ كَفَّرَهُ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

قوله (لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم) نفي المؤاخذه بمعنى نفي المحاسبة،
والخطاب لعموم المؤمنين. والباء في (بالغو) متعلق بفعل المؤاخذه، واللغو
في الأيمان الزائد في القسم بالله نحو ما اعتيد عليه في البيع والشراء مثل:
لا والله، بلى والله، فالكثير منه يحصل على اللسان من دون قصد عقد نيته،
لذلك رفع الله تلطفاً منه بعباده رفع المحاسبة عليه، إذ لا أثر له في الأحكام
المبينة من بيع ونحوه، والأيمان جمع اليمين وهو القسم والحلف، واليمين
في الحلف مستعار من وضع اليد على الشيء من الصفقة، لذا وقع اسم
القسم على اليمين.

قوله (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان) الاستدراك على النفي السابق بـ
(لكن) لتأكيد ما بعده، وهو المؤاخذه بالقصد بتشديد عقد اليمين ثم حنثه
بدلالة المؤاخذه، لذلك جيء بالفعل مضعفاً، والعقد هو من العقدة لطرفي
الحبل لشده، وليكون مسكه أشد في القبضة فلا ينفلت، واستعير للأيمان من
هذا المعنى، وتعقيد اليمين فيه معنى القصد والتكلف، لذلك يعبأ به في
الأحكام الشرعية لأن قصد النية منعقد، نحو ما يكون من قصد الالتزام
مثل: والله لأفعلن كذا، والله لأتركن كذا.

وفائدة المقابلة بين المعاني في الكلام بين نفي المؤاخذه وتأكيدها لبيان اختلاف الحكم، بحسب نية الحالف.

قوله (فكفارته إطعام عشرة مساكين) الفاء للتفريع على الحكم بحنث اليمين على تقدير: فإن حنثتم فكفارته إطعام عشرة مساكين، والكفارة مبالغة في التكفير أي الستر، وهو لفظ مستعار لمعنى العمل الذي يستتر مساء المعصية، والمقصود بها كفارة الحنث باليمين، وأقسامها عدتها بإطعام عدد عشرة مساكين.

قوله (من أوسط ما تطعمون أهليكم) كناية عن الاعتدال في الإطعام من دون إسراف فيه، أي من الطعام الوسط في الأكل فلا هو عالي الثمن ولا هو من المبتذل الذي لا يأكله الناس عادة.

قوله (أو كسوتهم) أي: كسوة عشرة مساكين لكل منهم ثوب.

قوله (أو تحرير رقبة) أي: عتق رقبة عبد أو أمة، والتحرير الإطلاق، وذكر الرقبة مجاز مرسل لإرادة الكل بإطلاق الجزء، والترديد بـ (أو) دال على التخيير من هذه الأقسام من دون الإلزام بجمعها أو مراعاة ترتيبها عند الحنث باليمين.

قوله (فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام) الفاء لتفريع حكم الصيام ثلاثة أيام في حال انعدام القدرة على أداء الكفارات السابقة لأنها تستوجب مالا، والجزاء لإشعار المكلف بأهمية اليمين وحرمة.

قوله (ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم) لفظ الإشارة لاختصار الأحكام وإحضارها كأنها مشاهدة، أي: ذلك الحكم كفارة حنثكم بأيمانكم إذا حلفتم.

قوله (واحفظوا أيمانكم) الأمر بحفظ الأيمان بمعنى مراعاتها واحترامها بعدم الحنث بها.

قوله (كذلك يبين الله لكم آياته) كاف التشبيه ولفظ الإشارة بمعنى: مثل ذلك الحكم بالكفارات، وتبيين الله لآياته يتم بإظهارها وبيان منفعتها للناس بواسطة النبي ﷺ، واللام في (لكم) للتعدية متعلقة بفعل التبيين وتفيد التأكيد.

قوله (لعلكم تشكرون) جملة تعليل، أي: ليكون ذلك التبيين سبيلا لكم في شكره تعالى، لأنها من أنعامه التي يحفظ بها المؤمن من الوقوع في المعصية.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ﴿٩٠﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) خطاب المؤمنين بنداء بعد نداء لإفادة الإقبال على التكليف بعده، فسياق الآيات متصل في بيان الأحكام الشرعية وفروعها.

قوله (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان) القصر بـ (إنما) للتشديد على اجتناب المقصورات التي جاءت بعد الأداة،

وقصر هذه الموارد على الرجس أي النجس وخصه بعمل الشيطان، والأمر صراحة باجتنابه لانعدام الانتفاع وانعقاد الضرر على الفرد والمجتمع وهي: الخمر لخمرة العقل، والميسر (القمار)، والأنصاب وهي الأصنام أو الحجارة التي كانت تنصب لذبح القرابين وكانوا يتبركون بها، والأزلام وهي الأقداح التي يستقسم بها تفاؤلاً أو طيرة وحرمتها لتعرضها لدعوى علم الغيب، وكلها جرى التشديد على حرمتها. وكلها مما يبعد العبد عن ربه ويضله عن غرض وجوده، ويصنع البغضاء والفتن في المجتمع، ولذلك قيدت بأنها من عمل الشيطان لأنه هو الذي توعّد الإنسان بالعودة له في كل صراط مستقيم ليحرفه ويزل قدمه عن سواء السبيل كما في قوله تعالى (قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم) [الأعراف ١٦].

وفي الكلام حذف للمبالغة والإيجاز بتقدير: إنما شرب الخمر أو المتاجرة فيه، والمقامرة بالميسر، وعبادة الأنصاب، والاستقسام بالأزلام رجس.

والرجس القذارة المعنوية بدلالة نسبته إلى عمل الشيطان، ويراد بهذه النسبة التنفير منه، فكون صدور الأعمال المذكورة من الشيطان يعني أن فاعلها بمنزلته أيضاً.

قوله (فاجتنبوه) الفاء للتفريع على الإخبار، والاجتناب مبالغة في تركه والابتعاد عنه بأن يكون في جانب منه، وفي أمره دلالة الحرمة الشديدة. وضمير الهاء عائد على صفة الرجس للممنوعات المذكورات، بمعنى: فاجتنبوا التلبس بها.

قوله (لعلكم تفلحون) أي: لكي تظفروا بثواب الله ونعيمه.

قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١)

قوله (إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر) جملة تبين لمعنى كون المحرمات السابقة رجس من عمل الشيطان. فافتتحت بالقصر للتأكيد. وإرادة الشيطان إشارة إلى رغبته الشديدة في إيقاع العداوة بين بني آدم لوعده قطعه على نفسه الشريرة، وفعل الإيقاع استعارة من الإسقاط الشديد لإفادة تثبيت العداوة والبغضاء بين الناس، والعداوة من العدو، قال الراغب: العدو التجاوز ومنافاة الالتئام فتارة يعتبر بالقلب فيقال له العداوة والمعاداة، وتارة بالمشي فيقال له العدو، وتارة في الإخلال بالعدالة في المعاملة فيقال له العدوان والعدو، قال: (فيسبوا الله عدوا بغير علم) وتارة بأجزاء المقر فيقال له العداء، يقال مكان ذو عدواء أي غير متلائم الأجزاء. انتهى. وعن البغضاء قال: البغض نفار النفس عن الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب فإن الحب انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه. انتهى.

قوله (في الخمر والميسر) حرف الظرف (في) يفيد السبب، وحصر التقيد بالخمر والميسر لأنهما من أظهر مظاهر العداوة والبغضاء.

قوله (ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة) العطف لأنه إرادة أخرى للشيطان وهي منعهم من ذكر الله قلبا ولسانا، ومنعهم من إقامة الصلاة، وذكر الصلاة بعد الذكر إطناب في الكلام من باب ذكر الخاص بعد العام، فهي داخلة في الذكر، ولكن لأهميتها ذكرت منفردة، وكثيرا ما يذكرها القرآن بمزيد من الاهتمام.

قوله (فهل أنتم منتهون) الفاء للتفريع، والاستفهام مجاز يراد به الأمر والتوبيخ بدلالة التفريع، لأن المسلمين تمنعوا عن التناهي السابق عن الخمر قبل هذا النهي، فجاء هذا النهي مشددا موبخا لتساهلهم السابق في الانتهاك الوارد من قبل في سورتي الأعراف والبقرة.

قوله تعالى ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا
أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾

قوله (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الأمر بطاعة الله يكون بتوحيده والتزام أوامره ونواهيه، والأمر بطاعة الرسول يكون باتباعه والإيمان به، وإنما أعيد الأمر بالطاعة، للاهتمام والتأكيد، وجيء بالعطف لأن طاعة الرسول من طاعة الله، وتعريف الرسول للعهد الحضوري ويراد به الرسول محمد ﷺ.

قوله (واحدروا) أي: واحدروا من الاستخفاف بطاعة الله ورسوله، أو احدروا الشيطان ومكائده، والأول أولى مراعاة للسياق.

قوله (فإن توليتم) الفاء للتفريع، و(إن) أداة شرط، وفعل التولية كناية عن الإعراض عن طاعة الله وطاعة رسوله جملة فعل الشرط، والخطاب لعموم المسلمين.

قوله (فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين) الفاء المقترن بفعل العلم واقعة في الجزاء، وصيغة (فاعلموا) للتنبيه على جهلهم بالإخبار بقصر البلاغ على الرسول، دون مسؤوليته عن إعراضهم وضلالهم، و(أنما) بفتح الهمز تفيد الحصر، وحرف الجر (على) مجاز استعلائي بمعنى الفرض، أي: واجب رسولنا البلاغ المبين، وإضافة الرسول إلى نون العظمة زيادة في تفخيم شأن رسالة نبينا ومنزلته، والبلاغ إيصال الرسالة على أتم ما يكون وفي أبين طريق، ووصفه بالمبين لظهوره، ولقطع المعذرة على المتعللين بعدم الامتثال.

وفي الكلام التفات في تغيير الخطاب من الفعل في فعل الشرط (توليتم) إلى الإخبار بالجملة الإسمية، لأنها أثبت في دلالة أصل رسالة النبي ﷺ وهي التبليغ دون تكلف الهداية وتحمل مسؤولية من لا يهتدي، وفي الكلام معان مضمرة من التهديد الوعيد.

قوله تعالى ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله (ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح) الآية تنفي تأثيم المؤمنين العاملين قبل تشريع تحريم المحرمات السابقة إذا ما تابوا واتقوا، والجناح الجنحة والذنب، ويصح نفيها عن المؤمن فيقال: لا جناح عليه، ولا تقال للكافر لأنه مستحق للعقاب أصلاً، وتفيد (على) المجاز الاستعلائي، نفي تمكن الجناح من المؤمنين، ومن أبلغ إشارات الخطاب للمؤمنين ربط الإيمان بالعمل الصالح، إذ لا غنى للأول عن الثاني، والآية مبينة عن حال من ابتلي بشرب الخمر أو أكل مما حرم الله مما ذكر قبل تشريع التحريم فأخبرهم الله تعالى برفع الإثم عنهم في حال الالتزام بالإيمان والتقوى والإحسان.

قوله (فيما طعموا) تفيد (في) الظرفية الحقيقية، و(ما) اسم موصول، والإطعام التغذي يقال لمطلق الطعام أكله وشربه، نحو قوله تعالى (فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني) [البقرة ٢٤٩]، لذلك يدخل فيه الخمر وما أكل من القمار والميسر، وما ذبح على الأنصاب والأكل بالاستقسام.

قوله (إذا ما اتقوا وآمنوا و عملوا الصالحات) الشرط لتعليق نفي التأثيم بالتقوى والإيمان، والكلام تأكيد بعد تأكيد.

قوله (ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا) إعادة الكلام للتأكيد المشدد بالالتزام بالإيمان والتقوى، والتقوى من الوقاية، وهو مصطلح قرآني جديد يعني في جوهره العمل بما يعتقد به المؤمن عملاً يراعي به الحضور الغيبي الإلهي

المراقب، وربط التقوى بالإيمان والعمل الصالح ثم ربط التقوى بالإيمان ثم ربطها بالإحسان تأكيد في تأكيد، وفي تأكيدات هذه الآية وتفسيراتها كلام كثير في كتب التفسير يدور حول فهم تكرار التقوى ثلاث مرات، وعطف الإحسان على التقوى إطناب ومبالغة في التأكيد، لأن الإحسان فعل العمل الحسن وهو بعض مفهوم التقوى.

قوله (والله يحب المحسنين) إخبار تذييلي للترغيب على فعل الإحسان، وحب الله مجاز في قبول أعمال العبد ومجازاته عليها بالثواب.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَبَلُونَكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) نداء تشريف لأمة النبي ﷺ يراد منه الإقبال على الإخبار بشأن أحكام الصيد في الحج.

قوله (ليبلونكم الله بشيء من الصيد) اللام في فعل البلاء مؤذنة بالقسم والنون لتأكيد الفعل، والبلاء يراد به اختبار طاعة المؤمنين وإيمانهم، والباء في (بشيء) للتعدي، وتكثير لفظ الشيء لتقليل شأن الصيد وتحقيره لإفادة تهيتهم في الانتهاء عنه، و(من) للتبيين، وتحتل التبويض، والصيد مصدر يراد به المفعول المصيد.

قوله (تناله أيديكم ورماحكم) النيل التناول، تستعمل غالبا لما ينفع، والهاء فيه عائد إلى الصيد، والكلام كناية عن الصيد السهل باليد نحو فراخ الطير وصغار الحيوانات من التي يحل أكلها، أما العطف على الرماح وإضافته إلى كاف المؤمنين فهو من المجاز العقلي لأنه أسند فعل النيل إلى الرماح وأراد به اليد، مبالغة في الصيد بالسلاح، والكلام داخل في الكناية عن صعوبة الاصطياد ككبار الوحش.

قوله (ليعلم الله من يخافه بالغيب) اللام للغاية، والكلام تعليل للحرمة التي مهد لها بالإخبار، والله تعالى عالم بما كان وما يكون، وإنما ظهور خوف من يخافه في غيبه تعالى بمعنى العلم بموجود ظهر لا بمعنى العلم بعلم لم يكن، قال في المجمع: فالحدوث إنما يدخل على الخوف لا على العلم. انتهى. والكلام مضمونه الثناء على تجاوز الابتلاء.

قوله (فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم) الفاء للتفريع، والاعتداء المراد تجاوز حد التكليف بالصيد في الحج من بعد تشريع تحريره، والفاء في (فله) واقعة في الجواب (من) الشرطية، وتقديم الظرف للاهتمام، والعذاب الأليم النار المستمرة الموجهة، وصفة الأليم مبالغة في المؤلم، وفي الإتيان بجملة الجزاء بصيغة الجملة الاسمية لإفادة الثبوت واللزوم.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ

مِّنْكُمْ هَدِيًّا بَلِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَرَةً طَعَامُ مَسْكِينٍ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ
صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ
مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم) خطاب استثنائي لإفادة
التهئية لقبول ما بعده وهو النهي عن قتل الصيد في حال الإحرام لأداء
مناسك الحج أو العمرة، فالواو في (وأنتم حرم) تفيد الحال، والجملة
الإسمية الدالة على الثبوت بمعنى: محرمين، والحرم جمع الحرام والمحرم
الداخل في حرمة الزيارة، وباب اللفظ أصله المنع.

قوله (ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم) تفریع على النهي
حكم الصيد المتعمد أثناء الحج أو العمرة، وهو الحكم بالتضحية بمثل ما
صاد وقتل من النعم، والنعم الإبل والغنم والبقر بشرط وجود الإبل فيها،
وتطلق حتى لو انفردت الإبل بالذكر، وحرف الجر (من) تفيد الجنس في
الحالين، ونصب (متعمدا) على الحال، واختلف في المماثلة بين القيمة
والخلقة ولعل مصادر الفقه تكفلت في بيان ذلك.

قوله (يحكم به نوا عدل منكم) أي: يقضي بالجزاء من ملة التوحيد رجلا
عالمان بالفقه عدلان، ينظران في أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به.
كذا ذكر في المجمع. انتهى.

قوله (هديا بالغ الكعبة) النصب على الحال بمعنى: حال كون الجزاء هديا يضحى به في الحرم أو منى بحسب ما بينته السنة الشريفة، والبالغ بمعنى الواصل المحضر إلى حرم البيت، وحذف تنوينه للتخفيف وأصله: بالغاً الكعبة، والتصريح باسم الكعبة أفاد تعظيم البيت.

قوله (أو كفارة طعام مساكين) التردد للتخيير لا للجمع تخفيفاً للجزاء، والكفارة تؤخذ من عدل قيمة النعم المقتول وتنفق على المساكين، والمساكين الفقراء الذين أسكنهم الفقر عن الحركة، أي شدة الفقر.

قوله (أو عدل ذلك صياماً) العدل المثل، أي: يصوم عن كل مد ما يعادله من الصيام بحسب فقه السنة الشريفة، ونصب لفظ الصيام على التمييز.

قوله (ليذوق وبال أمره) جملة تعليل للجزاء، وفعل الذوق استعارة من تذوق اللسان، استعملت كثيراً لما يكره، مبالغة في صفة القرب والإحساس بالوبال، والتركيب في قوله (وبال أمره) كناية عن العاقبة الثقيلة الشديدة الوقع، وهي هنا فعل الصيد أثناء الحج.

قوله (عفا الله عما سلف) أي: العفو والصفح عما مضى من قتل الصيد قبل نزول الحرمة في هذه الآية، فالآية حاكمة برفع الجزاء عن الحالات السابقة على نزول التشريع.

قوله (ومن عاد فينتقم الله منه) أي: في حال تكرر الفعل منه ينتقم الله منه بعذاب لا يشمل الكفارة عليه.

قوله (والله عزيز ذو انتقام) كلام ظاهر الإخبار ومضمونه الوعيد الشديد للمصرين على مخالفة أمره تعالى، وإظهار لفظ الجلالة في موضع الإضمار للتعظيم. والعزيز من أسمائه العلى أي: عزيز لا يغالب في عزته وملكه، وإنما شدة العقاب فيمن يتعمد ويصر على الصيد لأن المكان له حرمة البالغة فهو يأمن من يقصده من الإنسان والحيوان، بل من المخلوقات كلها، وإن للبيوت حرمتها من الاعتداء، فكيف بحرمة بيت الجبار القهار.

قوله تعالى ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ



قوله (أحل لكم صيد البحر وطعامه) إخبار من الله تعالى للمؤمنين بإباحة صيد البحر الطري مما أحلته الشريعة وتغذيته، والبحر يشمل جميع المياه نهرا وبحرا.

قوله (متاعا لكم وللسيارة) نصب لفظ المتاع على الحال، والمتاع الزاد المؤقت الذي يحمله المسافر، والمعنى: متاعا للمقيم وللمسافر، والسيارة الجماعة الماضية في السير في الأرض.

قوله (وحرّم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) أي: وحرّم الله عليكم صيد البر اصطيدا وأكلا ما دمتم في حال الإحرام.

قوله (واتقوا الله الذي إليه تحشرون) أي: اتقوا الله في مراعاة أحكامه والالتزام بها، والإتيان باسم الموصول وصلته متضمن معنى التهديد الشديد، وتقديم المعمول (إليه) على عامله للقصر، والحشر البعث والجمع.

قوله تعالى ﴿ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَةَ ذَلِكَ لِنَعْمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ﴿٩٧﴾

قوله (جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس) أي جعل الله البيت الحرام مدلولاً عليه بالمقام لدينهم ولمعائشهم ومكاسبهم، والكعبة مكان بيت الله، قال في المجمع: سميت الكعبة كعبة لتربيعةها، وإنما قيل للمربع كعبة لنتوء زواياه الأربع، والكعوبة: النتوء، ومنه كعب الإنسان لنتوءه. انتهى. وانتصب لفظ القيام على المصدر من فعله قاموا، والقيام يراد به التدبير والتنشيط.

قوله (والشهر الحرام والهدي والقلائد) العطف بمعنى دخول الجملة في معنى القيام للناس، وتعريف الشهر الحرام للجنس، أطلق الواحد وأريد الأشهر الحرم الأربعة، وخص الهدي والقلائد بالذكر لأنهما من أسباب الحج، قال في المجمع: وكان أهل الجاهلية لا يغزون في أشهر الحرم، وكانوا ينصلون فيها الأسنة، ويتفرغ الناس فيها إلى معائشهم، وكان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم، فلا يخاف، وكانوا قد

توارثوه من دين إسماعيل عليه السلام، فبقوا عليه رحمة من الله لخلقه، إلى أن قام الاسلام، فحجزهم عن البغي والظلم. انتهى.

قوله (ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض) اسم الإشارة لجملة الجعل والعطف، واللام للتعليل بالإخبار بعلم الله بكل شيء في واسع مملكته.

قوله (وأن الله بكل شيء عليم) إخبار تأكيدى ثان بإحاطة الله بكل شيء.

ومحصل المعنى للآية: أن الله جعل البيت الحرام والشهر الحرام محل توحيد الناس، فتستقر به احوالهم، وتجتمع به قلوبهم متقربين إلى بيته بالقرابين من الهدى لتصل بهذا المعنى إلى حقيقة واسعة هي أن الله عليم بما في السماوات والأرض وما يصلح شؤونها.

قوله تعالى ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾



قوله (اعلموا أن الله شديد العقاب) فعل أمر العلم المخاطب به عموم المؤمنين لإفادة التنبيه على شدة عقاب الله في حال المخالفة وكثرة مغفرته وسعة رحمته لمن أطاعه.

قوله (وأن الله غفور رحيم) العطف بمعنى: واعلموا أن الله غفور رحيم، والجملة تقابل التي قبلها، والمراد تأكيد بيان ما تقدم.

قوله تعالى ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا

تَكْتُمُونَ ﴾ ﴿٩٩﴾

قوله (ما على الرسول إلا البلاغ) الإخبار بقصر البلاغ على الرسول لإفادة معنى التهديد، لأن مضمونه دال على أن الهداية والإضلال شأن إلهي على أساس استعداد العبد ومجازاته، وليس للرسول سوى إيصال رسالة الله بتوحيده تعالى وما يقتضيه من التزام بأوامره ونواهيه.

وتفيد (على) مجاز التمكن والوجوب، والبلاغ والإبلاغ أصله إيصال الخبر، ويمكن أن يفيد معنى الرسول عموم المرسلين أو بمعنى الرسول محمد ﷺ فالحكم واحد، والإرسال الإطلاق، قال في المجمع: والفرق بين الإرسال والإنباء أن الإنباء عن الشيء قد يكون من غير تحميل النبأ، والإرسال لا يكون إلا بتحميل الرسالة. انتهى. وعلى هذا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

قوله (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) إخبار آخر ظاهره علم الله بكل إسرار وإعلان ومضمونه متصل بالتهديد والوعيد، والكلام فيه تقابل لافت بين جملي الإبداء والكتمان، والتصريح بلفظ الجلالة لإفادة القصر بمعنى والله وحده يعلم ما تبدون وما تكتمون.

قوله تعالى ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ
الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴾ ﴿١٠٠﴾

قوله (قل لا يستوي الخبيث والطيب) الخطاب في (قل) للنبي ﷺ والمراد به أمته وذلك أسلوب قرآني شائع، ونفي الاستواء بمعنى نفي التساوي. والخبيث والطيب صفات لموصوف محذوف يعني به كل عمل قبيح وحسن أو كل حرام وحلال، وإنما بدأ بالخبيث أولاً لأن النفس تميل بطبعها نحو كل ما منع منها، وقد يكون ميسوراً تناوله متاحاً للإغراء بفعله ولذلك تعقب بقوله (ولو أعجبك كثرة الخبيث). وفيه تحذير من الكثرة إذ ليست دائماً دليل على الحق، ومن هنا قد يأتي التعجيب بها، والخطاب للعموم، والإعجاب سرور يداخل النفس.

قوله (فاتقوا الله يا أولي الأبواب) تفرع على ما تقدم الأمر بتقوى الله وخاطب أصحاب العقول لتهييجهم على الترغيب بالتقوى، والأبواب جمع لب كناية عن العقل لأن العقل أصل جوهر الإنسان وزبدة كيانه.

قوله (لعلكم تفلحون) أي: لعلكم تظفرون بالفوز برضى الله وجناته.

قوله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَ لَكُمْ
تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلَ الْقُرْءَانُ تُبَدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا
وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ ﴿١٠١﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) نداء بعد نداء للمؤمنين لتكليفهم مرة وتوجيههم مرة أخرى.

قوله (لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم) ظاهر السياق أن النهي الواقع عن السؤال في الأمور التي يضر انكشاف حالها بالسائل، فلربما لا يصدقها أو تأخذ الأنفة والعصبية إلى عدم التصديق بها، ومن ثم تكذيب الرسول فيها، نحو أن تشتمل على ما يسوء الإنسان ويحزنه كظهور أن الأجل قريب أو أن العقابة وخيمة أو أن أباه في الواقع غير ما يدعى إليه، فجواب مثل هذه المسائل غير ذي منفعة ويعود بالضرر على أصل الإيمان، والتعبير عن سؤالهم بلفظ اسم الجمع (أشياء) على التثنية لإفادة تحقيرها.

قوله (إن تبد لكم تسؤكم) جملة الشرط موقعها الصفة للفظ (أشياء)، والإبداء الإظهار والسوء كما قال الراغب: كل ما يغم الإنسان من الأمور الدنيوية والأخروية ومن الأحوال النفسية والبدنية والخارجية من فوات مال وجاه وفقد حميم. انتهى.

قوله (وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) العطف لإفادة توجيه السؤال عن الأشياء المفيدة للسائلين، لذا ارتبط إظهار الأشياء المسؤول عنها بنزولها في القرآن للإشارة إلى المصلحة المتوخاة فالله أعلم بما ينفع عباده ولا يأتي القرآن إلا بما يشفي صدور المؤمنين ويقوم ما اعوج منهم ويهديهم سبيل الرشاد، وضمير الهاء في (عنها) راجع إلى لفظ الأشياء

ويراد بها ما يتعلق بالأحكام الشرعية ومتعلقاتها، ومعنى نزول القرآن نزول الحكم المقروء في الكتاب العزيز.

قوله (عفا الله عنها) أي: ترك الله جواب الأشياء المسؤول عنها. والعفو المحو والترك، وتعديفة فعله بـ (عن) لتجاوزه تعالى لها، والهاء المقترن بها راجع إلى الأشياء، والكلام تعليل للنهي لذلك فصل ولم يوصل، قال في الميزان: وهذا التعبير - أعني تعديفة العفو بـ (عن) - أحسن شاهد على أن المراد بالأشياء المذكورة هي الأمور الراجعة إلى الشرائع والأحكام، ولو كانت من قبيل الأمور الكونية كان كالمتمعين أن يقال: عفاها الله. انتهى.

وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام: إن الله افترض عليكم فرائض فلا تضيعوها وحد لكم حدودا فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها نسيانا فلا تتكلفوها. انتهى.

قوله (والله غفور حلیم) تذييل إخباري لما تقدم، وهو أنه تعالى كثير الغفران يبسر على عباده ويخفف عنهم، وكثير الحلم بعباده الملحين بالسؤال عما لا ينفعهم.

قوله تعالى ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّنْ قَبْلِكَ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴾

قوله (قد سألتها قوم من قبلكم) الكلام متعلق بقوله تعالى (عفا الله عنها)، إخبار منه تعالى بعاقبة قوم سألوا مثل ذلك على سبيل الكف والاعتاظ، وتعديفة فعل السؤال بنفسه بمعنى طلبها، والهاء عائد إلى الأشياء، بمعنى:

طلب جوابها، وإيهام تعريف لفظ القوم لتكرار سؤال الأمم السابقة التي يمكن فهم انطباق معنى الآية عليهم نحو سؤال الناقة من قوم صالح، وسؤال الحواريين في قصة المائدة أو بعض أحوال بني إسرائيل.

قوله (ثم أصبحوا بها كافرين) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، والباء في (بها) متعلق بلفظ الكافرين، ويمكن إفادة السبب، والهاء راجع إلى الأشياء المسئول عنها، وتقدم الظرف للأهمية. والكفر يراد به الجحد والإنكار.

وفي الآية وعظ عميق للمؤمنين في اختيار النافع من السؤال الذي يضمن معرفة جوابه تمتين العقيدة والثبات عليها.

قوله تعالى ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (١٣) ﴿

قوله (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) الآية تنفي أن يكون الله جعل لهذه الأنعام المذكورة أي حكم خاص اختلقه العرب الجاهليون لها كنوع من التقديس والتحرير ونسبوا الحكم لله، وهي من بعض عاداتهم شرعوا فيها لأنفسهم ما يرغبون، فقد رأوا أن لبعض أصناف النعم أحكاما خاصة مثل هذه الأصناف الأربعة التي أبطلتها الآية الكريمة وهي:

أولاً. البهيرة: هي الناقة التي نتجت خمسة أبطن، فإذا كان الخامس ذكراً بحروا أذنّها، أي: شقوها وامتنعوا عن ركوبها ونحرها، وقيل غير ذلك مما يضاف أو ينقص من الحوم حول أصل المعنى.

ثانياً. السائبة: وهي الناقة التي تنذر للأصنام فتسيب لقدم من سفر أو برء من مرض ونحوه.

ثالثاً. الوصيلة: وهي الشاة من الغنم، وكانوا إذا ولدت الشاة ذكراً أهدوه إلى آلهم، وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها، فلم يذبحوا الذكر لآلهم. وقيل غير ذلك مما يقرب المعنى.

رابعاً. الحامي: هو الذكر من الإبل، كأنه إذا أنتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمى ظهره، فلا يحمل عليه، ولا يمنع من ماء أو مرعى.

قوله (ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب) الاستدراك بـ (لكن) للتنبيه والتأكيد بأن الافتراء على الله من شأن الكافرين، وإيراد لفظ الكذب بعد فعل الافتراء للمبالغة.

قوله (وأكثرهم لا يعقلون) نفي العقل عن غالبهم، لأن نسبة تلك الأحكام على الأنعام إلى الله من فعل أهل الجهل.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٠٤﴾

قوله (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول) العطف والشرط لبيان أحوال أخرى للجاهليين المشركين، فذكر تعللهم بالتمسك بسنة آبائهم في حال دعوتهم إلى الإيمان بالقرآن والنبى ﷺ.

والأمر في (تعالوا) كناية عن الإقبال على الإيمان بالقرآن والرسول واتباعهما، وأصل الفعل العلو، واستعمل باللسان العربي للإقبال، والتعبير عن القرآن بـ (ما أنزل الله) لتعظيمه وتفخيم شأنه، وكذا تعريف الرسول للعهد والتعظيم، وتكرار حرف الغاية (إلى) للتأكيد في الدعوة إلى الإقبال على الرسول ﷺ والأخذ بسنته الشريفة.

قوله (قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا) أي: أجاب المشركون نكتفي بميراث آبائنا في عبادة الأصنام وتقاليدهم البالية، وفعل الحسب أصله الغنى والاكتفاء، وفعل الوجدان بمعنى العلم والإدراك لما تركه لهم آبائهم من سنة.

والآية تعرض الطبيعة المتعصبة لتقاليد بالية زعم متبعوها القدسية والصحة لمجرد قدمها، فاتبعوها اتباعاً أعمى، منعوا بسببه أن تنطلق عقولهم من أسر تقليد الآباء في أمور التعبد أو تفاصيل الحياة المختلفة،

وهو أمر كأن الأمم اتفقت عليه طوال تاريخها فتصر على عنادها في الكفر متبعة رؤوس كفارها من دون أدنى تفكر وتدبر.

قوله (أولو كان أبؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) الاستفهام يفيد الإنكار، و(لو) أداة افتراض آبائهم جهلاء ضالين، والكلام احتجاج عقلي للاستدلال على عدم الاتباع الأعمى للآباء، إذ ليس من العقل اتباع الجاهل الذي يعبد حجارة لا تضر ولا تنفع لمجرد قدم فعله.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم) استئناف ابتدائي للإعراض عن الجاهليين، ببناء المؤمنين للأخذ بالوعظ والنصح، وصيغة (عليكم أنفسكم) بمعنى اسم فعل الأمر أي: الزموا أمر أنفسكم واعتنوا بالأخذ بنصحها.

قوله (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) جملة تبيين لمعنى (عليكم أنفسكم) وإلزامها سبيل الهداية. وفي الكلام ثلاثة أساليب مختلفة في موقف واحد منحته رفعة عجيبة من البلاغة، جملة النهي وجملة الموصول وجملة الشرط، زد عليها الترديد الصوتي في التجنيس بين (ضر) و(ضل)، والتقابل المعنوي بين جملي الضلال والاهتداء.

قوله (إلى الله مرجعكم جميعاً) الفصل لتعليل أمر الإلزام، لأن الطاعة والعصيان يجازي عليها الله تعالى يوم القيامة، والإخبار المؤكد بقصر

مرجع الجميع على الله وحده متضمن معنى الإثابة على الطاعة والإساءة على العصيان، وحرف الجر (إلى) يفيد انتهاء غاية الرجوع إلى الله، وانتصب (جميعا) على الحال، لتأكيد شمول الخلق كلهم بهذا الأمر المحتوم فلا يفلت أحد من الحساب.

قوله (فينبئكم بما كنتم تعملون) جملة الفاء لتفريع إخبار على إخبار، وظاهر المعنى أن الله ينبيئ المحشورين جميعا بأعمالهم في حياتهم الدنيا، ومضمونه أنه يجازيهم عليها جزاء وافيا من دون نقصان. والكلام واضح الاتصال بما سبقه، ولا يخلو من تعليل لمسألة الرجوع وهي المحاسبة والجزاء.

قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِّنْ غَيْرِكُمْ إِن أَنْتُمْ ضَرَيْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيقْسِمَانِ بِاللّٰهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٦﴾﴾

قوله (يا أيها الذين آمنوا) نداء تهيئة للمؤمنين لاستقبال أمر التكليف بأسلوب الإخبار، فالآية وما بعدها في بيان أحكام الوصية وشروطها، ووجوب الإيصاء قبل وقوع الموت لتحقيق العدالة والتنظيم.

قوله (شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم) أي: شهادة حالكم إذا نزل الموت بأحدكم وقت الوصية شهادة اثنين ذوي عدل من المؤمنين، فعلى هذا يكون لفظ الشهادة مبتدأ، وظرف الوصية متعلق بالشهادة، و(اثنان) بتقدير: شهادة اثنين، وذوي عدل صفة لهما، والظرف (منكم) صفة أخرى بمعنى مؤمنين.

وحضور الموت كناية عن حضور سببه، لأن الموت لا يحضر. أقام المضاف مكان المضاف إليه. ودلالة الحضور المشاهدة والعيان بمعنى التحقيق اليقيني بقبض الروح، والتعبير من الصياغات القرآنية الفريدة في مجاز إشراف المرء على الموت، وجواب (إذا) محذوف دل عليه ما تقدمه في قوله (شهادة بينكم).

قوله (أو آخرا من غيركم) تفيد (أو) التردد، وقوله (من غيركم) موقعه الصفة للفظ الآخرين، بمعنى إمكان شهادة اثنين آخرين من غير المسلمين من ملة أخرى كأهل الكتاب.

قوله (إن أنتم ضربتم في الأرض) جملة الشرط متعلقة بما قبلها، أي: إن كنتم على سفر فاشهدوا اثنين عدلين مؤمنين فإن لم تجدوا فآخرين من أهل الكتاب، وفعل الضرب المضى في الأرض للتجارة ونحوها، وتعريف الأرض للعموم.

قوله (فأصابتكم مصيبة الموت) الفاء للتعقيب الذكري، وفعل الإصابة للتعيين، والمصيبة أي الحدث أو السبب الذي يصيب فلا يخطئ، وإضافته للموت من إضافة الصفة إلى الموصوف للمبالغة.

قوله (تحبسونهما من بعد الصلاة) أي: توقفون الشاهدين من غير المسلمين بعد الصلاة، كناية عن تمكينهما من الشهادة للاستيثاق من الوصية، والجملة موقعها الصفة لـ (أخران)، ويبدو من ظاهر السياق أن إيقاف الشاهدين للقسم بعد الصلاة تغليظ لليمين، والصلاة تعني ذكر الله ودعاءه.

قوله (فيقسمان بالله إن ارتبتم) الفاء للعطف على ما قبلها، أي: يقسم الشاهدان على صدق شهادتهما في حال شك أولياء الميت بهما.

قوله (لا نشترى به ثمنا) جملة تبين لفعل القسم، وفعل الاشتراء استعارة بالكناية عن الاستبدال، والمبالغة في الشهادة بالعدل والصدق، والمراد أن يقسم البديلان للشهادة في الوصية بعدم انحرافها.

قوله (ولو كان ذا قربى) أي: ولو كان الميت الذي نشهد في وصيته ذا قربى، وإنما جيء بجملة الفرض لتأكيد صحة الشهادة في كون الشاهد لا يشهد بضد قريبه.

قوله (ولا نكتم شهادة الله) جملة تقرير لما قبلها، وإضافة لفظ الشهادة إلى اسم الله لتعظيمها.

قوله (إنا إذا لمن الآثمين) الكلام من تنمة الشاهدين، لتأكيد صدقهما، و(إذن) حرف جزاء، والآثم المذنب.

ومحصل معنى الآية: أن من كان على سفر وأراد أن يوصى فعليه أن يشهد حين الوصية شاهدين عدلين من المسلمين، وإن لم يجد فشاهدين آخرين من غير المسلمين من أهل الكتاب، فإن ارتاب أولياء الميت في أمر الوصية يحبس الشاهدان بعد الصلاة فيقسمان بالله على صدقهما فيما يشهدان عليه.

قوله تعالى ﴿ فَإِنْ عَثَرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اُتَّحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوَّلَيْنِ فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهِدْتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتِيهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾

قوله (فإن عثر على أنهما استحقا إثما) الفاء لتفريع حكم على الحكم السابق، وهو في حال اتضح كذب الشاهدين، والعثور الإيجاد بتكلف ويراد به الاطلاع، و(على) لتعدية الفعل، وضمير التثنية عائد إلى الشاهدين، واستحقاقهما الإثم كناية عن عقوبتهما لتزويرهما الشهادة.

قوله (فآخران يقومان مقامهما) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية، أي: فشاهدان بديلان من الشاهدين الكاذبين.

قوله (من الذين استحق عليهم الأوليان) أي: من الذين تنطبق عليهما صفات العدالة والاستقامة التي اشترط بهما على الشاهدين الأوليين.

قوله (فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا) الفاء للتعقيب الذكري، أي فيقسمان لتأكيد صدق شهادتهما على شهادة السابقين، والقسم بنفي الاعتداء إشارة إلى تأكيدهما قول الصدق في حفظ الحق وعدم تجاوزه.

قوله (إنا إذا لمن الظالمين) إخبار منهما على تأكيد صدق شهادتهما.

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنٌ بَعْدَ أَيْمَنِهِمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا وَلِلَّهِ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ﴿١٠٨﴾

قوله (ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها) الكلام تعليل للقيود السابقة على شهادة الشاهدين، أي: لأن ذلك القيد أقل ما يشترط على إتيان الشهادة بوصية الموصي على صورتها الصادقة، والدنو القرب المجازي بمعنى العلم والصدق.. وضمير الجمع في (يأتوا) عائد إلى مجموع الشهداء، ومضمونه التأدية، و(على) مجاز استعلائي، والإتيان بلفظ الوجه استعارة للشهادة مبالغة في إيرادها على أوضح ما يكون لأن بالوجه تتميز الصور والأشكال عادة.

قوله (أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم) تفيد (أو) التقسيم لتعليل القيود السابقة، بمعنى: حتى تمنع انقلاب أيمان الشهداء لغير صالح الموصي،

فالكلام كناية عن خيانة مدعي الشهادة، والرد أصله للأعراض، واستعمل بمعنى الرجوع عن أيمانهم المغلظة التي عبر بأيمان بعد أيمان.

قوله (واتقوا الله واسمعوا) أي: واتقوا الله بحفظ الوصية واقبلوا بما شرع الله وافهموه، ففعل السماع مجاز للفهم والقبول لما يلقي من كلام، لأن السمع أحد منافذ العلم.

قوله (والله لا يهدي القوم الفاسقين) إخبار متضمن معنى التهديد بإبعاد الخائنين الفاسقين من هداية الله وتنزيلهم منزلة الخارجين على شريعة الله.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا أَنْتَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (١٠٩)

قوله (يوم يجمع الله الرسل) لما كان الكلام عن الشهادة اتصلت الآية بها للإخبار عن شهادة رسله يوم القيامة، على عادة الأسلوب القرآني في إتمام المعاني وتدرج الكلام ليكون سبيلا للزجر والوعظ، والإبهام في لفظ اليوم للتعظيم، فهو كناية عن يوم القيامة لأن فيه يتحقق جمع الرسل والخلق، ويحتمل أن يكون الظرف متعلق بعامل محذوف تقديره: واتقوا، وتعريف الرسل لإفادة عموم الرسل، والكلام إخبار من الله تعالى عن بعض غيبه.

قوله (فيقول ماذا أجبتكم) الفاء للتفريع، والاستفهام للتقرير لإفادة ما بعده من توبيخ المكذابين، والمراد تبيان حقيقة الخلق العاصين، أي: يسأل الله رسله بماذا أجابكم أقوامكم حين بلغتكمهم رسالتي بتوحيدي والعمل بأوامري.

قوله (قالوا لا علم لنا) أجاب الرسل بالنفي لأدب النبوة العالي، ورعاية للحضور الإلهي، فهو ليس نفيا لمطلق العلم بل لحق العلم الذي لا يخلو عن التعلق بالغيب، وهو ليس جوابا نهائيا لا جواب بعده، ولكنهم لما كانوا أمام الحضرة الإلهية كان من حق العبودية عليهم أن يجيبوا بمقدار علمهم الذي لا يوازي شيئا أمام عمق الغيب الذي لا يعلمه غيره سبحانه لهذا بدؤوا جوابهم بالنفي.

قوله (إنك أنت علام الغيوب) تأكيد لأدب الجواب من الرسل، وتعليل لنفيهم بإثبات علم الله للغيوب كلها التي ينتفي بها علم الرسل، فانتقلوا به من ذكر الخاص إلى ذكر العام، وفي الكلام تأكيدات كثيرة لرسوخ يقين الأنبياء بمعرفة ربهم، نحو الابتداء بحرف مؤكد أعقبه بضمير الشأن للقصر تلاه اختيار صيغة (علام) للمبالغة في العلم تأكيدا لاختصاص الله بالغيب.

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ
وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا
وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ خَلَقُ مِنْ
الطِّينِ كَهْيَةَ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ
الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي

إِسْرَائِيلَ عِنْدَكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴿١١١﴾

قوله (إذ قال الله يا عيسى بن مريم) العامل في الظرف (إذ) يحتمل الابتداء عطفا على (يوم يجمع) بتقدير: وذلك إذ، أو بتقدير: اذكر إذ، قال به صاحب المجمع. انتهى. والخطاب لعيسى يراد به الإقرار فيما ستذكر من نعم ومعجزات على يده ﷺ، ولا يراد بها الإجابة حتما، لأن عيسى مؤمن بها أصلا، وخطابه بذكر بنوته لأمه لإنكار أن يدعى بالألوهية وللإشارة إلى أنه بشر له أم.

قوله (اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك) الأمر من الله لعيسى بذكر نعم الله عليه وعلى والدته والمراد توبيخ قومه الذين ألوهوه ومحاسبتهم، لأن عيسى وأمه عبدان لله مؤمنان، وإفراد النعمة للجنس، وحرف الاستعلاء لتمكن النعم من عيسى ووالدته واستقرارها فيهما، وتكرار الحرف للتأكيد.

وعدت الآية سبع نعم عليه وعلى أمه وجمعهما بالنعم لأن حالهما واحد من الفضل والرعاية من الله.

قوله (إذ أيدتك بروح القدس) العامل في الظرف (إذ) فعل الأمر (اذكر)، والتأييد النصر والمعونة، وروح القدس كناية عن جبريل رئيس الملائكة، وسماه الله في موضع آخر بالروح الأمين، ولفظ الروح أمر من الله قال عنه الراغب: وجعل اسما للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب

المنافع واستدفاع المضار. انتهى. وإضافته إلى القدس لتعظيمه، والقدس إشارة إلى الله تعالى مبالغة في التنزيه والتقديس، والتأييد لازم عيسى عليه السلام منذ ولادته حتى رفعه إلى السماء.

قوله (تكلم الناس في المهد وكهلا) جملة تفسير ونتيجة للتأييد لذلك فصلت ولم تعطف، لأن سياق اتصالها يدل على أن التأييد الذي جعله الله تعالى لعيسى سبب في تكليم الناس في المهد، وهو السبب فيما سيستقبل من كهولته عند نزوله بعد رفعه. والتكليم إيصال المعنى بألفاظ الكلام المفهوم، ولفظ الناس للعموم وأريد بهم بنو إسرائيل، وجملة الظرف موقعها الحال، و(في) للظرفية الحقيقية، والمهد سرير الطفل وفرشه، كناية عن معجزته بالكلام في غير أوان عمره الطبيعي، والكهل الشيخ الكبير السن إشارة إلى انتظاره بعد رفعه إلى السماء ونزوله إلى الأرض يوم خروج المهدي عجل الله تعالى آخر الزمان.

قوله (وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) العطف بمعنى: واذكر يا عيسى إذ، والتعليم التفهيم من الله تعالى لعيسى نعمة منه تعالى عليه بتفهمه الكتب المذكورة دفعة واحدة من دون تدريج. وتعريف الكتاب للجنس، والحكمة إشارة إلى سداد الشريعة.

رابعا: (وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني) نسبة الخلق إلى عيسى مجازا لأن صورة خلق الطير من الطين في حقيقته الإيجاد، وهو في الأصل من شأن الله، فلذا تحرز بلفظ التشبيه

(كهياة الطير) وقوله (باذني) من توهم إمكان فعل الخلق من مخلوق على جهة الاستقلال من إرادة الله تعالى، و(من) للابتداء، والطين التراب المختلط بالماء، والهيئة الصورة للمضمون، والطير معروف، لفظ يقال للمفرد والجمع، والباء في (باذني) تفيد السبب، أي: بسبب علمي، والفاء المقترن بفعل النفخ للتعقيب الذكري، والنفخ دفع الهواء بالفم يراد به تلبيس الطير بروح الحياة، والهاء في (فيها) عائد إلى الطير، والفاء في (فتكون) للترتيب الكلامي، وتكرار الإذن للاحتراز.

قوله (وتبرئ الأكمه والأبرص باذني) العطف لأنه ما ذكر من جملة النعم على عيسى، والإبراء الإشفاء والأكمه الأعمى، والأبرص المصاب بالجذام.

قوله (وإذ تخرج الموتى باذني) العطف بمعنى: واذكر إذ أيدتك، وإخراج الموتى كناية عن إحيائهم، بإفاضة الحياة عليهم، وفي لفظ الموتى معنى كثرة من أحياهم.

وإعادة لفظ الإذن أربع مرات منسوبا إلى ذاته تعالى بسبب إسناد فعل من أفعاله تعالى إلى غيره من خلقه، فلم يكن التشديد بتكرار اللفظ في كل مظاهر النعم والمعجزات، وإنما في الموارد التي قد يختلط فيها على الناس بأنه إله، لأنها في عرف البشر من صنع الإله فقط نحو تكليم الناس وهو في المهد، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى، فجرى تكرارها

للإيدان بأنها من تفويض الله لعبده عيسى وليست من صنع عيسى على وجه الأصالة.

قوله (وإذ كفت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات) الكف المنع، وتعدية الفعل بحرف التجاوز لتضمنه معنى الإبعاد، والمقصود حفظ الله لعيسى من مكائد اليهود حين دعوتهم إلى إحياء الشريعة الحقة التي جاء بها موسى، وجملة الظرف (إذ جئتهم بالبينات) تفسير لجملة الكف، والبينات الحجج والبراهين الواضحة.

وقوله (فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين) الكلام تخلص وانتقال من تعداد النعم إلى تقرير الكافرين الجاحدين ببراهين عيسى ومعجزاته، التي عبروا عنها بأنها سحر واضح لا شك فيه واستعملت التأكيدات بالقصر والجملة الإسمية لما رسخ في نفوس بني إسرائيل من كفر جحد، فالإتيان بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، ليوحي بتمكن معنى الكفر والضلالة في نفوسهم، فهم لضلالتهم متيقنون بأن ما جاء به عيسى هو السحر ولا يمكن أن يكون بتفويض من الله لأنهم لا يريدون أن يؤمنوا بأن عيسى رسول.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ ءَامِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا ءَامِنًا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾

قوله (واذ أوحيت إلى الحواريين) الواو لاتصال الكلام عن تمام نعم الله على عيسى عليه السلام، فالظرفية (إذ) بقرينة العطف يمكن أن تكون الآية نعمة أخرى أنعم بها الله على عيسى، فالحواريون فئة من الأصفياء من أصحابه قيضهم الله له لإتمام رسالته من بعده، والوحي لهم يتم بإلهامهم، وذكر صاحب المجمع في أصل لفظ الحواريين فقال: الحواري: خالصة الرجل وخلصاؤه من الخبز الحواري، لأنه أخلص لبه من كل ما يشوبه، وأصله الخلوص، ومنه حار يحور: إذا رجع إلى حال الخلوص، ثم كثر حتى قيل لكل راجع. انتهى.

قوله (أن آمنوا بي وبرسولي) جملة تبين لفعل الوحي، والمقصود بالإيمان التصديق، وتكرار الباء للتأكيد، أي: صدقوا بآياتي وصفاتي، وصدقوا بعيسى عبدا ونبيا لي، ونسبة لفظ الرسول إلى ياء الجلالة لتعظيم شأن عيسى عليه السلام.

قوله (قالوا آمنة واشهد بأننا مسلمون) أجاب الحواريون بالإيجاب وأكدوا إيمانهم بإشهاد ربهم على تسليمهم لله إشارة إلى علو معرفتهم في الإيمان بالله.

قوله تعالى ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۖ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝﴾

قوله (إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم) العامل في (إذ) فعل تقديره: واذكر، والمعنى: واذكر وقت، والحواريون خالصة أصحاب عيسى عليه السلام، وخطاب تقييد عيسى بأمه دائما في القرآن لقطع العذر على من يدعي أنه إله.

قوله (هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء) أخطأ الحواريون في سؤالهم عيسى شكلا ومضمونا إذ ليس من الأدب مخاطبة الله تعالى بفعل الاستطاعة، لأنها مقتضية للآلة، ولذا لم يوصف الله بها، فلم يقل: مستطيع، بل قيل: قادر، وربما كان سؤالهم كما قال الراغب: قبل أن قويت معرفتهم بالله، وقيل إنهم لم يقصدوا قصد القدرة، وإنما قصدوا أنه هل تقتضي الحكمة أن يفعل ذلك. انتهى.

ولا شك في أن سؤال الحواريين لعيسى سؤال فضول وتطلع لا سؤال صدود وتعنت كما سأل بنو إسرائيل موسى أن ينزل عليهم الكتاب، لأن السؤال ليس في أصل الاستطاعة، بل في طلبهم من التشرف بهذه الكرامة.

وإنزال المائدة مجاز في إنزال الطعام، وإفادة (علينا) أنهم أرادوها آية خاصة بهم لا يشاركونهم في خصوصيتها أحد من الأمم، ولذا أكدوا إعجازها بالإطناب بأن تكون صادرة من السماء، لأن المائدة النازلة لا تأتي من الأرض في العادة بل من فوق، أو قد يراد به هذا الشرط أن تكون من السماء لا من جهة أرضية من نبات أو نحوه كما حصل في معجزة هز النخلة ونزول التمر من جانب أم عيسى.

ولفظ المائدة معناه الخوان الذي يوضع فيه الطعام، وتنكيره في الطلب يفيد النوعية، ويبدو أن الذي أغرى الحواريين بمثل هذا السؤال كثرة ما أجرى الله على يدي عيسى من معجزات مادية، وبهذه الرمزية تسمت السورة.

قوله (قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين) أمر عيسى عليه السلام للحواريين بتقوى الله دلالاته توبيخهم للاحتراز مما يداخل النفس من شك في مثل هذه المطالب لذا علق إيمانهم به، لأن سؤلهم لا معنى له بعد رؤيتهم المعجز وتصدقهم بعيسى.

قوله تعالى ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقَتْنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴾

قوله (قالوا نريد أن نأكل منها) فصل الكلام للمحاورة وكلامهم تعليل لسؤلهم، بأنهم أحبوا به تحقيق أربعة أمور، فقدموا الأكل من المائدة، وكان عليهم وصل شرف كرامة الأكل بما بعدها فيقال: نأكل منها فتطمئن قلوبنا، لا أن تكون قسيما برأسها، ومن هنا جاءت الخطيئة، فلو قالوا ذلك لم يلزمهم ما لزمهم. قاله الطباطبائي. انتهى بتصرف.

قوله (وتطمئن قلوبنا) أي: لتكون زيادة فضل من الله عليهم فتسكن بسببه نفوسهم فتخلص من كل شائبة شك، وإسناد الاطمئنان إلى قلوبهم مجاز عقلي للمبالغة.

قوله (ونعلم أن قد صدقتنا) أي: صدقهم عيسى باستجابة دعائهم بسؤال الله، أو بدفع خطرات النفس لحصول اليقين الكامل بالحضور الغيبي.

قوله (ونكون عليها من الشاهدين) أي: ونكون على إنزال المائدة شهودا عيانين لمعجزتها الدالة على الإيمان بالله ورسوله في حال رجوعهم إلى بني إسرائيل.

قوله تعالى ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ



قوله (قال عيسى ابن مريم) بعد تيقن عيسى من ايمان الحواريين دعا ربه نزولا عند رغبتهم بدعاء غاية في جلاله المعنى وصياغته اللائقة بأدب الدعاء النبوي ومناجاة الله، وفيه تدرك الفرق بين سؤال الحواريين وسؤال عيسى.

قوله (اللهم ربنا) البدء بصيغة النداء العام التي تفيد التضرع باسم الله، وحذف (يا) النداء لانتفاء الجمع بينها وبين هذا التركيب لأن الميم حلت محلها فلا يجوز: اللهم يا ربنا.

قوله (أنزل علينا مائدة من السماء) خلط عيسى عليه السلام نفسه بهم بصيغة الجمع، لما فيه من إثارة على النفس ودخول في المجموع لتعميم الخير، وليوافق النداء في قوله (اللهم ربنا).

قوله (تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا) إحياء التنكير للفظ العيد يفيد بها خصوصية النوعية لتكون عنوانا مناسباً لطلب الدعاء بجعل المائدة مناسبة عيد له وللحواريين ولأمته، واللام في (لأولنا وآخرنا) تفيد الملك، لتعظيم العيد، ولفظ الأول والآخر طباق يراد به التأكيد، أي: يكون لنا عيداً نعظمه من أول جماعتنا إلى آخر من يلحق من أمتنا، والعيد من العود إذا عاد حيناً بعد حين وفي الخلف بعد السلف، وهو مظنة المسرة، وهذا العيد مما لا يعرفه النصارى، وقد يحتفلون به ولا يعرفون أصله.

قوله (وآية منك) أي: علامة دالة على رضاك عنا وزيادة في الاطمئنان والتشريف لنا.

قوله (وارزقنا وأنت خير الرازقين) والتذييل بالرزق من باب ذكر العام بعد الخاص وهو إطناب لتكثير معاني الطلب والتضرع في الدعاء، وإنما وقع تأخيرها في الدعاء لبيان أن المقصود ليس الأكل، وإنما سؤال العيد الذي أضافه إلى سؤالهم وضمنه الأكل للترفع والتأدب، وهذا من أدب الدعاء النبوي البارع في خطاب الأنبياء عامة وعيسى خاصة.

قوله تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١١٥﴾

قوله (قال الله اني منزلها عليكم) قول الله تعالى يوحى بالإجابة السريعة لطلب عيسى، والإتيان بجملة القول المؤكدة بصيغة الجملة الاسمية لأنها متحقة حتما استجابة لدعاء عيسى.

قوله (فمن يكفر بعد منكم) شرط فيه تهديد ووعد للحواريين لمن يخرج منهم على الإيمان وجدد البراهين.

قوله (فاني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين) جملة الجزاء في غاية الشدة، لأن الاقتراح من الحواريين كان لا حاجة بهم إليه، فالمؤمنون حقا هم المؤمنون بالغيب الذين لا يحتاجون تأكيدا من عالم المادة للإيمان بربهم الواحد الأحد، وخصوصية العذاب بسبب خصوصية المعجزة التي أرادوها أن تكون خاصة بهم لم تمنح لغيرهم، والهاء في (أعذبه) الثانية عائد إلى المفعول المطلق بمعنى: لا أعذب ذلك العذاب أحدا، أي: مثل ذلك العذاب.

قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي

بِحَقِّ إِنْ كُنْتَ قُلْتَهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ
إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

قوله (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم) الواو لعطف قصة على أخرى من أحوال عيسى عليه السلام، والكلام إخبار منه تعالى عن موقف الحساب في خطاب عيسى لإخزاء قومه من الذين ادعوا الألوهية له.

قوله (أأنت قلت للناس) استفهام تقرير لا حقيقي، لأن عيسى مؤمن بعبوديته أكدها لقومه بفعله وقوله، وإنما السؤال لإفادة تكذيب المؤلهين له بلسان عيسى وإخزائهم قبل تعذيبهم.

قوله (اتخذوني وأمي إلهين) الاتخاذ الاتصاف والاعتماد، وذكر أمه من باب إطلاق الصفة على الأغلب لأن النصارى قالوا بألوهية عيسى، وليس مريم، أو لأن القائل بالتثليث أدخل ضمنا مريم في صفة الألوهية.

قوله (قال سبحانه) إجابة عيسى عليه السلام من أدب الكلام العالي الذي صورته الآيات للأنبياء، فقد توسل لدفع هذا الادعاء العظيم بالوسائل الشديدة لأدب النفي، بدأها بتنزيه الله تعالى عن أن يشاركه أحد في الألوهية، لما فوجئ بسماع ما لا يليق نسبته إلى حضرة العظمة.

قوله (ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) نفي بالكون المطلق الآن وفي كل وقت، أن يكون مر بخاطر نبي الله في أن يقول ما ليس بحق، والحق هو القول بكلمة التوحيد، وتعتمد نفي السبب مبالغة في التنزيه فلو قال: لم

أقل ذلك لاحتمل وقوعه منه، ولكن إذا نفاه بنفي سببه، أي بنفي الإمكان، كان ذلك نفياً لما يتوقف عليه ذلك القول.

قوله (إن كنت قلته فقد علمته) جيء بالشرط على سبيل الفرض، لدفع التهمة عن نفسه، فعيسى روح الله يعلم أن الله تعالى عالم بالشيء قبل أن يكون.

قوله (تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) الكلام تقرير لما سبقه، وتأكيده بقصور علمه، يضاده بكمال قدرة ربه، وهذه فائدة التقابل بين الجملتين.

قوله (إنك أنت علام الغيوب) الفصل للتعليل، والكلام محقق مؤكد بحرف الابتداء وضمير القصر، وصيغة العلام مبالغة في تصوير علم الله، والكلام إطناب من ذكر العام بعد الخاص.

قوله تعالى ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾

قوله (ما قلت لهم إلا ما أمرتني به) الكلام من تنمة دفاع عيسى عن نفسه، وهو تأكيد ثان لدفع تهمة ادعاء الألوهية على نفسه وأمه بأساليب مختلفة

فيها حدد واجب رسالته، بأنه مبلغ مأمور لا صفة له غيرها، وأسند ذكر الأمر إلى الله من باب الاستعطاف والاستدراج المناسب في هذا المقام.

قوله (أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ) جملة تفسير لجملة (مَا أَمَرْتَنِي)، وهو التبليغ بالتوحيد، والإتيان بالتأكيد (وَرَبَّكُمْ) للإشارة إلى تبرؤة من ادعاء الألوهية.

قوله (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ) تقرير لما تقدم في صحة تبليغ عيسى قومه بعبادة الله وحده، احتج بعلم الله على ذلك ما دام عيسى حيا بينهم.

قوله (فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ) الفاء للترتيب الكلامي، احتج بعلم الله الدائم في حياة عيسى ومماته، ونفي العلم بذكر وفاته لإفادة كمال قدرة الله وقصور نفسه فهو تأكيد ضمني إلى كثرة تأكيدات الصريحة، والرقيب المطلع المحاسب.

قوله (وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) تذييل وانتقال بمعنى علم الله تعالى من الأخص إلى الأعم.

قوله تعالى ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾

قوله (إن تعذبهم فإنهم عبادك) أوكل عيسى أمر تعذيب الكافرين من قومه إلى أمره تعالى لأن ذلك من تمام معاني ألوهيته تعالى، وإنما جاء بلفظ العباد وأضافه إلى ضمير الجلالة لإفادة معنى خلوص ملكه لهم، والإتيان بالجملة الإسمية المؤكدة في جواب (إن) الشرطية لإفادة ثبوت العبودية لله، سواء عبده أم لم يعبدوه، وفي نهج البلاغة قوله ﷺ: عباد مخلوقون اقتداراً، ومربوبون اقتساراً. انتهى.

قوله (وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) الإتيان بجملة الغفران بعد التعذيب لإتمام المعنى، وفي الكلام تضمين لدعوة العفو والمغفرة، والكلام فيه مؤكدات كثيرة.

وحوار المشافهة كله بين عيسى وربّه حقيقته الإجابة على نحو التقرير والاعتراف، ليكون ذلك حجة على السامعين من قومه الذين ادعوا ما ليس له ونفاه هو عن نفسه بأشد النفي، بل أثبت أكرم التبجيل لربه.

قوله تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝١١٩﴾

قوله (قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم) الكلام منه تعالى تصديق وتقرير لصدق عيسى بن مريم عليهما السلام، وكنى عنه بلفظ الصادقين

فلم يصرح باسمه تعظيماً له، وإضافة الظرف (يوم) إلى جملة (ينفع) بمعنى: يوم نفع.

قوله (لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) تقديم (لهم) للاهتمام، وتكثير لفظ الجنات للتعظيم، وجملة الجري موقعها الصفة لها، والكلام يراد به بيان جزاء صدقهم في الدنيا بالتنعم والخلود في نعيم الله الدائم.

قوله (رضي الله عنهم ورضوا عنه) أي: رضي عنهم في أنفسهم لصدقهم، ورضوا بجزائهم لما آتاهم من ثواب الجنة، والكلام من باب المشاكلة في الكلام، لأن رضى الله مجاز في الجزاء بالثواب.

قوله (ذلك الفوز العظيم) لفظ الإشارة تعظيم لذلك الرضى والفوز، وأصل الفوز النجاة، ووصفه بالعظم لتجسيده بالحس.

قوله تعالى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾



قوله (لله ملك السماوات والأرض) تقديم (لله) لحصر معنى الملك به سبحانه دون غيره، والملك بالكسر تستعمل لما هو خاص في التصرف، والملك أوسع منه إذ تستعمل فيما هو أعم، وذكر النقيضين السماوات والأرض استقصاء في ذكر ملكه تعالى، وتعريف اللفظين للعموم.

الله استعمل القصر بتقديم المتأخر، وللإشارة إلى دخول العاقل وغير العاقل ضمن هذا الملك الخاضع لإرادة الله استعملت (ما) بدلا (من) المختصة بالذات العاقلة فقط، والملك بالكسر تستعمل لما هو خاص في التصرف، والملك أوسع منه إذ تستعمل فيما هو أعم للجماعة، ولشمول القدرتين الخاصة والعامة بالله ذيلت بقوله (والله على كل شيء قدير)، والتذكير بملك الله المطلق في ختام السورة ترغيب للعباد المملوكين على الإيفاء بالعهود والمواثيق التي تقررت في أول السورة.

قوله (وما فيهن) العطف لدخول ما في السموات والأرض في ملكه تعالى، واستعمال (ما) دون (من) للإشارة إلى دخول العاقل وغير العاقل ضمن هذا الملك الخاضع لإرادة الله.

قوله (وهو على كل شيء قدير) ضمير الفصل للقصر بكونه تعالى وحده القادر على كل شيء، وتقديم الظرف على عامله للاهتمام ورعاية الفاصلة، وحرف الاستعلاء (على) مجاز من تمكن قدرته تعالى، وصفة القدير مبالغة في القدرة، والتذكير بملك الله محمول على التحذير من مخالفة عهوده ومواثيقه التي بدأتها السورة بالإيفاء بها، ودارت موضوعاتها حولها.

سورة الأنعام

مكية، مائة وخمس وستون آية

اختصت سورة الأنعام بمباحث التوحيد، وبيان معنى الربوبية، فهو غرضها العام الذي تفرع إلى موضوعات فرعية تصب في جوهر خدمة غرضها التوحيدي، كموضوعات إرسال الرسل للتبشير والإنذار، وذكر المعاد، ولأن السورة متصلة الآيات دفعية النزول توجه الخطاب فيها إلى المشركين من أهل مكة.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

قوله تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾

قوله تعالى: (الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور) افتتاح السورة بالثناء على الله أسلوب قرآني أصبح سنة لكل مفتتح من الكلام في الخطب والرسائل وغيرها، والحمد أعم في دلالة المدح لأنه ثناء على السراء والضراء، وفي صياغته بالجملة الإسمية دلالة الثبوت والتحقيق لمعناه، واقتران لفظ الجلالة باللام لاختصاص أحقيته بالثناء، والابتداء بخلق السماوات والأرض مقدمة لما بعده وانتقال بالكلام من الأعم إلى الأخص، وذكر التضاد في الألفاظ إشارة إلى كمال قدرته وحده سبحانه

في الجمع بين المتضادات، وفي النهج قوله ﷺ: ولاءم بقدرته بين متضادها، ووصل أسباب قرائنها. انتهى.

وإذا أريد بالظلمات والنور الكناية عن الليل والنهار - وهو الأرجح - فهما من نتاج حركة الكواكب التي تمثلها السموات والأرض ويتضح لنا منطقية اقترانهما بهما وتأخرهما عن سبب حصولهما، ولذلك جرى التغاير بين استعمال الفعلين فكان فعل الخلق للسموات والأرض لما فيه من دلالة الإيجاد، وفعل الجعل للظلمات والنور، فهو وإن كان بمعنى الخلق غير أن دلالاته الصرف والإتيان بشيء من شيء وتولد شيء من آخر.

والإتيان بلفظ الظلمات مجموعا ولفظ النور أفرادا، لأن الظلمة جوهرها عدم النور، وإذا كان النور مراتب في الشدة والضعف أو في الكثرة والقلة بحسب قربه وبعده من مصدر الضياء، فإن الظلمة متكثرة واحدة لا مراتب فيها، وجملة الموصول ومعطوفه مدخل لما يراد ما بعدها.

وقوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وتقديم جملة الموصول فلم يقل: ثم يعدل بربهم الذين كفروا، لأنهم الغرض الذي سيقف لأجلهم مقدمة الثناء على الله لخلقه للسموات والأرض والظلمات والنور، لإفادة الاحتجاج عليهم، لأن من يخلق هذا الخلق العظيم المعقد التركيب أحق بالعبادة وأجدر.

وتقديم الظرف (بربهم) على عامله للاهتمام، وذكر الرب مضافا إلى ضمير جمع الكافرين للإشارة إلى عبوديتهم التسخيرية التي لا خيرة لهم

فيها التي عبر عنها أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: مملوكون اقتساراً. انتهى.

والعدل المراد به التساوي والتماثل بدلالة تعدية فعله بالباء، أي: يساؤون بين الله وأصنامهم، وفي الجملة انتقال يراد به الملامة والتعجب، فكأنه بعد ذكر خلق السموات والأرض يحار المتكلم بأمر الذين كفروا فيسكت برهة، ثم يتعجب من حال كفرهم بهذا الخلق العظيم لعدولهم بربهم أصناماً جامدة لا تضر ولا تنفع.

والمعنى المتحصل: ثناء الله على نفسه يراد به إنكار تسوية الكافرين في الألوهية بين خالق السموات والأرض وجاعل الظلمات والنور وبين ما يعبدون من دونه.

قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾

قوله (هو الذي خلقكم من طين) ضمير الفصل للقصر، والكلام انتقال من الحديث من خلق الأعم أي خلق العالم الكبير إلى خلق الأخص وهو عالم الإنسان الصغير بالقياس، والمراد بيان الامتنان بإفاضة الوجود على الإنسان وتدبيره، والخلق الإيجاد، و(من) للابتداء، ويمكن إفادتها التبعية، والطين أصل خلقة الإنسان وهو آدم، أطلق على الإنسان باعتبار الأصل.

قوله (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) يفيد حرف العطف (ثم) التراخي الزمني، فعل القضاء بمعنى الحكم والفصل، وفاعله الله تعالى، قضى بمعنى كتب، ولفظ الأجل معناه المدة المحددة لنهاية حياة كل إنسان في الأرض، وفي الآية إعلان: الأول: مبهم بدلالة التنكير ويراد به أجل الحياة الذي قد يتغير طولا أو قصرا باخترام ونحوه، والثاني: الأجل المعروف الذي وصف بأنه (مسمى) وأنه عند الله، ويعني أنه أجل تفريع من الأول مضروب له توقيت محدد يعرفه الله وحده، أي: أجل الإنسان المقدر، ونهايته في الحياة الدنيا، وقيل مضاف لها لبثه في عالم البرزخ.

قوله (ثم أنتم تمترون) حرف العطف (ثم) للتراخي الرتبي، وتقديم ضمير جمع المخاطبين للأهمية وإفادة التعجيب، وفعل المرية الشك والريب، وفي الجملة دلالة إنكار شكهم، وتعجب من قلة نظرهم بدلالة العدول في الخطاب من الغيبة إلى خطاب الحضور لأن النظر في الأقرب وهو الخلق من الطين أدعى إلى التدبر والتفكر في يقين عبادة الواحد الأحد ونفي الشك عنها.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾

قوله (وهو الله في السموات وفي الأرض) تأكيد ثان لما سبق، وكان سوق المقدمة تمهيد لما سيأتي من ذكر المعاد، وضمير الفصل للقصر،

والتصريح باسم الجلالة لبيان العظمة، و(في) استعارة لأن حقيقتها الدخول في الظرفية الزمنية، والمراد بها الحضور الإلهي والإحاطة الشاملة المتضمنة الدخول في كل شيء في السماوات والأرض، وتكرار الحرف لتأكيد.

قوله (يعلم سركم وجهركم) إطناب من باب ذكر الخاص بعد العام، ويراد به التهديد والوعيد، وإشارة الطباق بين السر والجهر كناية عن إحاطة الله بجميع أحوال الإنسان. وتقديم السر لخصوصيته واهتمام الإنسان به ولأنه مظنة تدبير الشر غالبا، وفي الكلام تبيان لكمال قدرة الله تعالى بالانتقال من بيان العالم الأكبر إلى خلق العالم الأصغر وهو الإنسان.

قوله (ويعلم ما تكسبون) تكرار فعل العلم لاختلاف المعلومين، أي: ويعلم جميع أعمالكم وأحوالكم، وفعل الكسب شامل لصالح الأعمال وسيئها.

قوله تعالى ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾

قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) كانت الآيات السابقة تمهيدا لافتتاحيا لعرض أمر الرسالة والمعاد، فانتظم سياق هذه الآية وما بعدها في تصوير معاني العناد والإصرار على الشرك والتمادي في تكذيب الحق والاستهزاء بآيات الله سبحانه، ثم عرض صور الموعظة والتخويف من إنكار الرسول.

ومن العجيب أن الآيات لم تذكر الكافرين أبدا بل أحالت على الضمير فيما سبق ذكره إليهم صراحة مرة واحدة في قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) وكأن الآيات أنفت ذكرهم واحتقرت تسميتهم فاكتفت بالإشارة إليهم بالإضمار.

وحفلت صور العناد بأدوات النفي وأساليبه، إذ في النفي والاستثناء مزيد من التأكيد بالقصر، وإسناد فعل الإتيان إلى الآية مجاز عقلي للمبالغة، لأن أصل إتيانها وتبليغها لهم الرسول، و(من) الأولى زائدة لاستغراق النفي، والثانية تفيد الابتداء، والآيات البراهين الواضحة الدالة على توحيد الله، والإتيان بلفظ الرب منسوباً إلى ضمير أنفس الكافرين لبيان المفارقة من عنادهم وجحودهم بربهم، والحال أنهم مملوكون لله أصلاً، ليس لهم الخيرة في ذلك.

قوله (إلا كانوا عنها معرضين) أداة الاستثناء ملغاة تفيد مع ما سبقها القصر، وتقديم المعمول للأهمية، والإعراض كناية عن التولي وشدة الإنكار وإصرارهم على الكفر، إذ ليس ثمة أدل على التوحيد من معجزة القرآن، ومع ذلك يزدادون صدا وإعراضاً كلما سمعوا آية منه، والحال المرتقب مما هم عليه من البيان والفصاحة يقتضي الإقرار منهم بأحقية القرآن.

قوله تعالى ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَأُ مَا كَانُوا بِهِ ۚ

يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ ﴿٥﴾

قوله (فقد كذبوا بالحق لما جاءهم) الفاء على تقدير: فلا تعجب من إعراضهم فقد كذبوا بالحق. وتسمى فاء الفصيحة، وأريد بالحق القرآن، وحرف التحقيق لتأكيد إعراضهم، وتضعيف فعل الكذب للمبالغة، والباء للتعدية، و(لما) للظرف، وفعل مضي المجيء مراد به تبليغهم بواسطة النبي ﷺ، وإسناده إلى ضمير أنفس الكافرين مجاز عقلي للمبالغة في بيان شدة إعراضهم.

قوله (فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون) الفاء للتفريع بالإيعاد على تكذيبهم بالعقاب في الدنيا والآخرة، لأن فعل الإتيان غير مقيد، ولفظ الأنباء دلالة الخبر العظيم، واسم الموصول وصلته دلالة التهديد والوعيد مفسر للفظ الأنباء، والاستهزاء مبالغة في هزئهم بآيات الله، لذلك توعدهم الله بنكال العذاب بأسلوب الإيهام لتدع النفس تتصور شكل ما ينتظرهم من العذاب الذي أصبح قضاء محتوما عليهم أنجز إلى درجة الإخبار عنه، وفي ذلك منتهى تصوير التهديد والوعيد، والهاء في (به) عائد إلى الحق الذي هو القرآن، وتقديم الظرف للاهتمام ورعاية الفاصلة، وإنما استعمل فعل الاستهزاء من دون التكذيب لأنه متضمن معنى التكذيب وزيادة، وهو ما تريد تبينه الآية لحال الكافرين في شدة الإعراض ولذا لم يقل: ما كانوا به يكذبون.

وتكرار استعمال جملة (يأتيهم) في الجزاء على ما تقدم في قوله (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) تفنن بديعي يربط السبب ونتيجته في الذهن.

قوله تعالى ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَهُمْ نُمُكِّنْ لَهُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ ﴿٦﴾

قوله (ألم يروا) استفهام توبيخي لعدم انتفاعهم بالعظة من الأمم البائدة والسابقة، وهو من أساليب القرآن الجديدة التركيب في الكلام العربي، وقد يراد بفعل الرؤية الرؤية العيانية كما في آثار الجبابة، أو الرؤية بمعنى العلم بالسماع إلى أخبار الأمم الهالكة، بمعنى: ألم يعلموا.

قوله (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) تفيد (كم) التعبير عن كثرة الإخبار عن الأمم الهالكة، وهي في الأصل استفهام يسأل بها عن العدد نقل إلى الإخبار لخروج الكثرة عن العد، وفعل الإهلاك حكم الله تعالى على تلك الأمم الكافرة بالاستئصال والإفناء، والظرف (من قبلهم) أي: من قبل الكافرين، تقدم على عامله للاهتمام، و(من) زائدة لتأكيد الإهلاك، ومعنى الظرف (قبل) السبق، و(من) الثانية زائدة لتأكيد العموم، والقرن القوم المقترنون في زمن واحد وجمعه قرون، وأريد بهم الأمم القديمة السابقة لأمة العرب من المشركين.

قوله (مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم) قيد للأمم التي أهلكت بعصيانها واستكبارها، أي: مكنوا من أسباب السلطة والقوة والمال ما فاقوكم في ذلك ومع ذلك أهلكوا، وفي الكلام التفات من الغيبة في (مكناهم) إلى الحضور في (لكم)، لاحتراز فهم عود الضمير على المشركين فلو استمر الكلام في الغياب لأوهم السامع لاختلاط العائدين، لأن الكلام مسوق في الإخبار عن غائبين.

وإنما قال (مكناهم) مسندا إلى نون العظمة حتى لا يتوهم متوهم أن التمكين كان من قدرتهم أصلا وهم من استجلبه، بل تمكينهم تم بتدبير من الله لاستدراجهم للقضاء عليهم بسبب استعلائهم. ولذلك لمح لمستكبري قريش بالتمكين الثاني معيدا نفس اللفظة مع فارق التمكينين (ما لم نمكن لكم). وهذا شاهد واقعي إذ لا مقارنة بين سلطة النمرود وفرعون - مثلا - وما مكنهم الله إزاء تمكين المشركين من العرب، فأولئك كانوا ملوكا جبارين.

قوله (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم)

قوله (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) الكلام وصف تفصيلي لتمكين الأمم الهالكة، وفعل الإرسال معناه الإطلاق بعد القيد، استعارة بالكناية عن الغيث الذي لا يتوقف عنها فأمرع أراضيهم فكانت خصبة خضراء تسر الناظرين، وفيه تعريض بما عند المشركين من جذب ويبس في أراضيهم. فكأنه شبه السماء بناقاة ثم حذف المشبه به وأشار إلى شيء من لوازمه وهو قوله (أرسلنا) والجامع بينهما شدة الاسترسال بعد القبض، لأن الناقاة إذا

أرسلت برمي زمامها على رقبتها علمت أنها حرة فتمضي مسرعة بعد
سفر طويل وعطش شديد إلى الماء لري غلة ظمئها.

وتستعمل السماء بمعنى الغيث في العربية نحو قول الشاعر:

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

وحرف الجر في (عليهم) مجاز استعلائي من تمكن الغيث منهم، ولفظ
المدرار من الدر والدرّة بالكسر أي اللبن، ويستعار للمطر استعارة أسماء
البعير وأوصافه فيقال: لله درك، وهنا يراد به التتابع فيكون المعنى: أرسنا
غيث السماء ماء غير منقطع، ونصبه على الحال.

قوله (وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم) والجعل الصرف استعملت لأن
الأنهار مجعولة بفعل قوة الماء وحفرها للأرض أمكنة لها، والجمع دلالة
على كثرتها وتشعبها، والمبالغة بجريانها مبالغة في شدة جريها وفي ذلك
يتم نقاؤها لخضرة أشجارها الدائمة وتوافر النعم حولها، والتأكيد في
جريانها من تحتهم تأكيد للنعم الوفيرة فضلا عن منظر الترف من حولهم،
والآية كلها تكون مشهدا حسيا للتمكين الذي قارنته بحالهم، والتأكيد على
توافر عناصر الحياة من ماء وغذاء لأنها من أهم مقومات السلطة والتمدد
فيها للتجبر.

قوله (فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين) الفاء للتفريع، بأن
ذلك التمكين بقوة النعيم لم يشفع لأولئك المستكبرين، فأهلكهم الله جزاء ما
اقتربوا، والإهلاك أريد به إفناؤهم واستئصال شأفتهم، والباء في (بذنوبهم)

للسبب والجزاء، والذنوب الآثام والمعاصي، تأكيداً لمبدأ العدالة، لأن إهلاكهم نظير فعالهم واستكبارهم عن عبادة الله وعدم أخذهم بالنواهي والأوامر التي أمر بها الله على يد رسله إليهم، وقد كان العذاب كذلك في أمم المستكبرين نحو قوم لوط وقوم فرعون، وقوم عاد، وهي مثل قوله تعالى (فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم) [المائدة ١٣]، وفي ذلك دليل على أن المعاصي سبب في نزول البلاء، مثلما للحسنات دخل في نزول العطايا.

قوله (وأنشأنا من بعدهم قرناً آخرين) أي: خلقنا قوماً آخرين حلوا محلهم. ويوحى لفظ الإنشاء بالإيجاد والاختراع، أي: إن السابقين أفنوا فأوجد الله آخرين مكانهم، وفي ذكر الأمم الهالكة وتفصيل سطوتها دليل للتهديد بإمكان تكرار إهلاك المشركين.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾

قوله (ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس) الكلام وما بعده تصوير لعناد الكافرين على الاستكبار عن عبادة الله والإيمان بنبيه، وفيه التفات في الخطاب من الغيبة إلى الحضور في مخاطبة النبي ﷺ، لإفادة تجاهل الكافرين.

وجملة (لو) لافتراض أمر والدلالة على نقضه، ويراد به تصوير عنادهم على الباطل، لأن سلوكهم وصددهم كان يبين عن ذلك، وكانوا يقولون مثل

ما صورت الآية في جواب (لو)، فالله أعلم بعتوهم، وتوافر أدوات الحس من الرؤية واللمس في جملة الافتراض زيادة في تأكيد علمهم بالمعجزة، وتنكير الكتاب للنوعية، واللفظ مصدر يراد به المكتوب، وتقييد اللفظ بالظرف (في قرطاس) ليكون أقرب إلى ما اقترحوه، ليطمئنوا أنه نازل من الغيب لا من بشر، لأنهم كانوا يتهمون النبي بذلك، والقرطاس الصحيفة التي يكتب فيها.

قوله (فلمسوه بأيديهم) الفاء للتفريع، والكلام كناية عن التأكد والاستيقان، وذكر الأيدي مع اللمس إطناب يراد به المبالغة في التأكد.

قوله (لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين) اللام واقعة في جواب (لو)، ومضمونه تأكيد استكبار الكافرين وإصرارهم على العناد، واستعمال القصر بالنفي والاستثناء لبيان رسوخ العناد في أنفسهم بإنكارهم لآيات الله.

وعرف العرب بوصفهم لآيات الكتاب بالسحر، يعنون بذلك تقريبيه مما عندهم من فن قولي مميز كالشعر الذي ادعوا للشاعر جنيا يحدثه، محاولة منهم لنزع القدسية والغيب عن القرآن، بأن ما جاء به شبيه بما عندهم عتوا واستكباراً، مع يقينهم بإعجازه نظاماً ومعنى.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ ﴿٨﴾

قوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) ضمير الجمع في (قالوا) راجع إلى المشركين، ومقولهم اقتراح منهم بإنزال الملك على النبي ﷺ، والأداة (لولا) للتحضيض دالة على الطلب الشديد.

وإصرارهم على نزول الملك لشدة انغماسهم في عالم المادة، ولطلبهم المغايرة في الجنس، فهم في الحقيقة لا يؤمنون بإرسال الله رسلا من البشر، ولا حتى بملك لأن سؤالهم أصلا للتعجيز.

قوله (ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون) أي: ولو افترضت استجابة اقتراح المشركين بإرسال الملك لكان ذلك سببا في هلاكهم، لأن أساس سؤالهم مبني على تعجيز الرسول، فلو نزل إليهم بناء على اقتراحهم لكفروا به، ولقضى الله بالقضاء عليهم من دون إنظار، بينما شاءت الحكمة الإلهية إهمالهم وانتظارهم، و(ثم) للتراخي الرتبي، والإنظار التأخير والإهمال.

قوله تعالى ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلِيسُونَ﴾

قوله (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي: ولو أرسلنا ملكا لجعلناه رجلا من البشر، لأن عالم النشأة لا يسمح برؤية العالم الآخر من الملائكة والجن، إلا في حال ارتفاع حجب الدنيا عند الانتقال إلى مرحلة اما بعد الموت، وهو عالم لا تكليف معه.

وقوله (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي: ولأضللناهم كما ضلوا أنفسهم، واللبس من اللباس وهو الستر، وألبس الباطل بالحق والحق بالباطل أي شوه صورته حتى يختلط الأمر، وهو مثل قوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) [الصف ٥].

وفي تلبية هذا الاقتراح مفسد كثيرة منها:

١- أن إرسال الملك محق لحق الاختيار الإنساني وجبر على خيار السماء، وفي ذلك انعدام لمبدأ الثواب والعقاب.

٢- أن إرسال الملك يعني الكفر به، لأنهم أصلاً لا يريدون الإيمان لا بملك ولا ببشر لعتوهم وعنادهم، ولو كفروا به فسوف يقضى عليهم من فورهم والحال أن عقوبتهم هي الإنظار.

٣- أن إنزال الملك في صورة رجل لا نفع معه مع وجود نبي مرسل من بينهم.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿١٠﴾

قوله (ولقد استهزئ برسل من قبلك) الكلام قسم وتأکید تسلية للنبي ﷺ، وتهديد للمشركين بذكر تجارب الرسل السابقين، لأن تجاربهم مع أقوامهم مماثلة في التكذيب والاستهزاء، وتنكير الرسل للتعظيم والتكثير، و(من)

زائدة للتأكيد، والظرف (قبل) المخاطب به النبي ﷺ بمعنى السبق الزمني.

قوله (فحاق بالذين سخرُوا منهم) الفاء للتفريع، والحيق الحلول والإصابة، والتكنية بالصفة من دون التصريح في قوله (بالذين سخرُوا منهم) لغرض بيان فعلهم السيء في السخرية من الأنبياء لأن له ما بعده من النتيجة والعقاب.

قوله (ما كانوا به يستهزئون) جملة الفاعل تأخرت اتباعاً للأسلوب القرآني في اتخاذ الفواصل، وإنما أبهم نوع الجزاء بـ (ما) الموصولية تهويلاً لفضاعته لأنه أبعد مما يتخيله متخيل، فيدع كل نفس تتصوره كما تتخيله، وتكرار فعل الاستهزاء لأن استهزاءهم بالرسول كان باستهزائهم من العذاب الذي كان يعدهم به فجعل الله عذابهم عين ما استهزؤا به.

قوله تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾

قوله (قل) الأمر فيه للنبي ﷺ، وفيه تهديد ووعد.

قوله (سيروا في الأرض) أي: سافروا أبعد من موضعكم، لأن دلالة السير هو السفر ليلاً وفيه مبالغة في المسير، وتعريف الأرض أي: في مواضع معهودة من مدن الجبارين والطغاة، مما هو قريب منهم في آثار العراق ومصر.

قوله (ثم انظروا) ثم حرف عطف للتراخي الرتبي، وفعل النظر أصله للبصر ويراد به نظر الاعتبار، ليكون المعنى: أي أعطوا أنفسكم وأنتم تصلون إلى آثار الأمم برهة من التفكير والتدبر في أحوالهم وقوتهم كيف أهلكها الله بذنوبهم ثم قارنوا أنفسكم بهم لأخذ العبرة.

قوله (كيف كان عاقبة المكذبين) سؤال مجرد من الاستفهام، غرضه بيان الحال، وجوابه في النظر العياني لذلك طلب إليهم السير إلى هذه المواضع، والعاقبة الخاتمة، وفي اختيار (المكذبين) تعريض بيّن بهم لاشتراكهم مع الهالكين بالصفة نفسها.

قوله تعالى ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُمُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

قوله (قل لمن ما في السموات والأرض) الاستفهام يراد به تقرير ملك الله للسموات والأرض ولما فيها وعليها، وذكر السموات والأرض استقصاء لذكر مملكة الله الواسعة، فقد خلق الكون في نظام من التوازن والحركة لا يملك الإنسان أن يحيط بأبعاده لأنه في اتساع مستمر.

قوله (قل لله) اسمه دال على الأحدية سبحانه، فهو مالك ما في السموات والأرض، وتلقين الله لنبيه السؤال والإجابة تأكيد لتجاهلهم الكافرين.

قوله (كتب على نفسه الرحمة) الكتابة للتوثيق، ويراد بها الفرض بدلالة حرف الاستعلاء (على) تلطفا بعباده، فالرحمة منبعها الله جلّت قدرته، وجاء ذكرها قبل جملة القسم بجمع الخلق، لأن في معاد الخلائق تحقيقا للرحمة، وإقامة للعدل الموعد بالانتصاف للمظلومين.

قوله (ليجمعنكم إلى يوم القيامة) اللام مشعرة بالقسم والنون لتأكيد الفعل، وفي المعنى تأكيد حتمية المعاد وجمع الخلق للحساب والثواب، والخطاب إلى جميع الناس، وتفيد (إلى) غاية الجمع، وهو يوم القيامة، وسمي بذلك لأن الناس فيه يقومون من أجدانهم للحساب.

قوله (لا ريب فيه) نفي الريب عن ذلك اليوم موقعه الصفة، وحرف الجر في (فيه) للظرفية المجازية متعلق بـ (ريب)، والهاء عائد إلى لفظ يوم القيامة.

والكلام تأكيد في تأكيد على حتمية حدوث ذلك اليوم، والتأكيدات ناظرة إلى شدة إنكار السامعين.

قوله (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) في الكلام التفتات من خطاب الحضور إلى الغياب لأنه أراد إخراج (الذين خسروا) من قوله (كتب على نفسه الرحمة). وفي الكلام قطع تقديره: أما الذين خسروا فهم لا يؤمنون، ولفظ الخسران استعارة من ضياع رأس المال.

قوله تعالى ﴿ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ



قوله (وله ما سكن في الليل والنهار) العطف لاتصال الكلام عن دلائل وحدانية الله تعالى، والكلام تأكيد آخر لما تقدم من ملك الله لكل شيء، وفيه إشارة إلى العلم بخفي الأصوات والأقوال، فتخصيصه بالليل والنهار يشير إلى التدرج من العام في ذكر ملكه تعالى لما في السموات والأرض، إلى المعنى الخاص بالعلم مما خفي في الليل والنهار. والسكون الخفاء.

قوله (وهو السميع العليم) ضمير الفصل للقصر، وأل تعريف السميع قصر ثان، وكلتا الصفتين من صيغ المبالغة أي المدرك للمسموعات، والعالم بالخفيات، والصفتان مناسبتان لفعل السكون.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَخْخَذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿ ١٤ ﴾

قوله (قل أغير الله أخخذ وليا) الخطاب في (قل) إلى النبي ﷺ والمراد به غيره وتلك طريقة قرآنية، والاستفهام يراد به الإنكار، والتصريح بلفظ الجلالة لبيان علة الإنكار فهو الله الدال اسمه على كمال التوحيد، واتخاذ

الولي بمعنى اعتماده محبا ناصرا حقيقا بالتولي والاتباع، والمراد اتخاذه
إلها معبودا لأن العبادة تعلق قلبي ينعكس على البدن في التخضع لله.

قوله (فاطر السموات والأرض) الفطر أصله الشق، والفاطر فاعل الشق
استعارة للإيجاد والخلق على غير مثال سابق، وفي الكلام معان عميقة في
تفاصيل حركة الكواكب واتساعها وانتظام حركاتها، والجملة موقعها الصفة
للفظ الولي.

وقوله (وهو يطعم ولا يطعم) جملة تقابل، فهو وحده تعالى الرازق المطعم
لعباده لأنهم محتاجون إلى ذلك، بينما هو سبحانه مستغن عن ذلك لا ينقصه
شيء ولا ينطبق عليه هذا الوصف، وفي الكلام تعريض بمن اتخذ إلهه من
البشر كعيسى.

وخصوصية ذكر التقييدات في كونه فاطر السموات والأرض وأنه يطعم
ولا يطعم مسالك حجاجية على منكري عبادة الله، لأنهم إنما اتخذوا الأوثان
والأصنام آلهة على أساس التقرب إليها لأمرين:

الأول: لدفع ما لا يستطيعون دفعه من الزلازل والفيضانات والأوبئة والمحن
والبلايا، فعيونهم متطلعة إلى جهة السماء في كواكبها ونجومها، فاتخذوها
آلهة.

الثاني: لغرض الإطعام فهو أساس الحياة.

لذلك الآيات أتمت الحجة عليهم من الجهتين: الخلق من العدم، ثم تأمين النعمة بالإطعام ونحوه.

قوله (قل إني أمرت) نتيجة لما تقدم من تمام الحجة وقيام البينة العقلية على عبودية الله جاء الأمر صريحا في التسليم لله، وبالنهي عن التأثر بمجتمع الشرك، وصيغة المبني للمجهول في (أمرت) إشارة إلى الوحي الغيبي بهذا الأوامر.

قوله (أن أكون أول من أسلم) فعل الكون دال على الشأن والرسوخ في الثبات على العبودية والتسليم لله تعالى، وهو تسليم خضوع موجه إلى الأمة وخطب به النبي ﷺ بأن يكون أولهم في التسليم ترغيبا لطاعته، بل هو الأول على إطلاق التسليم لله.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ﴿١٥﴾

قوله (قل إني أخاف) الآيات في ظاهرها الإخبار في التحذير من عصيان الله، وفي إضمارها رد حاجي على المشركين الذين يتخذون الأوثان آلهة لهم بسبب خوفهم منها، والحال الأدعى أن يخافوا الله فوق بيان ذلك على لسان الرسول ﷺ ليكون أبلغ حجة لأنه منهم ويعرفونه، والتلقين يراد به تحذير أمة الشرك للرجوع إلى فطرة التوحيد، والآية تناظر التي سبقتها.

قوله (إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) الشرط لتعليق الخوف بالعصيان، ومظاهر عصيان الله مخالفة أوامره ونواهيه، والإتيان بلفظ الرب منسوبا

إلى ياء التكلم لإفادة تقبيح عصيان الرب الولي المالك المتصرف، وقيل إنه قال (عصيت) ولم يقل (أشركت) لأنه ناظر إلى النهي في قوله (ولا تكونن من المشركين).

وإضافة لفظ العذاب إلى الظرف لتهويل ذلك اليوم، ويراد به يوم القيامة، ووصفه بالعظيم لشدته.

قوله تعالى ﴿مَنْ يُصِرْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ ﴿١٦﴾

قوله (من يصرف عنه يومئذ) الكلام ذو صلة بما سبقه. والصرف التحويل، وتعدية فعله بـ (عن) لتضمنه معنى التجاوز، وضمير الهاء عائد إلى العذاب في الآية السابقة، والظرف المبني إشارة إلى يوم القيامة، وصرف العذاب كناية عن صفح الله وعفوه لأنه مستلزم منه، وفي الكلام التفات وتغيير في الخطاب من الحضور في حديث المتكلم عن نفسه إلى الإطلاق لأنه يراد به التحذير للمشركون، فالعذاب مشرف على الجميع وعلى كل إنسان أن يخافه كما يخافه النبي ﷺ، لأنه إن كان النبي يقول بمثل ذلك فما بالك بمن ينكر الله ويشرك به.

قوله (فقد رحمه) الفاء واقعة في جواب (من) الشرطية، وحرف التحقيق لتأكيد المعنى، والرحمة رقة القلب كناية عن صفح الله وعفوه.

قوله (وذلك الفوز المبين) جملة تذييل، أي ذلك العفو من الله هو الفوز الذي ليس بعده فوز، لأنه نجاة من العذاب وصرف عنه إلى عفو الله وجناته.

قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ

يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٧)

قوله (وإن يمسسك الله بضر) أفاد الشرط الاحتجاج على عبادة غير الله، والمس مستعمل لما يداخل الإنسان من خير وشر، والضر الأذى.

قوله (فلا كاشف له إلا هو) الفاء واقعة في جواب الشرط، و(لا) نافية لمطلق نفي الكشف للضر، والكشف معناه الإزالة والإبعاد، وأداة الاستثناء ملغاة لإفادة القصر بكشف الضر به وحده سبحانه.

قوله (وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير) جملة تقابل لما سبقها، لتأكيد قدرة الله وتمكنه من الحالين المتضادتين، ومقابلة الضر بالخير وليس بالنفع مثلاً لإرادة الكثرة والسعة، والفاء في (فهو) في جواب (إن)، والجملة الاسمية قامت مقام جواب الشرط علة لمعنى جملة فعل الشرط.

وتقديم الضر على الخير لأن الإنسان أبداً يلجأ إلى الله في حال الضر أكثر من الخير، والكلام خوطب به النبي ﷺ وأريد به أمته كما توضح، وفي كلا المسين بالخير والضر أقام الجمل الإسمية مقام الجزاء لفعل الشرط لثبوت معنى قدرة الله على كشف الضر وتحقيق الخير.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۖ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٨)

قوله (وهو القاهر فوق عباده) تتميم لما سبق في بيان التعريف بمعاني
الوحدانية، والقهر الغلبة والقوة، والظرف (فوق) مجاز من غلبته تعالى
على عباده، وإضافة العباد إلى هاء الجلالة لمربوبيتهم له سبحانه، وضمير
الفصل للقصر، وتعريف لفظ القاهر قصر آخر والكلام في غاية التأكيد
لغلبته سبحانه.

قوله (وهو الحكيم الخبير) تكرار الأسلوب بالقصر بضمير الفصل وأل
التعريف، إشارة إلى أن غلبته لعباده وقهره لهم مبنية على حكمة وتدبير،
وليس كما يفعل أهل السلطان من إذلال لرعيته، والله تعالى قاهر فوق
عباده يمسهم بالخير والضرر ويذلهم لمطاوعته.

قوله تعالى ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا
الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا
أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾

قوله (قل أي شيء أكبر شهادة) السؤال والجواب أسلوب حجاجي على
منكري التوحيد، والآية تسأل وتجب في لا تنتظر جواب الكافرين، لأنها
مستغنية عنهم متجاهلة لهم، والاستفهام غرضه التبيين والتقرير.

والشهادة تعني الإخبار عن شيء عياني ويراد بها الشهادة على صدق
النبوة، ووصفه بأنه (أكبر) لأنه أراد به الظاهر المحيط بدقائق كل شيء

الذي لا يخفى عليه شيء لأنه سيكون أقدر على الإيتاء بالشهادة كاملة وهو الله تعالى.

قوله (قل الله شهيد بيني وبينكم) الأمر بـ (قل) تلقين من الله لنبيه وعناية وتشريف، والتصريح باسم الله لبيان تعظيم الشهادة بصدق نبوة النبي ﷺ لأن دعوى النبوة أساس اختلاف النبي ﷺ مع قومه، والكلام كناية عن القسم بالله، كما يقال: أشهد الله على كذا.

قوله (وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به) العطف لأن جملة الوحي داخلة في القسم والشهادة، وتعدية فعل الوحي بحرف الغاية لتضمنه معنى التبليغ، ولفظ الإشارة لتمييز القرآن ولتنويه به وتعظيمه، وجملة الإنذار لتعليل النزول إذ جعل غايته الإنذار والتخويف من عذاب الله، لأن المقام مقام مكابرة وتكذيب من الكافرين.

والإنذار أحد طريقي الدعوة إلى التوحيد في الترغيب والترهيب، وهو أَدْعَى إلى النفس لأن تنزجر وترعوي دفعا للضرر الذي قد يلحق بها، وهو أكثر شدة من الوعد والرجاء، لأن إقبال النفس عندها يكون من باب الرغبة والتشوق وهو أقل في الإقبال من الإنذار والإيعاد الذي فيه الجبر والإلزام.

والبَاء في (به) متعلق بفعل الإنذار، والهاء عائد إلى القرآن، ويشير إلى عمومية الرسالة المحمدية إذ لم يشترط الإبلاغ بنوع تبليغه في القرآن من قراءة أو نحوه، وإنما اكتفى بأن ينذر به على إطلاق معناه من اسمه أو

مضمونه وفي أي لغة كانت. ويحمل الخطاب في جملة الإنذار معنى مشافهة النبي ﷺ لقومه، وهو إنذار المنذرين الأول.

قوله (ومن بلغ) العطف بمعنى: ولأنذر بالقرآن من بلغه وسمعه، فهو من إنذار المنذرين الثاني، الذي يشمل من تبلغ بدعوة القرآن من الذين لم يشافهمهم النبي ﷺ، ولم يرهم لكن وصلتهم دعوة التوحيد في زمنه ومن بعده، وهذا يؤكد الرسالة العامة للناس، وأن دين التوحيد دين شامل لبني البشر رحمة لهم.

قوله (أنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى) الاستفهام على نحو الإنكار والتعجب من شهادتهم على الشرك بالله، ولاسيما بعد إثبات أن شهادة الله أكبر، وكثرة التأكيدات (إن واللام الواقعة في خبرها) في بناء الآية للإيحاء برسوخ العناد والكفر في نفوسهم، وجمع الآلهة للإشارة إلى أصنامهم، لأن جمع ما لا يعقل يكون بالتأنيث يعامل معاملة الواحدة المؤنثة.

قوله (قل لا أشهد) الأمر للنبي ﷺ والنفي اليقيني المطلق لإخراج شهادته ﷺ من شهادات الكافرين المصيرين على العناد والكفر، والكلام جواب للاستفهام، بتقدير: دعنا من شهادتكم وخذوا شهادتي فإني لا أشهد بذلك، قاله ابن عاشور. انتهى. وذلك لأنهم غير مأمول منهم الإعراض عن عبادتهم لأصنامهم.

قوله (قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون) الأمر بفعل القول والقصر والتبري من عقيدة الشرك تعقيب يقيني كامل بعقيدة التوحيد

والإخلاص لله، ففيه تلقين لإثبات الوحدانية بطريق اللغة بقصرين (إنما وضمير الفصل)، وتذكير لفظ الإله ووصفه بالواحدية، ثم بتأكيد البراءة من شرك المشركين، والكلام نظير ما قبله في معنى التوحيد.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله (الذين آتيناهم الكتاب) استئناف إخباري عن صفة النبي ﷺ في الكتب المنزلة على أهل الكتاب، والإتيان بالإعطاء، وإسناد الفعل إلى أهل الكتاب مجاز عقلي للمبالغة، وضمير جمع الغائبين فيه إشارة إلى علماء اليهود والنصارى، وتعريف الكتاب للجنس يراد به التوراة والإنجيل، والكنية عنهم بذلك تمهيد لإتمامها بما بعدها من وصفهم بالخسران، وهي بعد أدل على تمام الحجة عليهم في إنكارهم لنبوة محمد ﷺ.

قوله (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) فعل المعرفة بمعنى العلم واليقين، والهاء فيه عائد إلى النبي ﷺ، وإن لم يذكر، لأنه الأنسب في الأنسنة مع الأبناء من عوده إلى القرآن، ولأن الحديث عن التشكيك من المشركين بنبوته لا الكتاب، والتشبيه لتوضيح الصورة وتقريبها ويراد به التمييز، فلا مرية من أن النبي ﷺ معروف بصفته عندهم وبشرت به كتبهم وإنما كتموا أمره بغيا وحسدا.

وفي تفسير القمي: إن عمر بن الخطاب قال لعبد الله بن سلام: هل تعرفون محمدا في كتابكم؟ قال: نعم والله نعرفه بالنعمة الذي نعته الله لنا إذ رأيناه فيكم كما يعرف أحدنا ابنه إذا رآه مع الغلمان، والذي يحلف به ابن سلام: لأنا بمحمد هذا أشد معرفة مني بابني. انتهى.

قوله (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الاستئناف تأكيد لفوات فرصة عدم الانتفاع بما جيء إليهم من نزول الكتاب ونعمة البشارة بالنبى ﷺ، وفعل الخسران استعارة من ضياع رأس المال من البيع والشراء، والمراد باعوا أنفسهم برخيص الثمن من حطام الدنيا كالرشى وحب المال، فخسروها، والفاء في (فهم) تفريع على الخسران بنفي التصديق بالحق.

ويبدو أن سبب ذكر علماء أهل الكتاب هنا لأنهم خانوا العهد في أداء الأمانة بالبشارة بالنبى ﷺ والإيمان به والعمل على نشر الفكر التوحيدي، ومن هنا نفيد من أسلوب الالتفات المذكور في الآيات من خطاب الحضور للمشركين في طلب إعلان البراءة منهم إلى خطاب الغياب عن الكتابيين في قوله (يعرفونه) وذلك لمعرفة الحق بالنبى ﷺ، قال في الميزان: ومثل هذا النظم كمثّل كلام من يكلم جماعة لكنه يخص واحدا منهم بالمخاطبة إظهارا لفضله، فيخاطبه ويسمع غيره، فإذا بلغ إلى ما يخص شخص المخاطب من الفضل والكرامة، عدل عن خطابه إلى مخاطبة الجماعة، ثم بعد الفراغ عن بيان فضله عدل ثانيا إلى ما كان فيه أولا من توجيه الخطاب إليه. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

قوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) رجع الكلام إلى أصل السياق وهو خطاب النبي ﷺ لتحذير المشركين من الظلم والشرك وعاقبة مآلهم، والمعنى: لا أظلم أشد من ظلم الله بالكفر به وبآياته، فالاستفهام للإنكار، والمراد في ضمير (من) المشركون، لأنهم ادعوا أن الله شركاء من الأصنام والأوثان التي يعبدونها، وفي ذلك غاية الظلم والجحد بالله وبإنعامه المستوجب للشكر من عباده المربوبين له، و(من) الأولى اسم استفهام، و(من) الثانية في (ممن) اسم موصول، اقترن بها حرف الجر (من)، ونصب لفظ الكذب على المفعولية لأن فعل الافتراء بمعنى فعل التكذيب، والافتراء على الله بمعنى القول عليه سبحانه بأن له شريكا.

قوله (أو كذب بآياته) وهو الافتراء الثاني وكلاهما من الكذب المقيت ولهذا تكرر، والمراد: التكذيب بنبوة النبي ﷺ وإنكار معجزاته في آيات الكتاب.

قوله (إنه لا يفلح الظالمون) الفلاح بمعنى إدراك البغية بما يحقق السعادة والظفر والفوز، وفي الكلام تفنن بديعي بأسلوب رد العجز على الصدر، إذ بدأت الآية بلفظ الظلم وانتهت بلفظ الظالمين، وفي كليهما مذمة، وفي الكلام التفات يراد به إثبات معنى خسارتهم إشعارا بالتهديد، لأن في عدم ظفرهم خسرانا مبينا.

قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ﴿٢٢﴾

قوله (ويوم نحشرهم جميعا) الواو للعطف على جملة نفي الفلاح، للإخبار عن حال الظالمين يوم القيامة، والظرف متعلق بعامل تقديره: واذكر يا محمد، والحشر جمع الخلائق على نحو القهر جمعا لا يفلت منه أحد، لذلك نصب لفظ الجميع على الحال والتأكيد.

قوله (ثم نقول للذين أشركوا) حرف العطف (ثم) للتراخي الرتبي في الكلام، وخص أهل الشرك بالخطاب لأن سياق الكلام فيهم.

قوله (أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) السؤال عن الشركاء لتوبيخهم وكشف زيف ادعائهم في تعدد الآلهة، وسذاجة عبادة الأصنام في عالم الدنيا، فهي كما ظهرت فاقدة لوصف الشراكة والشفاعة، ونسبة الشركاء إلى ضمير أنفسهم للتهكم بهم لأنهم هم من اختلقوا أصنامهم شركاء لله على الأرض، والإتيان بجملة الموصول تفسيرا لهذه النسبة، لأنها زعم منهم من دون دليل.

قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فَتَنْتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَلِلَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾

﴿٢٣﴾

قوله (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا) العطف بـ (ثم) يفيد التراخي الرتبي في الكلام للانتقال من خبر إلى آخر عن أحوال المشركين يوم القيامة، ولفظ الفتنة أصلها الاختبار، وتطلق على اضطراب الرأي، لأن الإخبار إشارة إلى جوابهم عن سؤالهم (أين شركاؤكم)، والكلام مؤكد بالاستثناء المفرغ للدلالة على ضعف المشركين في خور عقيدتهم الشركية فليس لهم مما يدفعون عن أنفسهم إلا الإنكار بالقسم.

قوله (والله ربنا ما كنا مشركين) جملة القسم باسم الجلالة والإقرار بأن الله ربهم لنفي الشرك عن أنفسهم لدهشة عقولهم وتحيرها بسبب ما شاهدوا من أهوال القيامة معتقدين أن بقسمهم والتبري من الشرك نجاتهم ثم ترجع إليهم عقولهم فيقروا بشركهم، والكلام حكاية عن إخبار مقال الكافرين يوم القيامة يراد به تصوير خيبتهم وخسرانهم.

قوله تعالى ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ



قوله (انظر كيف كذبوا على أنفسهم) الخطاب في فعل النظر للنبي ﷺ، ولكل مخاطب يعتبر، فإن مضمون الفعل النظر الاعتباري، والسؤال مجرد من الاستفهام لبيان الحال، والكلام تعجيب من حال المشركين في إنكار ما كانوا يصنعون وضلال افتراءاتهم التي تقدم بيانها فيما سبق، وسمى الكذب

في إنكارهم للشرك كذباً على أنفسهم، لأن جزاءه عائد على أنفسهم بالعقاب.

قوله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) العطف للتعجيب من إضاعة الانتفاع بأوثانهم التي ادعوا شركتها لله وشفاعتها لهم.

وإيراد صور حشرهم يراد به ما ذكر من تحذيرهم من الشرك بالله، وتسفيه عبادتهم للأوثان، ولأنه حتمي لا محالة في غيب الله متحقق الوقوع.

قوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۚ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

قوله (ومنهم من يستمع إليك) الواو لعطف خبر على خبر لبيان حال المشركين حال استماعهم للقرآن، والتبويض في (منهم) للمشركين يجتهدون في الاستماع إلى النبي ﷺ وقت تلاوته آيات الكتاب لا للفهم والإيمان بها بل للإعراض والإنكار كأن لم يسمعها، و(من) اسم موصول.

قوله (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) أي: وخلق الله على قلوبهم سترًا مانعًا من بلوغ الفهم والعلم إليها، فالكلام مقامه التعليل لإعراضهم عن القرآن وعدم تأثرهم في آياته، وحرف الجر (على) مجاز من تمكن الأكنة من قلوبهم، والأكنة جمع كنان وهو الستر، وهو مجاز استعارة بالكناية،

يقصد به حجبها عن تحصيل العلم وذلك بتغطية القوب فلا تبصر شيئاً من نور المعارف.

وجملة (أن) المصدرية، بمعنى: فقهه، وفي الكلام حذف بتقدير: من أن يفقهوه، وضمير الهاء عائد إلى القرآن، والفقه الفهم، والمراد بالقلوب الإدراكات التي بها يعقل الإنسان ويعرف، وفي لغة العرب يطلق القلب على مثل ذلك ولغة القرآن ماضية على لغتهم.

قوله (وفي آذانهم وقرا) الجملة متعلقة بفعل الجعل بالعطف، أي: وجعل في آذانهم وقرا، و(في) للظرفية المجازية، والآذان جمع أذن وهي آلة السمع، والوقر الثقل في السمع، كناية عن الصمم، وهي العلة الثانية المانعة من الفقه والفهم لما يستمعون لآيات القرآن، والكلام مجاز في نفي الانتفاع من منافذ العلم المودعة فيهم فهم عندهم آلات الفهم والإدراك ولكنها مصروفة عما ينفعهم إلى ما يضرهم.

قوله (وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها) العطف على قوله (ومنهم من يستمع) لبيان حال فئة ثانية من المشركين، وهم المعرضون المنكرون من رأس النبوة، يجيئون بهيأة المخاصمين المعاندين لا بهيأة المستفهمين.

والمراد بالآية العبرة والمعجزة والعلامة الدالة على النبوة فهم لا يصدقون بها ولا يعتبرون بها عنادا وعتوا، وليس المراد بها استماع الآيات، لأنه لا يصح مع وصفهم فيما سبق بعدم الفهم وبالوقر في السمع، فهذه فئة معرضة

أصلا عن دلائل النبوة وآياتها، وفعل الرؤية للبصر لأن أكثر معجزات الرسول عيانية، ونفي الإيمان عنهم بمعنى عدم التصديق.

قوله (حتى إذا جاءوك يجادلونك) تفيد (حتى) انتهاء غاية لتسريع ابتداء أخرى، لحالة ثانية من المشركين مع النبي ﷺ، وجملة المجادلة موقعها الحال من ضمير جمع المشركين في (جاءوك) بمعنى: جاءوك مجادلين، والجدال مراجعة الكلام بين المتحاورين على نحو المغالبة.

قوله (يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين) جملة فعل القول جواب (إذا) الشرطية، وصيغة (الذين كفروا) غلب إطلاقها على أوائل عتاة أهل الشرك في مكة وأئمة الكفر، و(إن) بمعنى (ما) النافية، ولفظ الإشارة للقرآن.

والحكاية القرآنية عن مقالهم دالة على رسوخ الكفر في نفوس المشركين فعبروا عنه بأشد التأكيدات بالقصر بالنفي والاستثناء، فأخبروا عن القرآن ناكرين غيبه وقديسيته، بأنه من خرافات الأمم الماضية وأحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها، والأساطير جمع أسطورة وهو الكذب والمين أصله السطر، وهو الصف من الكتابة أو الشجر أو الناس، غلب استعماله فيما جمع ونظم ورتب من الأخبار الكاذبة، وقيل - كما في التبيان - عن معنى الأساطير: الترهات والبسابس، مثل حديث رستم وإسفنديار وغيره، مما لا فائدة فيه، ولا طائل تحته.

قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا

يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله (وهم ينهون عنه وينئون عنه) ضمائر جمع الغائبين عائدة الى المشركين، وضمير الهاء في حرف التجاوز راجع إلى القرآن لأن سياق الآيات فيه، فقد كان المشركون ينهون الناس عن الاستماع إلى القرآن، ويعرضون عنه مبتعدين لعدائهم وانعزالهم، وفي ذلك كله تأكيد لما سبق من آيات أعراضهم عن التوحيد، وفي الكلام تجنيس صوتي لافت للمسامع بين لفظي النأي والنهي من نوع الجناس المضارع لتقارب مخارج الصوت بين الهاء والهمزة.

قوله (وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون) العطف على ما تقدم، لأن في حالتي النهي والنأي عنه يرجع الإهلاك على أنفسهم، وتحقيقا للمعنى جيء بالقصر بالنفي والاستثناء فهو من قصر القلب، حسبوا الهلاك لدعوة التوحيد بالإعراض إذا بهم هم الهالكون، من حيث دبوا وألبوا وما يشعرون.

وعلى الرغم من اتصال الآية بما سبقها، وقوة اتصال سياقها في الكلام عن المشركين وصددهم عن القرآن والنبى ﷺ وعود الضمير عليهم (هم) فإن ثمة من يدعي تعسفا نسبة نزول هذه الآية في أبي طالب، وسيرة أبي طالب

رضوان الله عليه حافلة بنصرة النبي ﷺ وما عرف فيها النهي عنه ولا
النأي، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ
بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿٢٧﴾

وقوله (ولو ترى) الكلام إخبار من الله تعالى عن عاقبة الكافرين بآياته في
موقف الحساب، والخطاب لنبيه للعناية والتشريف، وفيه حذف مقدر
بمعنى: ولو ترى يا محمد لرأيت.

قوله (إذ وقفوا على النار) (إذ) الظرفية بمعنى: وقت أو حين، وفعل
الوقوف على النار بمعنى حبس الكافرين عليها بعد سير إليها، وضمائر
الجمع كلها في الآية عائدة إليهم، ومضي الزمان مع أن القيامة لم تحدث
بعد لإنزاله منزلة الكائن لحتمية وقوعه عند الله.

وقوله (فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا) الفاء للتعقيب، وقولهم من
أمانهم كناية عن حسرتهم على ما فاتهم وألمهم لما شاهدوا، والنداء بالأداة
(يا) للعاقل لأنهم لشدة حسرتهم خاطبوا أمنيتهم كأنها مشاهدة محسنة، وأمنية
الرد الرجوع إلى الحياة الدنيا للإيمان بآيات الله وعدم تكذيبها، وفعل
التكذيب بمعنى الجحد لذلك عدي بالباء، وإضافة لفظ الرب إلى أنفسهم
لإظهار الندم.

قوله (ونكون من المؤمنين) أي: ونكون من جملة المؤمنين المصدقين بالله وبآياته، والكلام تقرير لما سبقه مبين عن شدة ندامتهم وحسرتهم.

قوله تعالى ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ ﴿٢٨﴾

وقوله (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) تفيد (بل) الإضراب عما تقدم من كلام الكافرين وتأكيد ما بعدها، وفعل الإبداء الإظهار وفاعله العذاب والنار، لأنها التي كانوا يخفونها ولا يريدون الإقرار بها بإنكارهم المعاد في الحياة الدنيا التي أشير إليها بالظرف (من قبل)، والإتيان بجملة الموصول لإخزائهم في كذب ما ادعوا، بأن الذي دعاهم إلى قولهم رؤيتهم لمصيرهم في النار.

وقوله (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) جملة الافتراض بـ (لو) لعلم الله الحق بما هو كائن وما يكون، ففي الكلام بيان حقيقة كذب هذه النفوس المريضة، بأنها لو ردها الله لعادت إلى سيرتها في الشرك بالله والتكذيب برسله وآياته، وإنما جيء بالمنهيات لبيان كذب ادعائهم وشدة جحودهم.

قوله (وإنهم لكاذبون) جملة تذييل وتأكيد لإثبات رسوخ الكذب في نفوس المشركين فيما أخبروا به عن أنفسهم، أفاده التأكيد بحرف النسخ ولام التأكيد والجملة الإسمية.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ ﴿٢٩﴾

قوله (وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) الكلام تأكيد لكفر الكافرين بإنكارهم الصريح بحقيقة المعاد، أورد بالحكاية عنهم بطريقة القصر لرسوخ عقيدة الشرك في نفوسهم، بمعنى: لا حياة أخرى يعيشونها غير حياتهم الدنيا.

قوله (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ) الكلام تقرير لقولهم السابق، وفيه تشديد على إصرارهم وإنكارهم معادهم إلى الله، والباء في (بمبعوثين) زائدة لتأكيد النفي، والبعث الإرسال بعد رقدة، ويراد به قيامهم من قبورهم للحشر والحساب.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ ﴿٣٠﴾

قوله (ولو ترى إذ وقفوا على ربهم) الكلام تصوير لمعنى خيبتهم فهم واقفون مجبرين ليس باختيارهم أمام ربهم للتوبيخ كما يقف العبد المذنب أمام سيده، وفعل الرؤية يجوز أن يكون للبصر أو للعلم، والخطاب فيه للنبي تسرية عن نفسه لما ناله من إعراض المشركين، وليس يفيد حرف الجر (على) معنى الاستعلاء وإنما يفيد مع متعلقه فعل الوقوف الجبر والحبس.

قوله (قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا) فاعل فعل القول الله تعالى، والسؤال والاستفهام من الجلالة لإقرارهم وتوبيخهم على إنكارهم مثل هذا الموقف في عالم الدنيا إذ كانوا يجتهدون في محاربة الله ورسوله، واسم الإشارة للإشارة إلى موقف الحساب، وفي الكلام حذف بمعنى: أليس هذا الموقف قائم بالحق كما حذرتكم الرسل، فأجابوا ربهم (بلى وربنا) على سبيل الإذعان والتأكيد بدلالة القسم، وجواب الاستفهام المنفي يكون بـ (بلى) تثبيتا له، أما الجواب بـ (نعم) فهو للنفي.

قوله (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) الفصل للمحاوره، والفاء في فعل الذوق للتفريع على إقرارهم، والذوق استعارة من حاسة اللسان غلب استعماله لما هو شر، فاستعمل للعذاب ونحوه، وأريد بالعذاب نارها فأقيمت الصفة مقام الموصوف للمبالغة، ولفظ العذاب أصله الاستمرار، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية بمعنى: بسبب كفركم، استحقاقا للجزاء وتعليلا للعقاب وتحقيقا للعدالة.

قوله تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ ﴾ (٢١)

وقوله (قد خسر الذين كذبوا بقاء الله) الكلام في عواقب التكذيب بالمعاد، فكأن الفصل لوقوع الكلام نتيجة لما سبق، والابتداء بحرف التحقيق لتأكيد

الخبر، وفعل الخسران مستعمل كثيرا في الاستعارة من إضاعة رأس المال تشبيها بالصفقة الخاسرة، والمكذبون بلقاء الله هم المشركون لأنهم ينكرون البعث والنشور، وسمي المعاد بلقاء الله كناية عن حضورهم اليقيني بين يديه، ويمكن أن يراد بلقاء الله لقاء ما وعد الله من ثواب أو عقاب من باب المجاز.

قوله (حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة) إسناد فعل المجيء إلى الساعة من باب المجاز العقلي مبالغة في الكلام، والساعة يقصد بها يوم القيامة، من إقامة الصفة مكان الموصوف، ولفظ البغطة الفجأة انتصبت على الحال.

وقوله (قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها) جملة فعل القول جواب (إذا)، وضمير الجمع عائد إلى الكافرين، والنداء يفيد التحسر والندامة، والحسرة تعني الكشف عما لبس، فكأنهم كشف عنهم الجهل بعبادتهم غير الله وادعاء شركاء له فتحسروا نادمين، والتفريط التقصير والإضاعة لفرصة الإيمان بالله، وضمير الهاء في (فيها) عائد إلى الحياة الدنيا.

وقوله (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) الواو للحال، أي: الكافرون قالوا ذلك في حال من حمل ثقل ذنوبهم على ظهورهم، ودلالة فعل الحمل للشيء الثقيل، وفعل الحضور لاستحضار الحال، والوزر كما قال الراغب: الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل، قال: (كلا لا وزر إلى ربك)، والوزر الثقل تشبيها بوزر الجبل ويعبر بذلك عن الاثم كما يعبر عنه بالثقل، قال: (ليحملوا أوزارهم كاملة) الآية. انتهى.

والمراد بالأوزار المعاصي، وهي استعارة مكنية شبه معاصيهم بأوزان تحمل على الظهر ثم حذف المشبه به وأشار إليه بشيء مما يخصه، وقوله (على ظهورهم) استعارة مرشحة مبالغة في ثقل الحمل، وفي نهج البلاغة قوله عليه السلام مشيرا إلى هذا المعنى: تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر بأولكم آخركم. انتهى.

قوله (ألا ساء ما يزررون) تفيد (ألا) التنبيه، وفعل السوء مستعمل في الدم، أي: بنس الأعمال أعمالهم لأنها أحمال من الآثام سيحملونها يوم القيامة على ظهورهم، ولأن الحمل إنما ينبغي أن يكون لما ينتفع، وذلك لمشقته.

قوله تعالى ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

قوله (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) الكلام رد على قولهم (إن هي إلا حياتنا الدنيا) بالأسلوب ذاته في التأكيد بالقصر، قصر الحياة الدنيا على اللعب واللهو، وفيه تحذير للمؤمنين خاصة، وتنكير اللفظين لتحقير الدنيا، وفي الكلام حذف تقديره: أعمال الحياة الدنيا لأن الدنيا لا توصف باللعب واللهو بل الأعمال، والدنيا صفة للحياة أصلها الدنو وهو القرب، قال الراغب: ويعبر بالأدنى تارة عن الأصغر فيقابل بالأكبر نحو: (ولا أدنى من ذلك ولا أكثر) وتارة عن الأرذل فيقابل بالخير نحو (أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) وعن الأول فيقابل بالآخر نحو (خسر الدنيا

والآخرة) وقوله (وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين)، وتارة عن الأقرب فيقابل بالأقصى نحو: (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى). انتهى.

والصورة بيانية بأسلوب التشبيه البليغ المحذوف الأداة ووجه الشبه مبالغة في تقارب أعمال الحياة الدنيا من المعاصي في صفة الهباء والانقضاء في المشبه به اللعب واللهو، فاللعب ردفه العبث لأنه فعل بلا مقصد ينتفع به، واللهو الانشغال عما ينفع بما لا ينفع، وإنما وقع اللفظان وصفا للحياة الدنيا باعتبار فساد عمل العاملين فيها لأنها عندئذ حياة غير حقيقية يضيع فيها الهدف وتلهي عما هو حق، وهو الاستقرار في الآخرة التي فيها الثبات والخلود، لذلك هي باطلة مالم تكن طريقا موصلا إلى سعادة الحياة الآخرة.

وإلى هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة وقد سمع رجلا يذم الدنيا: إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة. انتهى.

قوله (وَلِلدَّارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) العطف باعتبار التقابل في المعاني لما سبق من لهو الحياة الدنيا، وقابل في المعنى بين لفظ الخير وتعني ما ينفع، وبين معنى اللهو واللعب، واللام في (للدار) للقسم، ووصفها بالآخرة

باعتبار مقابلتها بالدنيا كما تقدم، والمتقي المتجنب مخالفة أوامر ربه، وتخصيص الدار الآخرة بالمتقين تأييس للمشركين.

قوله (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) الفاء للتفريع، والاستفهام يراد به التوبيخ بنفي العقل لمن يفضل الحياة المؤقتة على النعيم الدائم بمخالفة ربه، فذلك لا ريب مدخول في عقله.

قوله تعالى ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ (٣٢)

قوله (قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون) الكلام وما بعده تسرية عن النبي ﷺ، وتسلية له عن تكذيب المشركين وتطبيب لنفسه بوعد النصر الإلهي وبيان أن الدعوة الدينية اختيار إنساني.

وفيد الحرف (قد) التحقيق إذا دخلت على الماضي، وتفيد التقليل إذا دخلت على المضارع، ومراد الآية هنا التحقيق، وإن كان ظاهره التقليل، وتأكيد حزن النبي ﷺ لشدة شفقتة على قومه وحرصه عليهم من فوات الفرصة، والحزن ألم القلب، واللام المقترن بفعله واقعة في خبر (إن) وتفيد القسم، وجملة الموصول إشارة إلى قول كفار مكة بتكذيب النبي ﷺ وكلامهم عنه بأنه ساحر مجنون، تنزيهاً لنبيه عن التصريح بما لا يليق به في هذا المقام، وإلا فقد صرح بذلك في مقامات أخر استوجبت كشف جراءة المشركين على التعدي على حرمة منزلة النبي ﷺ.

قوله (فإنهم لا يكذبونك) الفاء تحتل التفريع والتعليل ويجوز كونها للفصيحة والتقدير: فإن كان يحزنك ذلك لأجل التكذيب فإنهم لا يكذبونك. قاله ابن عاشور. انتهى.

والكلام من الله تطيب ل خاطر نبيه، بأن تكذيب الكفار إياه ليس المراد به شخص النبي ﷺ، بل إنكار التصديق بآيات الله الدالة على توحيده.

قوله (ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون) الاستدراك التفات ومفارقة أي: هم كذبوك لأنك آية من آيات الله بعثت رسولا، وإلا قبل ذلك لم يكذبوك.

ولفظ الظالمين يراد به المشركون لأنهم ظلموا أنفسهم وظلموا حق ربهم بالعبودية له، وتقديم المتعلق (بآيات الله) على عامله للاهتمام به ورعاية الوقوف على ساكن في الفاصلة، لأن أصل الكلام: ولكن الظالمين يجحدون بآيات الله، والباء المقترن بلفظ الآيات متعلق بفعل الجحد لتضمنه معنى الكفر.

وإظهار لفظ الظالمين في موضع الإضمار فلم يقل: ولكنهم، للدلالة على أن الجحد منهم إنما هو عن ظلم منهم لا عن جهل وقصور لطغيانهم واستكبارهم، لذلك وقع الالتفات من التكلم إلى الغيبة ف قيل (بآيات الله) ولم يقل: بآياتنا للدلالة على أن ذلك منهم معارضة واستعلاء على مقام الألوهية، وهو المقام الذي لا يقوم له شيء. قاله صاحب الميزان. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ



قوله (ولقد كذبت رسل من قبلك) التأكيد بلام القسم وحرف التحقيق في (لقد) لدلالة الاهتمام بالتسليية عن نفس النبي ﷺ، وتكذيب الرسل إنكار أن يكونوا مبعوثين من الله، وفي الكلام إخبار موجز بصيغة حذف الفاعل لسيرة الأمم الظالمة التي سبقت أمة النبي ﷺ مع أنبيائهم، وتنكير لفظ الرسل لإفادة الكثرة، و(من) زائدة للتأكيد، والظرف المخاطب به النبي ﷺ يفيد السبق الزمني.

قوله (فصبروا على ما كذبوا وأوذوا) الفاء للتفريع، والصبر كما قال الراغب: حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعها فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبرا لا غير ويضاده الجزع، وإن كان في محاربة سمي شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان في نائبة مضجرة سمي رعب الصدر ويضاده الضجر، وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده المذل. انتهى.

وحرف الجر (على) للمجاز الاستعلائي لتمكن الصبر، والأذى الضرر، وتقديم التكذيب لأنه يكون باللسان، ثم تدرج تكذيب المكذبين إلى الأذى

الجسدي بالضرب أو الرمي بالحجارة ونحوه، والكلام إخبار أريد به الأمر الضمني للنبي ﷺ بالصبر.

قوله (حتى أتاهم نصرنا) أي: صبروا إلى أن جاءهم نصرنا بإنزال العذاب أو استئصالهم، وبأن إمضاء الله واحد في جميع رسله، وفي الإخبار وعد لرسوله بالنصر ووعد لكفار مكة بإنزال العذاب، وقد تحقق فيهم وعيده تعالى حتى فتحت مكة.

قوله (ولا مبدل لكلمات الله) أي: ولا تغيير لحكم الله في وعده ووعيده، فحكمه ثابت، والجملة تأكيد للوعد بالنصر الذي تقدم، دل على شدته استعمال لا النافية للجنس، والتبديل التغيير، وكلمات الله مجاز لحكمه وقضائه النازل في آياته سبحانه، وفيه إشارة إلى كلماته لأنبيائه في البشارة بالنصر نحو قوله تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلي) [المجادلة ٢١]، وقوله تعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين، إنهم لهم المنصورون) [الصافات: ١٧١-١٧٢].

قوله (ولقد جاءك من نبا المرسلين) تأكيد ثان بالقسم والتحقيق في نصره الله لأنبيائه، و(من) يجوز فيها الابتداء والتبعية، واختيار لفظ النبا للدلالة على عظمة نصر الله لرسله.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ أُسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ ﴿٢٥﴾

قوله (وإن كان كبر عليك إعراضهم) الكلام في بيان حكمة الله في البناء على التخيير من دون الإلجاء إلى سبيل الحق، وتفيد (إن) الشرط، وجملة الكون مقامها فعل الشرط كناية عن شدة حزن النبي ﷺ لصد القوم له. وقوله (فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية)

الفاء للتفريع، والاستطاعة القدرة والقوة، وابتغاء النفق في الأرض بمعنى الاغتياص فيها، وابتغاء السلم في السماء بمعنى العروج إليها، والفاء الثانية للسبب، أي لأن تأتيهم بمعجزة كي يؤمنوا فهي جملة تعجيز كما يقال لإنسان تحير في سبل إقناع آخر: لو طرت في السماء أو غصت في الأرض لن تجد ما يجبره على الاقتناع، وجواب (فإن) بمعنى: فافعل.

وجواب الشرط الأول في قوله (وإن كان كبر عليك إعراضهم) يقدر من جملة الشرط الثانية ليكون تحصيل المعنى: إن كان كبر عليك إعراضهم فاتهم بآية تقهرهم على الإيمان.

والمعنى المتحصل: ليس لك يا محمد قهرهم على الهداية، وإنما الأمر متروك لقناعاتهم في اختياراتهم.

قوله (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) أي: ولو كان جوهر الأمر قائماً على مبدأ سلب الإرادة والاختيار لجمعهم الله على هدى الإسلام، ولكن مشيئته سبحانه اقتضت أن يكون الجزاء ثواباً أو عقاباً على مبدأ اختيار العبد لأعماله، ولو شاء سبحانه غير ذلك لفعل.

قوله (فلا تكونن من الجاهلين) الفاء للتفريع، والنهي عن الجهل بمعنى: لا تحملك شفتك على قومك في إعراضهم وعدم استجابتهم على تناسي مسؤولية اختياراتهم في أعمالهم، لأن التوحيد اختيار في الهداية قائم على المحبة القلبية والقناعة العقلية.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ تَرْتُّ إِلَيْهِ

يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾

قوله (إنما يستجيب الذين يسمعون) القطع لوقوع الكلام علة لما سبق في أمر عدم المبالغة في رجاء اعتداء المشركين، والأداة (إنما) للقصر بمعنى: لا يستجيب إلا الذين يسمعون، والاستجابة كناية عن الإقبال على الإيمان بالله ورسوله، وقصرها على الذين يسمعون لأنهم أفادوا من آلة السمع بعده أحد مفاتيح العلم، فتدبروا ما سمعوا من معارف إلهية ففهموها واتبعوها، والكلام ثناء من الله على المؤمنين.

قوله (والموتى يبعثهم الله) استعارة تصريحية للمشركين، شبه الصادين المعرضين من المشركين بالموتى ثم حذف المشبه، وفيه مقابلة في المعنى بينه وبين قوله (الذين يسمعون)، والإخبار ببعث الله لهم متضمن معنى التهديد والوعيد، أي: يبعثهم من قبورهم.

قوله (ثم إليه يرجعون) العطف (ثم) للتراخي الرتبي، وتفيد إلى في (إليه) انتهاء غايتهم إلى قضاء الله وحكمه فيهم للحساب يوم البعث والنشور، وتقديمه على عامله للاهتمام، وفعل الرجوع الرد والمصير.

قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٧﴾

قوله (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ) القول اقتراح من المشركين على النبي ﷺ بتنزيل معجزة أخرى غير القرآن، لأنهم لا يؤمنون بآياته عنادا وتعجيزا، والأداة (لولا) تفيد العرض والتحضيض، وإضمار فاعل التنزيل لجهلهم بمقام ربهم، وفعل التنزيل أريد به تنزيل الآية بكثرة آية بعد أخرى، والهاء في (عليه) راجع إلى الرسول ﷺ، وتكثير لفظ الآية بمعنى آية خاصة لا تشبه آيات القرآن لإنكارهم معجزته، وحرف الجر (من) للابتداء، ولم يقولوا: من الله أو من ربنا إزرأ بأمره وتأكيذا في عجزه، أي لو كان ما يدعيه حقا فليغر له ربه لينزل عليه آية تنصره.

والذي حملهم على هذا الاقتراح تعجيزهم للنبي أولاً، ولا اعتقادهم بأوثانهم إذ أسندوا لكل إله أمراً من أمور الكون يرجعون به إليه في طلب الشفاعة على نحو الاستقلال عن باقي الآلهة، فهذا إله الحرب وذاك إله السلم فإله الرزق وإله البر وإله البحر وإله الحب وإله البغض وهكذا سائر الآلهة، فكانهم في أمن بها عن اتخاذ إله آخر، إذ لم يبق له شيء يتصرف فيه من أحوال الكون فقد وزعوها بين أعضاده.

قوله (قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ)

أي: إن الله قادر على أن يستجيب إلى اقتراحهم هذا واقتراحهم السابق بإنزال الملك في قوله (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) ولكن الذي يمنع أمران:

الأول: إن أعظم آية هو القرآن، وهو يراد به إثبات صحة الدعوى من نبوته، وإنما طلباتهم تدخل في باب التعجيز.

الثاني: تلبية اقتراحهم يعني أما الإيمان أو العذاب بعدم الإنظار كقوم نوح وهود وصالح، بينما في قضاء الله أنهم منظرون نحو قوله (ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا ينظرون)، فإذا اقتراحهم جهل بمصلحتهم وتعجيل بالهلاك على أنفسهم.

وفي رد الجواب جرى تبديل لفظ الرب في قولهم (لولا نزل عليه آية من ربه) بالتصريح بلفظ الجلالة في قوله (قل إن الله) للدلالة على برهان الحكم، فإن الألوهية المطلقة تجمع كل كمال من غير أن تحد بحد أو تقيد

بقيد فلها القدرة المطلقة، والجهل بالمقام الألوهي هو الذي بعثهم إلى اقتراح الآية بداعي التعجيز. قاله العلامة الطباطبائي. انتهى.

قوله تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿٣٨﴾

قوله (وما من دابة في الأرض) العطف لصلة الكلام في بيان عظمة القرآن وما فيه من آيات تفصيلية دالة على الوحدانية ردا على إنكار المشركين له، و(ما): نافية، منتقض نفيها بأداة الاستثناء لإفادة القصر، ويفيد حرف الجر(من) تقوية النفي، والدابة كل ما يدب على الأرض من حركة خفيفة، واستعمل عرفا لذوات الأربع، وقوله (في الأرض) تأكيد ثان لحركة الدابة.

قوله (ولا طائر يطير بجناحيه) الإطناب بذكر فعل الطيران ولفظ الجناحين زيادة في تفصيل حركة الطائر بوصفه أسرع إذا ما قابله الدبيب فيما سبق وهو الحركة الخفيفة.

قوله (إلا أمم أمثالكم) أداة الاستثناء ملغاة تفيد التأكيد، والأمم من الأم وهو القصد، وكل ما يجمع الناس أو الجماعة مقصد واحد من المكان أو الدين أو اللغة أو السنة أو الزمان، والمماثلة المشابهة.

والمراد أن الله خلق الموجودات الحيوانية على أساس المجموعات التي تشترك بالصفات كما خلق الإنسان بذات المبدأ، والحكمة فيه لاستمرار الألفة وضمان استمرار النوع.

قوله (ما فرطنا في الكتاب من شيء) استئناف لبيان عظمة القرآن، بكونه كتاب تشريع كامل بمعارفه الإلهية تتحقق بها سعادة الإنسان في الدنيا وتفضي إلى النجاة في الآخرة، وتفي التفريط عنه بمعنى إثبات كماله، وتعريف الكتاب للعهد وهو القرآن، ويحتمل إرادة اللوح المحفوظ، و(من) زائدة لتأكيد النفي، ولفظ الشيء وتكثيره لإفادة العموم، وفي الكلام رد على الذين اقترحوا آية غير القرآن.

قوله (ثم إلى ربهم يحشرون) يفيد العطف بـ (ثم) التراخي في الزمن، فكل شيء من المخلوقات يلبث في عالم البرزخ قبل الوقوف للحساب، والحشر هو جمع الناس لا على اختيارهم بل بإزعاج إلى الحرب أو الجلاء ونحوه، وحرف انتهاء الغاية لرجوع الخلاق إلى خالقها للوقوف للحساب وتحقيق العدالة.

وفي الكلام التفات من الغيبة إلى الغيبة بالنسبة إليه سبحانه فقوله (ما فرطنا في الكتاب من شيء) بضمير التكلم جملة معترضة عدل عنها إلى الغياب لرجوعه إلى أصل السياق في الحديث عن الغيبة فقال (إليه يحشرون).

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكْرٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٩﴾﴾

قوله (والذين كذبوا بآياتنا) كناية عن المشركين بصفاتهم وهي الكفر وهم المكذبون، وتعدية الفعل بالباء في (بآياتنا) لتضمن معنى التكذيب الجحد،

والآيات البراهين الدالة على وحدانيته تعالى، وإضافتها إلى نون العظمة لتحويل اجترائهم على التكذيب.

وقوله (صم وبكم) لفظ الصم جمع أصم وهو الفاقد السمع، كناية عن الجاهل الذي لا يتدبر ما يسمع من حقائق الإيمان للانتفاع بها فهو وفاقد السمع واحد، والبكم جمع أبكم وهو الفاقد الكلام، كناية عن يكتم الحق بعد معرفته وقد يراد بهم أئمة الكفر من المتبوعين، ولهذا جمع بين اللفظين بالواو لأنهما مختلفان في إفادة المعنى، واللفظان موقعهما البذل من قوله (والذين كذبوا).

وقوله (في الظلمات) شبه الجملة موقعها الخبر لاسم الموصول، وحرف الجر (في) للظرفية المجازية، والظلمات استعارة للكافر بجامع التخبط والاضطراب وضياح الغرض، وجمع الظلمات للإشارة إلى ظلمة الجهل وظلمة الكفر وظلمة العقوبة.

قوله (من يشأ الله يضلله) الفصل للتعليل، ومشية الله بالإضلال ليست ابتدائية بل قضاها سبحانه أن تكون على سبيل المجازاة للعبد، ويكون برفع أطفاه سبحانه عنه والتخلية بينه وبين شيطانه.

قوله (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي: ومن يشأ الله يحول العبد إلى طريق النجاة الذي وصفه بالصراط المستقيم، والحرف (على) استعارة لمعنى ركوب الصراط والنجاة، وتأكيد اللفظ لخصوصية الصراط ووصفه

بالمستقيم زيادة في معنى إنجاء سالكيه، وبين جملة المشيئة تقابل بديعي لافـت.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

قوله (قل أرايتكم إن أتاكم عذاب الله) الأمر في (قل) للنبي ﷺ على سبيل الاحتجاج على المشركين، والاستفهام وفعل الرؤية بمعنى: أخبروني ما تصنعون إذا جاءكم العذاب أو قامت الساعة وأنتم على كفركم، هل ستدعون الله أم أصنامكم؟ لأن الإنسان في فطرته يلجأ إلى من يكشف عنه العذاب.

وإتيان العذاب حوله فيهم بغتة، وإضافته إلى لفظ الجلالة تهويل له فهو عذاب لا يرد ولا يدفع.

وقوله (أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ) الترديد بـ (أو) لأنه مصير مباغت آخر لهم منذر بالعذاب الأخروي الدائم الذي يكون بقيام القيامة.

قوله (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ) الجملة موقعها المفعول الثاني لفعل الرؤية، والاستفهام للإنكار، والمعنى: أخبروني إذا حل فيكم العذاب أو قامت الساعة هل تدفع أوثانكم العذاب عنكم، وفعل الدعوة بمعنى تعبدون لأن الدعوة والمناجاة والطلب معان من جوهر العبادة.

وقوله (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) التعليق تعريض بهم بالتشكيك بصحة دعواهم حتى في لحظات عذابهم، وهو كذلك إشارة إلى رسوخ الكذب في طبائعهم.

قوله تعالى ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿٤١﴾

قوله (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) حرف الإضراب (بل) أفاد تجاهل دعوة غير الله، لتأكيد دعوته سبحانه، وتقديم ضمير النصب لاختصاص الله بالعبودية، والمعنى: إنكم في ذلك موقف الحساب تلجؤون إلى الله فهو الكاشف للعذاب.

قوله (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ) الفاء للعطف، والكشف بمعنى الإزالة والإبعاد، و(ما) اسم موصول، والضمير في (إليه) عائد إلى (ما) إشارة إلى كشف العذاب الذي تعلق بالمشيئة كناية عن كمال القدرة.

قوله (وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) الكلام معطوف بالواو على (بل إياه تدعون)، أي: وتنسون أصنامكم التي زعمتموها شركاء لله بسبب رؤيتكم أهوال العذاب.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَالَهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿٤٢﴾

في هذه الآيات ذكر للأمم التي لم تستجب لدعوات التوحيد والإخلاص لله لانشغالها بترف النعم عن التضرع لله فاستدرجت أكثر بأشكال النعم لعلمهم يتضرعون بما اختاروا من عيش مترف بعيد عن الله زينه لهم الشيطان حتى فتح الله لهم أبواب نعمه ليزدادوا بعدا عنه والتضرع له، وهم فرحون بغمرة النعم باغتهم العذاب.

قوله (ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك) في الآية وما بعدها ذكر للأمم التي لم تستجب لدعوات التوحيد والإخلاص لله، لانشغالها بترف النعم عن التضرع لله، فاستدرجت أكثر بأشكال النعم، وبما اختاروا من عيش مترف زينه لهم الشيطان فازدادوا بعدا عن الله والتضرع له، فباغتهم الله بالعذاب وهم فرحون بغمرة النعم.

والخطاب للنبي ﷺ، والمراد تحذير أمته، والكلام مؤكد بحرف التحقيق والقسم لأهميته، والإرسال البعث من الله تعالى ونون الجمع للتعظيم، وحذف مفعول فعله بمعنى: أرسلنا رسلا، و(من) زائدة للتأكيد، والظرف للسبق الزمني.

قوله (فأخذناهم بالأساء والضراء) الفاء للتفريع، وفي الكلام حذف كثير تقديره: فأرسلنا إليهم رسلا وعظوهم ودعوهم إلى عبادة الله الواحد فعصوا فأخذناهم بالأساء والضراء، وفعل الأخذ الإمساك والحبس، و(بالأساء والضراء) إشارة إلى أشكال البلاء قوة وضعفا، فالأساء تطلق على شدة البؤس كالحرب والأوبئة ونحوها، والضراء لما هو أخف وأمس بجسد

الإنسان من مرض وفقر ونحوه، والجمع بينهما للدلالة على تحقق الشدائد في الخارج كالجذب والسييل والزلزلة، وما يعود إلى الناس من قبلها من سوء الحال كالخوف والفقر.

قوله (لعلهم يتضرعون) تعليل للأخذ، والغاية حملهم على أن يعودوا إلى فطرة التوحيد التي جبل عليها الإنسان، وتظهر حين يذهل بالبأساء والضراء، عندها يلجأ إلى فطرته في التضرع إلى خالقه وهو الله، والضراعة شدة التذلل.

قوله تعالى ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

قوله (فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا) الفاء للتفريع، والأداة (لولا) تفيد الحض والنفي، والمراد بها النفي، أي: لم يتضرعوا حين مجيء البأس ولم يرجعوا إلى ربهم بالتذلل رجاء كشفه عنهم، وفي الكلام بيان أن التضرع لله شكل من أشكال الرحمة حتى لأمثال هؤلاء، ولفظ البأس كناية عن المصيبة الشديدة، وإسناده إلى نون العظمة إشارة إلى الابتلاء والاختبار.

قوله (ولكن قست قلوبهم) الاستدراك بمعنى: أنهم لم تلجئهم البأساء إلى دعاء الله تعالى والتقرب إليه بالتضرع، بل زادت قلوبهم قساوة وبعدا عن رحمة الله، وإسناد الفعل إلى القلوب مجاز عقلي للمبالغة في تصوير قلوبهم

بأنها أصبحت جامدة كالصخرة لا تتأثر بكلمات اللين والرحمة من دعوة الأنبياء.

قوله (وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون) التزيين الإغراء بعمل الفعل القبيح وتصويره بالمنظر الجميل، والكلام إشارة إلى ما حكاه القرآن عن الشيطان في قوله تعالى (لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم) [الحجر ٣٩].

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾

قوله (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ) الكلام مفرع على ما تقدم، وأريد بالنسي الترك لما وعظهم به الأنبياء من التوحيد وترك الشرك، ولما توعدوهم من عاقبة مخالفته تعالى.

قوله (فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ) الجملة جواب لـ (لما)، مجاز لنزول أشكال النعم على الكافرين من صحة ومال وبنين وخصب ورفاهية وأمن وقوة استدراجا للارتكاس في الضلالة أكثر، وفعل الفتح استعارة لما استغلق من أبواب الخير الذي عبر عنه بلفظ العموم، فكأن أشكال النعم كانت أبوابها مغلقة ففتحت عليهم بإفاضات الترف من كل شيء، حملا على استدراجهم وإغرائهم، وحرف الاستعلاء في (عليهم) لأن الخيرات والنعم تترقب من السماء.

قوله (حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا) الكلام إشارة إلى سعادة الكافرين بالنعيم وتماديهم في الترف من غير أداء شكرها بعبادة المنعم.

قوله (أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً) أي: قبضنا عليهم فجأة، كل في شكله الذي هو عليه من البعد عن الله، ومن القرب من لذائذ الشيطان، فهذا منظره كذا وذاك شكله كذا من الموبقات المتلبس بها، وهذا ما يفيد عذاب البغته أي: على حاله الطبيعية من السوء والاستكبار من غير إعطاء فرصة لتغيير الشكل والرياء.

قوله (فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) الفاء للتعقيب، و(إذا) تفيد الفجاءة، والإبلاس يأس بحزن، ولذا سمي إبليس، فاليأس لمكان استحالة رجوع الفرصة للتوبة، والحزن لضياعها وعدم الاستفادة منها.

قوله تعالى ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾

قوله (فقطع دابر القوم الذين ظلموا) الكلام معطوف على قوله (أخذناهم)، وقطع الدابر كناية عن استئصال الكافرين وإهلاكهم، فلا يبقى لهم أثر، والإتيان بجملة الموصول لبيان علة استئصالهم، ولذلك أظهر الفاعل ولم يضر، فلم يقل: فقطع دابرهم، والظالمون الكافرون.

قوله (والحمد لله رب العالمين) الإخبار ثناء من الله على نفسه، لإحقاق العدل، وإنزال العقاب بمن استحقه.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بِهِ أَنْظَرُ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾

قوله (قل أرايتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم) التلقين بـ (قل) والاستفهام بفعل الرؤية احتجاج على عناد المشركين بمعنى: اذكر أيها النبي ﷺ لقومك المشركين ماذا يصنعون لو سلب الله منهم سمعهم وأبصارهم.

وقوله (وختم على قلوبكم) العطف بمعنى دخول الجملة تحت حكم الاحتجاج بفعل الرؤية، والختم المنع الضامن لإحكام الغلق، كناية عن قساوة القلوب وتحجرها فلا تؤثر فيها كلمات الوعظ والرحمة فهي قاسية كالصخر، وهذه المفاتيح كلها من السمع والبصر والقلوب اللينة من مواهب الله وعطاياه للإنسان، التي بها يتقرب إليه تعالى في استحصال المعارف الإلهية والعلوم المختلفة، وحرمانها منه بمعنى الحكم عليه بالهلاك.

قوله (من إله غير الله يأتيكم به) اسم الاستفهام بمعنى النفي لأن الاستثناء مفرغ أي: لا إله غير الله يأتيكم به، والخطاب للمشركين، والإتيان الإعطاء، والضمير في (به) بمعنى: من يأتيكم بالأمر.

وفي الكلام تعريض بآلهة المشركين التي يزعمون لها الشراكة مع الله، ولهذا عدد نعم السمع والبصر والفهم التي لا تقوى الأحجار الجامة على منحها، والكلام من أساليب تنبيه الذهن والإيقاظ من سبات العقل، وهو مثل

تفسير إبراهيم عليه السلام للأصنام ثم تعليق الفأس على الصنم الكبير في قوله تعالى (بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون) [الأنبياء ٦٣].

قوله (أنظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون) فعل النظر للاعتبار والتعجيب، والخطاب للنبي ﷺ، والسؤال بـ (كيف) مجرد من الإجابة لإفادة التعجيب، وصرف الآيات بمعنى تحويلها إلى الأنظار وأمام العيون لأخذ العبر، والآيات الدلائل الواضحة، وتعريفها لشدة حضورها الذهني.

وتفيد (ثم) التراخي الرتبي، وضمير الفصل (هم) للقصر، والإصداغ شدة الإعراض، بمعنى: لا يفيدون من تدبر الآيات والنظر فيها ملياً من الزمن، بل يبتعدون عنها.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴾

قوله (قل أرايتكم) الاستئناف حجاج يعقب آخر، وضمير الأفراد في فعل أمر القول للنبي ﷺ لأنه المخاطب، وضمير الجمع في فعل الرؤية لقومه لأنهم المخاطبون المحتج عليهم، وهمزة الاستفهام وفعل الرؤية بمعنى: هل تخبرونني ماذا تصنعون إن حل بكم العذاب فجأة أو جهرة.

قوله (إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة) وإتيان العذاب بمعنى إحلاله فيهم، وإسناده إلى اسم الله لتحويله لأنه لا يكون إلا عن غضبه تعالى، وانتصب لفظ البغطة على الحال، أي: حلول العذاب في حال من نفي الاستعداد له،

والترديد بـ (أو) بمعنى التقسيم لا الجمع بأن النتيجة واحدة من سوء العاقبة بالهلاك، والجهرة بمعنى العلن في مقابل البغته التي معناها العذاب الخفي الذي لا يشعر بحلوله، فعذاب البغته العذاب لا يسبق بعلامة، وعذاب الجهرة العذاب الذي تسبقه علامة كعقر الناقة، وإرسال الريح الصفراء.

قوله (هل يهلك إلا القوم الظالمون) حرف الاستفهام (هل) بمعنى (ما) والكلام يفيد القصر بأسلوب النفي والاستثناء، وحسن استعمال الاستفهام لما فيه من مفاجأة السامع وتنبيهه وشده، لأن الاستفهام في جوهره يتطلب إجابة من السامع، فيفاجأ باستعماله من عدم الإجابة، بأن المراد ليس طلب الفهم بل شيء آخر، وإظهار لفظ الظالمين في موقع الإضمار لبيان علة الإهلاك، وصفة الظلم يراد بها الشرك، والإتيان بلفظ القوم لبيان صفة رسوخ الظلم لهم.

قوله تعالى ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿٤٨﴾

قوله (وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين) أي: إن حقيقة إرسال الرسل للتبشير بعبادة الله، للفوز بتحقيق سعادة الدنيا والآخرة، وللإنذار من عبادة غير الله بالعذاب الشديد، وأكد هذا المعنى بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء، فقصر مهمة المرسلين بإيجاز شديد بالبشارة والندارة، وقدم

التبشير قبل الإنذار ترغيباً للنفس في الإقبال على المسر، تجنباً لما يسوؤها في حال العصيان، والمرسلون مصدر ميمي بمعنى الرسل.

قوله (فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون) الكلام مفرع على معنى البشارة والندارة، لتفصيل عواقبهما، فبدأ بالمؤمنين لأنهم الأكثر انتفاعاً ببعثة الأنبياء، ووعدهم بالأمان في يوم الفرع الأكبر.

قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ



العطف، لأنهم الغرض الثاني الذي تستهدفهم بعثة الأنبياء بإنذارهم من الإصرار على التكذيب بالرسول وآيات الله، والتكذيب بالآيات بمعنى جحدها وإنكارها، والمس بالعذاب متضمن معنى شدة مخالطة ألمه لهم، وتعريف العذاب للتعظيم والتهويل، والباء في (بما) تفيد السبب، وفعل الكون لرسوخ فسق المكذبين، والمعنى: أن الجزاء حصل بسبب أعمالهم الخارجة على نظم السماء والشرعية.

قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

قوله (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله) الأمر بفعل القول تعليم من الله تعالى لنبيه للمحاجة على قومه في اقتراح الإتيان بالمعجزة، بأنها خاصة به تعالى لا شأن للأنبياء بها، فلقنه تعالى نفي ثلاثة أمور عن نفسه، لأنها من مختصاته تعالى وليست مما يعني غرض إرساله، وأولها نفي امتلاكه خزائن الله.

ولفظ الخزائن استعارة لما هو جوهر نفيس، والمراد بها النعم المختلفة التي لا تعد ولا تحصى، وعلى حد تعبير العلامة الطباطبائي: المقام الذي يعطي بالصدور عنه ما أريد من شيء، من غير أن ينفد بإعطاء وجود أو يعجزه بذل وسماحة، وهذا مما يختص به الله سبحانه، وأما غيره كائنا ما كان ومن كان فهو محدود، وما عنده مقدر، إذا بذل منه شيئاً نقص بمقدار ما بذل، وما هذا شأنه لم يقدر على إغناء أي فقير، وإرضاء أي طالب، وإجابة أي سؤال. انتهى. وإضافة الخزائن إلى اسم الجلالة لتعظيمها.

قوله (ولا أعلم الغيب) العطف، لأنه النفي الثاني الذي علم الله نبيه، بأن يخبر به قومه، فالغيب مما اختص به الله وحده، ولم يطلع عليه أحد إلا بما اقتضت حكمته تعالى.

قوله (ولا أقول لكم إني ملك) العطف للتلقين الثالث، بنفي كونه ملكاً، بمعنى تأكيد كونه بشراً مرسلًا يحتاج ما يحتاجه البشر من أكل وشرب وغرائز إنسانية، وفي مضمونه الرد على المشركين في عدم تصديق إمكان إرسال البشر رسلاً واقتراحهم بإرسال ملك.

قوله (إن أتبع إلا ما يوحى إلي) فصل الكلام، لأنه تعليل للتلقين في كونه بشرا مرسلا، ولذلك تأكد المعنى بقوة بأسلوب القصر، وتفيد (إن) معنى (ما) النافية، والاتباع الانقياد، وجملة الموصول علة لمعنى الاتباع، وفعل الوحي وسيلة التواصل بين النبي وربه، وفي الكلام تعليم لنبيه يراد به مخاطبة قومه بتحديد رسالته، بكونه مبلغا متبعا لأوامر ربه ونواهيته بطريق الوحي، ليس له أن يقترح المعجزات أو يبدلها، لأن الله وحده الأدرى بحكمة إنزال المعجزة، والكلام متضمن الرد على المشركين.

قوله (قل هل يستوي الأعمى والبصير) الأمر بفعل القول احتجاج آخر بضرب المثل بنفي تساوي المهتدي والضال، والاستفهام يفيد الإنكار، وفعل الاستواء بمعنى التساوي في الأثر، والأعمى استعارة تصريحية للمشرك الكافر بجامع الظلام والتخبط في كل منهما، وكذلك لفظ البصير استعارة للمؤمن المستنير بجامع اهتداء الطريق.

والاستفهام يراد به نفي التساوي عقلا ومنطقا بين من ينتفع ببصره، فيهتدي إلى طريق الحق وبين من لا ينتفع به فكأنه أعمى، فهذا استحقاقه الجنة، وذاك استحقاقه النار.

قوله (أفلا تتفكرون) الفاء للتفريع، والاستفهام يراد به توبيخ المشركين وإنكار التفكير عنهم، والتفكر التعقل والتدبر، ونفيه عن المشركين لأنهم لا يُعملون عقولهم فيما يرون من آيات التوحيد النازلة على نبيه.

ومراد المعنى باتصال ما سبقها نفي التساوي بين النبي ﷺ وبينهم، وإن تساويا بالخلقة والإنسانية فهما مختلفان اختلاف الأعمى والبصير.

قوله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٥١﴾

قوله (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الواو للعطف على قوله تعالى (إن أتبع إلا ما يوحى إلي)، والخطاب إلى النبي ﷺ، والإنذار التخويف من عاقبة المخالفة، والباء في (به) للتعدية، والهاء راجع إلى القرآن، والإتيان بجملة الموصول لتفصيل حال المنذرين وأريد بهم المؤمنون جديده العهد بالتحول من الشرك إلى الإيمان لهذا خصوا بهذه العناية من دون سائر الناس، وقد يكون لغيرهم ممن يستشعر الخوف في قلبه من الحشر على ما ذكره المفسرون، والحشر الجمع لا على نحو الاختيار والإرادة بل بنحو القهر والإزعاج، وحرف الغاية (إلى) لانتهااء غاية الحشر إلى موقف الحساب بين يدي ربهم.

قوله (ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) ضمير جمع الغائبين في (لهم) عائد إلى ضمير (يخافون)، و(من) زائدة للتأكيد، والهاء في (دونه) عائد إلى لفظ الرب، والولي الناصر، والشفيع يراد به المخلص، وجملة النفي موقعها الصفة لجملة الموصول، والمعنى: أن الله تعالى ولي الذين آمنوا

ومخلصهم، لأن المشركين معتقدون بالأوثان شفعاء لهم في الآخرة، وفي الكلام تهديد وتعريض بالشرك والمشركون.

قوله (لعلهم يتقون) جملة تعليل للإنذار، أي: ليكون ذلك التنذير سبيلا لتجنب معاصي ربهم.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

قوله (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) النهي من الله خاطب به نبيه والمراد به غيره من قومه المستكبرين الذين اشتراطوا عليه لإسلامهم طرد الفقراء لاستنكافهم مجالستهم كعمار وبلال وصهيب وسالم، والطرد الإبعاد باستخفاف، وجملة الموصول تعليل للنهي بكونهم مواظبين على عبادة ربهم ليل نهار، والغدو أول النهار والعشي آخره.

قوله (يريدون وجهه) جملة حالية، وفعل الإرادة الرغبة القلبية إشارة إلى صدق محبتهم لربهم، وذكر الوجه مجاز لغوي مرسل علاقته الاستلزام، والمقصود رضوان الله، لأن الإقبال علامة للرضا ويكون بالوجه في العادة.

قوله (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء) الجملتان مؤداهما واحد، فالأولى بمعنى: إن حسابهم إلا على الله، وذلك لأن المشركين طعنوا في دين الفقراء وإخلاصهم فرد الله بالصفات السابقة لهم بإرادة وجهه والشهادة لهم بالإخلاص، و(ما) نافية، و(من) الأولى والثانية كلاهما زائدة لتأكيد نفي العموم، وضمان جمع الغائبين عائدة إلى الضمير في اسم الموصول (الذين) وهم الفقراء المؤمنون.

أما قوله (وما من حسابك عليهم من شيء) أي: ليس لهم أن يحاسبوك بشيء، والمعنى: لا تؤخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه، هذا إذا عاد الضمير على الذين يخافون.

أما إذا عاد الضمير على المشركين فيكون المعنى: لا يؤاخذون بحسابك، ولا أنت بحسابهم حتى يهملك إيمانهم ويحرك الحرص عليه إلى أن تطرد المؤمنين. كذا قاله الزمخشري. انتهى.

والمؤكدات الكثيرة بالنفي والاستثناء وحرف الجر (من) فضلا عن صياغته بالإخبار بالجملة الإسمية لتأكيد المعنى وإثباته.

قوله (فتطردهم) الفاء للسبب، والفعل منصوب بأن مضمرة بعد الفاء، وإعادة الفعل لتأكيد النهي وتمهيد لما بعده خوف اللبس من إطالة الكلام.

قوله (فتكون من الظالمين) الفاء لتفريع الجملة على فعل النهي الأول.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴾

قوله (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا) اسم الإشارة بمعنى: وكذلك الفتون. والفتنة الامتحان بجعل التفاوت بين ضعفاء المؤمنين وأقوياء المشركين سببا لتمييز الكافرين من الشاكرين، وجملة التعليل في فعل القول مبينة لذلك.

قوله (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) الاستفهام للإنكار، واسم الإشارة لتحقير الفقراء المؤمنين، والامن الإنعام، وحرف الجر في (عليهم) مجاز استعلائي، و(من) للتبيين، والظرف إنكار منهم لهذا التمييز لاستعلائهم واستكبارهم، ومقال المشركين تحقير للمؤمنين الضعفاء من الفقراء والعبيد.

قوله (أليس الله بأعلم بالشاكرين) الاستفهام للتقرير، ويكون الايجاب عنه بـ (بلى)، ولفظ الشاكرين ملاحظة لفعل المن، إذ فيه إحياء بشكر المؤمنين لربهم الذي من الله عليهم بنعمة الإيمان، والباء الأولى زائدة للتأكيد، والباء الثانية لتعدي اسم التفضيل.

قوله تعالى ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾

قوله (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) الخطاب من الله لنبيه، وجملة الموصول إشارة إلى المؤمنين الجدد في مكة الذين عبر عنهم بعد ذلك بالمضي بصيغة (الذين آمنوا)، وتعديّة فعل الإيمان بالباء بمعنى التصديق بآيات الله، التي أسندت إلى نون العظمة لصدقها وتعظيمها.

قوله (فقل سلام عليكم) الفاء واقعة في جواب (إذا) الشرطية، وتنكير لفظ السلام لإفادة معنى الثبات، وحرف الاستعلاء في (عليكم) لتمكن السلام منهم، والمعنى إشعارهم بدفع الإسلام وهو تحيتهم بانضمامهم إليه وتسليمهم لله، وفيه أمر من الله لنبيه بالتلطف بهم في التعامل معهم.

قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) الكلام من تنمة القول التلقيني من الله لنبيه، والكتابة بمعنى الفرض، وحرف الجر (على) يفيد الوجوب وهو من لطف الله بعباده بأن أوجب على نفسه الرحمة بعباده وعدا محتوما لا خلف معه.

قوله (أنه من عمل منكم سوءا بجهالة) الفصل لمضمون فعل الكتابة المستوجب السؤال التقديرى: ماذا أوجب الله على نفسه؟ فأجيب: أنه من عمل منكم سوءا الآية، ولفظ سوء استعارة للمعاصي تشبيها لها عما يسوء الإنسان منظره، وفي الكلام حذف تقديره: من عمل منكم عمل سوء، فأقيمت الصفة مقام الموصوف للمبالغة، والباء المقترن في لفظ الجهالة للملابسة، وشبه الجملة في موضع الحال، أي: عملا بجهل وحمالة وتقصير بالعلم عن حقيقة المعصية وعواقب ارتكابها.

قوله (ثم تاب من بعده وأصلح) ثم للتراخي الرتبي، والتوبة الرجوع عن فعل المعصية والندم عليها، و(من) ابتدائية، والهاء في الظرف (بعد) راجع إلى عمل السوء، وفعل الإصلاح بمعنى رد الحق إلى أهله أو إصلاح نفسه.

قوله (فإنه غفور رحيم) الفاء واقع في جواب (من) الشرطية، وضمير الشأن في (إنه) للتعظيم، والجملة الإسمية المؤكدة جواب الشرط جيء بها للدلالة على ثبات معنى الرحمة والغفران لله سبحانه، وتأكيدا لقوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة).

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ



قوله (وكذلك نفصل الآيات) التشبيه بالكاف ولفظ الإشارة بمعنى: وكذلك التفصيل نفصل الآيات، وتفصيل الآيات تبين الحجج والبراهين الدالة على توحيده سبحانه وإظهارها بشرح المعارف الإلهية وتخليصها من الإبهام.

قوله (ولتستبين سبيل المجرمين) العطف على جملة تفصيل الآيات، واللام المقترن بلفظ الاستبانة للتعليل، والاستبانة مبالغة في تمييز سبيل المجرمين الضالين لكثرة ما يحيطون طرقهم بالشبهات، فاستعمال لفظ السبيل الذي يقرن بالخير عادة يوحي هنا بذلك الإيهام الذي يتخذه المجرمون لإضلال

الناس من خلط الحق بالباطل، فيأتي تفصيل الآيات بشرحها وبيان معارفها لتجنيب المؤمنين الطرق الموهمة المضلة للمجرمين.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿٥٦﴾

قوله (قل إنني نهيت) الخطاب للأمة من خلال النبي ﷺ في سياق الآيات المحتجة على المشركين في أمر النبوة والمعاد، وبناء فعل النهي للمعلوم لمعرفته في الأذهان وحضوره وهو الله تعالى، والنهي الامتناع.

قوله (أن أعبد الذين تدعون من دون الله) جملة (أن) والفعل موقعها المفعول، والإتيان بجملة الموصول لتعليل فعل النهي، بأنها عبادة غير ذات نفع، لأن المعبود من دون الله عبث لا يضر ولا ينفع، وفعل الدعوة إشارة إلى العبادة لأن العبادة أصلها الدعاء، والجملة كناية عن الأصنام التي يدعيها المشركون آلهة.

قوله (قل لا أتبع أهواءكم) التلقين والنهي لتعليل لما سبق، لأن اتخاذ الأصنام آلهة لم يأت عن عقل، بل من اقتراح هوى النفس وضلالها، فهي عبادة غير قائمة على حق، بل على أمزجة ضالة، وأهواء نفس منحرفة عن الهدى، رأت الأصنام معبودات، لذلك سماها أهواء على سبيل المجاز المرسل، لأنها السبب في عبادة الأصنام.

قوله (قد ضللت إذا) في الكلام حذف تقديره: ولو اتبعت أهواءكم قد ضللت إذا.

قوله (وما أنا من المهتدين) جملة النفي تأكيد لقوله (قد ضللت).

وفي الكلام تأكيد مشدد بأن عبادة الله لا علاقة لها بالأهواء، وإنما قوامها العقل، وبه يتوصل إليه.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ



قوله (قل إني على بينة من ربي) حرف الجر (على) فيه دلالة الاستعلاء، فكأن البينة مستشرف عليها النبي ﷺ ناظر بإحاطة كاملة لأطراف الأمر، و(من) للابتداء، وإسناد لفظ الرب إلى ياء المتكلم تعزيز لصدق البينة واليقين بالله، والمراد: من أمر ربي، وهو توحيده سبحانه، وفي مضمون الكلام تكذيب لكثير من الروايات، التي قالت بتشكيك الرسول ﷺ بنبوته، أول نزول الوحي عليه.

قوله (وكذبتكم به) أي: وجدتم القرآن، وأنكرتم المعجزة بتأييد النبوة، وفي الكلام تقابل في المعنى، فكأن الكلام: إني مصدق بأمر ربي وأنتم كذبتكم به، وهو تمهيد لما سيأتي بعده من تهديد.

قوله (ما عندي ما تستعجلون به) النفي من النبي ﷺ بمعنى نفي ملكه إنزال العذاب الذي اقترحوه عليه، لأنه من مختصات الله تعالى، ولا يملك سوى تبليغهم بالرسالة الإلهية، والاستعجال مبالغة في طلب تعجيل الشيء، والخطاب للمشركين وضمير الهاء في (به) عائد إلى اقتراحهم في قوله تعالى (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ).

قوله (إن الحكم إلا لله) الفصل لتعليل النفي، بأن ذلك الحكم لا يملكه أحد سواه تعالى، والحكم القرار الفصل القاضي بالقطع، وهو لله وحده في تعجيل العذاب أو إرجائه.

قوله (يقص الحق وهو خير الفاصلين) جملة تقرير لما سبقها، وفعل القص هنا بمعنى القول، ولفظ الحق لثباته حكمه تعالى وصدقه وعدله، وضمير الفصل (هو) للقصر، والإخبار بكونه تعالى خير الفاصلين بمعنى: منتهى أفضلية القاضين الذين يفصلون بالحكم بين الحق والباطل، ومناسبة الفصل واضحة لمعنى الحكم والقص.

قوله تعالى ﴿ قُلْ لَوْ أَنَّنِي مِمَّنْ تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴾

قوله (قل لو أن عندي ما تستعجلون به) أي: أخبر المشركين يا محمد، لو أملك الأمر الذي تطلبون وهو اقتراحهم بإنزال الملك معه، و(لو) تفيد الافتراض.

قوله (لقضي الأمر بيني وبينكم) اللام في (لقضي) واقعة في جواب (لو)، وقضاء الأمر إنهاؤه من الله تعالى بين النبي ﷺ وبين المشركين بإنزال العذاب عليهم لأن الإمهال لن يكون حينئذ، فهم إما يؤمنون أو يهلكون لا إنظار في الأمر.

قوله (والله أعلم بالظالمين) إخبار يراد به التهديد والوعيد لأن فيه إشارة لحوق صفة الظلم بهم.

قوله تعالى ﴿ * وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَةٍ إِلَّا الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾

قوله (وعنده مفاتيح الغيب) لما نفت الآيات السابقة أن يملك الرسول شيئاً من الغيب بإنزال المعجزة أو تغييرها أو محاسبة الظالمين أكدت الآية الكريمة اختصاص الله بذلك وحده، وتقدم الظرف (عنده) للقصر بمعنى تحت تصرف الله وملكه وحده، فهي عندية التملك لا المكان، والمفتاح جمع مفتاح - بفتح الميم - وهو الخزينة، ويحتمل أن بكسر الميم فيكون بمعنى مفتاح، وعلى كلا المعنيين ينحصر امتلاك الغيب بالله تعالى، لأن من يملك الخزينة أو مفتاحها يملك المعرفة بما فيها والتصرف بها، واللفظ استعارة بالكناية، شبه الغيب بباب خزنة ثم حذف المشبه به وأشار إلى شيء مما يخصه بجامع الشيء الثمين والاحتجاب، والغيب كل ما غاب عن الحس

من الحواس المعروفة. وعكسه الشهادة والحضور، ولذلك بدأت الآية بتصوير غيبه المطلق سبحانه وختمت بما هو أعم من الغيب والشهادة وهو علمه بكل شيء من الرطب واليابس.

قوله (لا يعلمها إلا هو) تأكيد باختصاص الله بعلم الغيب، فهاء الغائب في فعل العلم عائد إلى الخزائن، واستمرار الكلام بضمير الغائب لشهرته وحضوره سبحانه.

قوله (ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) استقصاء في تفصيل علم الله بالغيب، وتفيد (ما) الأولى الموصولية وتعني شمولية علم الله بالخالق العاقلة وغير العاقلة في البر، ولغير العاقلة في البحر، ولو استعملت مكانها (من) لشملت العاقلة فقط وهذا ما لا يفيد السياق، أما (ما) الثانية فتفيد النفي وجملتها تأكيد آخر بأسلوب القصر بالنفي والاستثناء لعلم الله في أدنى ما يتصور وهو سقوط الورقة اليابسة من الشجرة، و(من) زائدة لتأكيد النفي، وتتكير لفظ الورقة للاستغراق، ودلالة حضور فعل العلم إشارة إلى استمرار علمه باستمرار سقوطها في اللحظة والمكان إلى يوم القيامة، وجملة (يعلمها) موقعها الحال.

وقوله (ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) الكلام استقصاء بعد استقصاء لعلم الله في غيوبه بأسلوب القصر لاختصاصه بها وحده سبحانه، وظاهر السياق أن الكتاب المبين غير اللوح المحفوظ، وغير خزائن الله في مفاتيح الغيب وإنما هو شيء مصنوع لله

سبحانه يضبط سائر الأشياء ويحفظها بعد نزولها من الخزائن وقبل بلوغها منزل التحقق وبعد التحقق والانقضاء. قاله صاحب الميزان. انتهى. والله أعلم.

وتكرار فعل العلم بصيغة الحضور في الآية تأكيد لثلاثة أحوال من علم الله سبحانه هي:

أولاً: مثل قوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو) علمه سبحانه في الغيب المطلق الذي لا يعلمه غيره في خزائن رحمته التي لا تحد بحد ولا ينقصها العطاء.

ثانياً: مثل الحال الثانية في قوله تعالى (يعلم ما في البر والبحر) تعميم علمه فيما يمكن أن يسمى بالغيب النسبي، في البر والبحر، بما يمكن أن يتعلق به علم غيره مما ربما يحضر بعضه عند بعض وربما يغيب بعضه عن بعض، وتقدم البر لأنه أقرب للمعرفة عند الناس من البحر كون معيشتهم في البر.

ثالثاً: ومثل الحال الثالثة في قوله تعالى (وما تسقط من ورقة إلا يعلمها) ألا عبرة لكثرة الأشياء وقلتها بالنسبة لعلم الله، فكلاهما سيان في علمه سبحانه، ولذلك خص الورقة في الشجرة بالذكر لصعوبة العلم بالإحاطة بها بالنسبة للإنسان، وفرع على صعوبتها بقوله (ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين) وظلمات الأرض يعني بها باطن

الأرض يعلم الحبة كيف تنبت ومتى تموت، وقوله (إلا في كتاب مبين) سد مسد قوله (إلا يعلمها)، ووصفه بالمبين أي أن كلماته لا تتبدل ولا تتغير.

وصلة هذه الآية بما قبلها هو أن الله يعلم كل شيء وقدر ما في غيبه حالكم من الإنظار، والحكم الفصل بيده سبحانه، ولو كان ذلك إلي - على تقدير الكلام للنبي ﷺ - لقضى بيني وبينكم وأخذكم العذاب الذي يصيب الظالمين خاصة، فهو أدرى بهم ولا يخطئهم، لأنه يعلم ما في البر والبحر، والكل في كتاب مبين.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

قوله (وهو الذي يتوفاكم بالليل) العطف بالواو لاستمرار ذكر مختصات الله تعالى، وضمير الفصل للقصر، والتوفي أخذ الشيء بتمامه وفي القرآن يستعمل في قبض الروح، والإتيان بجملة الموصول لبيان ضرب المثل بالموت والبعث، لأن المشركين كانوا ينكرون المعاد ولجوا في ذلك، وفي مضمون الكلام بيان أن حقيقة الإنسان بروحه لا ببدنه، لأن النائم كالميت غير مستطيع في التصرف ببدنه، وقيد التوفية بظرف الليل كناية عن النوم، فهو شكل من أشكال الموت يتشابهان في الانقطاع عن التصرف في البدن كما تقدم، وهو مثل وصف البعث بعد الموت بالإيقاظ لعود التصرف

بالبدن، وقيد فعل التوفية بالليل والبعث بالنهار، لغلبة استعمال الناس في ذلك، فهم ينامون ليلاً، ويستيقظون نهاراً.

قوله (ويعلم ما جرحتم بالنهار) أي: يعلم ما عملتم، وكنى عن العمل بالجارحة وهي اليد، لأنها مما يستلزم بالعمل، والجملة حالية، ودلالة الفعل (جرحتم) أعمق من معنى عملتم في هذا المقام، فهي تورية عن فعل المعاصي، وفيها إشارة إلى رحمته فهو يعلم مخالفتهم، ولا يعاجلهم بالعقوبة، ولا يمنعهم فضله ورزقه.

قوله (ثم يبعثكم فيه) سمي اليقظة والانتباهة من النوم بعثاً تساوقاً مع تسمية الإنامة توفياً، على أساس التشابه في كل منهما في الانقطاع عن التصرف في البدن، وفيه إشارة إلى الإنسان ليرعوي وينزجر، لأنه يعني بذلك التذكير بأنه يعيش قبض الروح في كل ليلة، وضمير الهاء في الظرفية (فيه) راجع إلى لفظ النهار، وسمي النهار نهاراً لاتساع ضياء الشمس فيه، لأن اللفظ أصله الاتساع ومنه النهر.

قوله (ليقضي أجل مسمى) الجملة تعليل لجملة البعث، وقضاء الأجل إنهاء مدة الحياة الدنيا وانقضاؤها، وتقويده بلفظ المسمى إشارة إلى حتميته، لأن الأجل المسمى الأجل الذي عين يومه وسمي.

قوله (ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) يفيد العطف (ثم) التراخي في الزمن لأنه يحمل دلالة المكث في عالم البرزخ يقضي فيه ما شاء الله قبل البعث والوقوف للحساب لينبئ الله بما عمل من سيئات، وتقديم شبه

الجملة المعمول على عامله للقصر. ولفظ المرجع مصدر ميمي مثل الرجوع، وتفيد (ثم) الثانية التراخي الرتبي في الكلام لأن البعث لا مهلة وراءه، والباء في (بما) للتعدية، و(ما) اسم موصول.

ومحصل المعنى أن من رحمة الله أنه يرسل الأرواح بعد قبضها ليلا لتقضي آجالها المضروبة لها مع علمه بسيئات ما عملوا ثم مرجعكم الموت والوقوف بين يديه للحساب، وهذا هو جوهر الإنظار الذي رد الله به على اقتراح المشركين على نبيهم.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَرُسُلٌ عَلَيْكُمْ حَفَظَةٌ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ ﴿٦١﴾

قوله (وهو القاهر فوق عباده) العطف لاستمرار الكلام في بيان ما اختص به الله تعالى، فقد بدأ التعبير بضمير الفصل الغائب للفظ العظمة والجلالة (الله) من الفاصلة السابقة في قوله (وهو خير الفاصلين) ثم استمر في البيان (وهو الذي يتوفاكم بالليل) بالقصر وأل التعريف فقال (وهو القاهر)، وفي مضامينها كلها دلالة الرد على المشركين بدعواهم الشرك مع الله.

ولفظ القاهر بمعنى الغالب الذي جبر الخلق بكثير من الأمور التي لا خيار لهم فيها كالإحياء والإماتة.

والظرف المكاني (فوق عباده) مجاز لتأكيد العلو والتمكن، لأن العالي أمكن في الغلبة من الداني، وإضافة لفظ العباد إلى هاء الجلالة لدلالة عبوديتهم

التسخيرية إلى الله، وأنهم مملوكون لا خيرة لهم في العتق، ولكنها ليست كعبودية الإنسان للإنسان، بل إن في جوهرها العزة للعبد، وقد جاء في نهج البلاغة قوله عليه السلام: كفاني فخرا أن تكون لي ربا وكفاني عزا أن أكون لك عبدا. انتهى.

قوله (ويرسل عليكم حفظة) أي: ويرسل الله من ملائكته مرسلين يحفظون الإنسان من كل بلية وآفة لحين مجيء أجله المضروب له فيخلون بينه وبين بليته التي يقضي بسببها، وإنما وكل الله حفظة للإنسان في حياته لأنه مخلوق ضعيف في تزامم الموجودات وتنازعها والاستزادة من سهم وجودها، وفي باطن هذا المعنى قوله عليه السلام في نهج البلاغة: اعجبوا لهذا الإنسان ينظر بشحم وينكلم بلحم ويسمع بعظم ويتنفس من خرم. انتهى. والحفظة جمع حافظ، ويراد به المنع، وتنكيره لخصوصية شأنهم.

قوله (حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) تفيد (حتى) انتهاء الغاية، لابتداء أخرى، و(إذا) ظرف للشرط، ومجيء الموت بمعنى حصول سببه وداعيه، وجملة فعل التوفي جواب الشرط، أي: أمسكت رسلنا روحه بعد انقضاء تمام مدته، والمقصود بالرسل الملائكة الموكلين بقبض الروح تحت إمرة ملك الموت عزرائيل.

ومراتب نسب التوفي مختلفة بحسب اقتضاء السياق، فمرة إلى الرسل كما في الآية، ومرة إلى ملك الموت كما في قوله (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) [السجدة ١١]، ومرة إلى الله تعالى كما في قوله (الله يتوفى

الأنفس) [الزمر ٤٢]، الذي ينتهي إليه كل أمر وهو المالك المتصرف على الإطلاق، وإنما ملك الموت وأعوانه من أدوات قبض الأرواح، اقتضت حكمته سبحانه ذلك وإلا فهو مستغن عن كل شيء.

قوله (وهم لا يفرطون) أي: ملائكة التوفي لا يتسامحون ولا يتهاونون في إنفاذ أمر الله بقبض الأرواح، والتفريط التقصير.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ الْحَقَّ ۖ لَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ ﴿٦٢﴾

قوله (ثم ردوا إلى الله) تفيد (ثم) معنى العطف مع دلالة التراخي في الزمن أي: مكثوا في عالم البرزخ بعد قبض أرواحهم، والرد الرجوع إلى أمر الله تعالى، لأن حياتهم ليست دائمة في عالم الدنيا بل وجودهم فيها مؤقت والروح في أبدانهم مودعة لحكمة الابتلاء في الخلق، وتفيد (إلى) انتهاء غايتهم إليه تعالى، ومستقرهم عنده، أما للجنة أو النار.

قوله (مولاهم الحق) صفتان للفظ الجلالة، أي: مالکهم الحقيقي لذلك رد إليه ما يملك، وفي الكلام غاية في التناسب بين الرد والمولى، أي: رجعوا إلى أصل مالکهم الحقيقي، لأن ما كانوا فيه هو من قبيل الاستخلاف والأمانة.

قوله (ألا له الحكم) الخبر نتيجة لما تقدم من ملكه، فهو تعالى لأنه المالك المتصرف المطلق، له الفصل في الحكم في حسابهم، والأداة (ألا) حرف تنبيه، وتقديم الظرف لقصر الحكم عليه وحده يوم القيامة.

قوله (وهو أسرع الحاسبين) ضمير الفصل للتعظيم والقصر، وسرعة حساب الخلق يوم القيامة إشارة إلى كمال قدرته سبحانه، لأن كثرة الخلق المبعوثين لا تبطيء الحساب قياساً إلى ما عند الإنسان في عالم الدنيا، لذلك أكدت الآية أن حساب الله يختلف، فهو سريع، لأن الشهود موجودون ولا تسويف ولا مماطلة، ثم إنَّ الشاهد هو الحاكم كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة. انتهى.

قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ يُجِيبُكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّيِّنَ أَجْمَلًا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ ﴿٦٣﴾

قوله (قل من يجيبكم من ظلمات البر والبحر) الاستفهام للتقرير وذكر الامتنان، والظلمات استعارة تصريحية للشدائد، وخص الظلمات بالذكر لأن الإنسان يخاف الشدائد أكثر في الظلام في البر والبحر، وجمعها للإيحاء بفداحتها وهولها.

قوله (تدعونه تضرعاً وخفية) فصل الجملة لوقوعها حالاً، أي: داعين الله تضرعاً وخفية، وانتصب لفظ التضرع على الحال، فهي فطرة الإنسان المجبولة على اللجوء للقوي لكشف الكربة، فكما اشتدت عليه الشدائد تعلق بالله أكثر، فلجأ إليه وتضرع خفية حفظاً من ذل الاستكانة، وجهاراً إذا اشتدت به المصيبة، فنسي من حوله وانشغل بنفسه، صارخاً لطلب النجدة،

مستغيثاً بربه لكشف الغمة، ومقرناً بذلك النذر على النجاة حثاً وترغيباً وتقرباً من ربه لينجيهِ.

قوله (لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين) الفصل للجملة لأنها بمقام مقول قول فعل الدعاء، والكلام مؤكد بالقسم والشرط لبيان حال الإنسان وقت الشدة واللجوء إلى ربه بإلزام النفس بالإيفاء بالوعد، واللام في (لئن) للقسم و(إن) أداة شرط، والإنجاء الفوز بالنجاة من المهالك، و(من) للابتداء، واسم الإشارة لتمييز الظلمات، واللام في (لنكونن) واقعة في جواب القسم، و(من) الثانية للتبيين، أي: من جملة الشاكرين على نعمة التنجية.

قوله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمَنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ﴿٦٤﴾

قوله (قل الله ينجيكم منها) التلقين جواب للسؤال عن المنجي فيما سبق، أي: لا أحد ينجي غيره تعالى من الظلمات، فهو ملجأ العباد وهو القوي المتعال، والتصريح بلفظ الله للقصر والتعظيم، والضمير في (منها) راجع إلى الظلمات.

وقوله (ومن كل كرب) العطف بمعنى أن: الله تعالى ينجي مما هو أشد من الظلمات، وهو الغمة والكرب.

قوله (ثم أنتم تشركون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، أي: بعد ذلك ينسى الإنسان ما وعد ربه وقت البلاء، فيعود سيرته الأولى في الشرك بالله

متناسيا تضرعه خفية وجهارا وقت الشدة، وفي الكلام حنث بيمينه الذي قدمه، لذلك في الآيتين احتجاج على المشركين وتوبيخ لهم على الحنث باليمين وخلف الوعد.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيعًا وَيُزِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ۚ أَنْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۖ ﴾

قوله (قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا) الآية نتيجة للآية السابقة في نقضهم العهد الفطري بالرجوع إلى الشرك، وضمير الفصل للقصر، وتعريف القادر قصر ثان على كمال القدرة عليه تعالى، و(على) حرف استعلاء مجازي، وفعل البعث الإرسال، ويراد به إحلال العذاب، وحرف الاستعلاء (على) في (عليكم) للتمكن والاستقرار، وتقديم المعمول للأهمية.

وقوله (من فوقكم أو من تحت أرجلكم) كناية عن عذاب السماء من فوقهم كالصاعقة والرجز ونحوها، والطباق بذكر (فوقكم) و (تحت أرجلكم) كناية عن اشتمال العذاب وإحاطته، كعذاب الطوفان والرجفة والريح الصرصر.

قوله (أو يلبسكم شيعا) الترديد يراد به التقسيم، وهو لون ثان للعذاب، والتلبس هو الخلط، والمراد أن يضرب البعض ببعض ويخلط حال كونهم شيعا وفرقا مختلفة، والشيع جمع شيعة، وهي الجماعات المتفرقة، وانتصب اللفظ على الحال.

وقوله (ويذيق بعضكم بأس بعض) العطف، لأن الجملة نتيجة للاختلاف والتفرق، أي: يقتل بعضكم بعضا، وفعل الذوق يستعمل للمكروه على وجه الاستعارة، ولا ريب في أن هذا من أشد أنواع العذاب، فهو يعني اختلاف وحدة الكلمة والفتن والفرق المختلفة والتحزبات، التي تنتج العصبية الجاهلة، التي لا تقوم لمن يتبناها قائمة، بل تظل ضعيفة خائرة القوى تخاف من كل صيحة مما يجاورهم من الأمم، وهو ما يجري علينا للأسف منذ ما بعد النبي ﷺ وإلى هذا اليوم.

قوله (أنظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون) فعل النظر موجه إلى النبي ﷺ ولكل أمته، ويراد به نظر الاعتبار، وتصريف الآيات تحويلها لتكون منظورة للرأين المتعظين، وجملة التعليل، بمعنى أن الغرض من ذلك التصريف ليكون سبيلا للفهم.

قوله تعالى ﴿وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٦٦﴾

قوله (وكذب به قومك) التكذيب الجحد والإنكار، و(الباء) في (به) للتعدية، والهاء راجع إلى القرآن، ويحتمل العود إلى النبي ﷺ ولا فرق، أو يحتمل الإشارة إلى العذاب، وقومك إشارة إلى العرب عامة، وقد يراد به قریش خاصة.

قوله (وهو الحق) الإخبار تكذيب لتكذيبهم، وإبطال لدعواهم في أنه ليس من الله، وضمير الفصل للقصر، ويراد به القرآن أو الرسول ﷺ، وتعريف الحق قصر ثان.

قوله (قل لست عليكم بوكيل) الأمر بفعل القول للنبي ﷺ عناية من الله بنبيه وتجاهل لقومه المشركين، والكلام متضمن معنى التهديد والوعيد، والمعنى أن شأني التبليغ لا التوكيل، فإن أمركم موكل إلى الله تعالى، وهو من سيقضي بشأنكم وجودكم، وهو في معنى الكناية بمعنى أمر الله لنبيه بالإعراض عن المشركين، وتقديم المعمول للأهمية، والباء زائدة للتأكيد.

قوله تعالى ﴿لِكُلِّ نَبَأٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ٦٧

قوله (لكل نبأ مستقر) أي: لكل خبر قرار على غاية ينتهي إليها، والإخبار متصل بتهديد الرسول لقومه بالوقوع الحتمي للعذاب فيهم.

قوله (وسوف تعلمون) العطف على ما تقدم بمعنى: وسوف تعلمون خبر ما ذكرت لكم، وقد كان الأمر كما أخبر الله تعالى، فقد حل في عتاة قريش عذاب القتل والأسر والذل.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ٦٨

قوله (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا) الخطاب توجيه من الله لنبيه، وفعل الرؤية للبصر، وفعل الخوض في اللغة الشروع في الماء والمرور فيه، واستعير للأمور، وأكثر استعماله في القرآن فيما يذم الشروع فيه من الباطل ونحوه في الكلام، و(في) للظرفية المجازية، والآيات آيات الكتاب العزيز، وإضافتها إلى لفظ الجلالة لتهويل اجتراء المشركين على الله، والكلام كناية عن المشركين: أي يقولون الكذب على آيات الله ويشوهون حقائقها ويستهزئون بها.

وقوله (فأعرض عنهم) الفاء واقعة في جواب (إذا) الشرطية، والإعراض كناية عن تجاهلهم وتركهم، بالقيام عنهم أو عدم مجالستهم.

قوله (حتى يخوضوا في حديث غيره) أي: حتى يتكلموا بكلام آخر لا علاقة له بالحديث الباطل عن آيات الله، وفي الكلام حذف إيجاز وتقديره: فأعرض عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره، فإذا دخلوا في حديث غيره فلا مانع من الانضمام إليهم ومجالستهم.

والنهي ليس عن مطلق مجالسة هؤلاء، بل النهي مقصور على ما ذكر، وحتى مجالستهم من عدمها تقيدت بشرط عدم الخوض بكلام الله، أما إذا كان الخوض بغيرها فلا مانع بحسب ظاهر الآية، فالآية لم تبرئ حديثهم تماماً، فيمكن أن يكون لغو الكلام من الخوض المعروف عن أمثال هذه الفئة من الناس، والأمر بعدم مجالسة هؤلاء يشعر أنه أول دعوة النبي ﷺ

التي اضطر معها أن يجالس مختلف فئات المجتمع من المشركين والمستهزئين والجاهلين ونحوهم، وصلى الله على قلبه الواسع.

قوله (وإما ينسبك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) إن: للشرط، وما: تفيد التقليل وهي زائدة، والمعنى: أي حتى لو غفلت عن النهي عن مجالستهم وتذكرت فقم عنهم، لأن الاستماع في مثل ذلك الخوض مشاركة للظالمين في فعلهم، ولفظ الذكرى مبالغة في التذكر، ولفظ الظالمين إشارة إلى القوم المشركين الخائضين في الباطل.

والكلام كله من باب إياك أعني واسمعي يا جارة، فالخطاب للنبي ﷺ، والمراد به أمته، سواء كان في أول الدعوة أو حتى فيما بعد في المدينة.

قوله تعالى ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ

ذَكَرُوا لَعَلَّهُمْ يُتَّقُونَ﴾ (٦٩)

قوله (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) أي: لا يحمل المتقون وزر الخائضين ما داموا لا يشاركونهم في الفعل، فحساب الخائضين يقع على أنفسهم، وتفيد (على) المجاز الاستعلائي، وتفيد (من) مرتين معنى استغراق نفي العموم، وضمير جمع الغائبين في (حسابهم) عائد إلى الخائضين، والكلام يشبه قوله تعالى ((ما عليك من حسابهم من شيء)).

قوله (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) تفيد (لكن) الاستدراك على النفي، لتأكيد معنى ما بعدها، أي: مقاطعة مجالستهم ذكرى لهم رجاء أن يحملهم ذلك على اتقاء الله، باجتنباب تكذيب آياته والكلام فيها بالباطل.

وهذه الآية تدعم ما قيل في أن المخصوص بالخطاب الأمة، ولكن عبر النبي ﷺ، وهي تقطع سيئة الاجترار على الله من جذرها، فالنهي عن مجالسة أهل المعاصي، منعا من الاستخفاف بارتكاب المعصية والتهاون فيها، التي قد تكون مع الوقت شيئا يسهل عمله، لاعتیاد صغر شأنها في العين، وهذا ما لا يفعله المتورعون المتقون.

قوله تعالى ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَّرَ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعَدَلَ كُلُّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذَ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

سياق الآية وما بعدها يدل على الذين يؤمنون ولما يستيقنوا بعد، فكانوا مستهزئين عابثين بدينهم.

قوله (وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) الخطاب من الله تعالى لنبيه، يراد به تهديد مدعي الإيمان من دون الاستيقان به، فكانوا مستهزئين عابثين

بدينهم، و(ذر) تعني الترك بكراهة، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة الأمر، والمراد باللعب واللهو الذين يتعاملون مع الدين بحسب أهوائهم من دون غرض ينتفع به، فكأنه لعب، وليس شرائع ثابتة توجب العمل بها، وهو من التشبيه البليغ المحذوف الأداة ووجه الشبه، بقصد المبالغة في صفة الدين عندهم، ووجه الشبه بينهما انتفاء الجدية وحضور الأهواء والرغبات المؤقتة.

قوله (وغرتهم الحياة الدنيا) العطف لما بينهما من الملازمة، لأن المبالغة في ترف الحياة الدنيا يوجب الاعراض عن الجد في الدين واللعب والهزء به، والكلام وصف لهم بالترف والحبور، وإسناد فعل الغرور إلى الحياة الدنيا من المجاز العقلي بعلاقة الظرفية، لأن الحقيقة أعمالهم غرتهم، وليس الحياة الدنيا، ولكن لما كان ظرفها الدنيا أطلقت على الظرف، مبالغة في صفة دنياهم الغرور.

قوله (وذكر به) الواو عاطفة على قوله (وذر)، والضمير في (به) يعود على القرآن، والأمر في كليهما خطاب للنبي ﷺ.

قوله (أن تبسل نفس بما كسبت) أي: تحرم من الثواب جزاء أعمالها في الدنيا حرمانا على نحو القهر، فالبسل يتضمن دلالة المنع مع القهر، بينما الحرام يتضمن دلالة المنع مع الحكم، وإنما يعطى الحكم بمعنى (حرم) لمن يراعى وجوده وحقه، وهذا ما لا تريده الآية، بل تريد المنع بالقهر إذلالا

ونكاية، وتنكير لفظ النفس للعموم، والباء في (بما) للسبب، و(ما) مصدرية بمعنى: بكسبها.

قوله (ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع) جملة النفي موقعها الحال، أي: في حال لا ناصر لها ولا شافع من غير الله يوم القيامة، وفي الكلام تعريض بالأصنام، لأنهم يدعون شفاعتها لهم، وتكرار (لا) النافية من أجل التأكيد.

قوله (وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) العطف على ما سبق يفيد التقرير والتأكيد، والعدل الفداء، وأصله المثل، أي: لو افتدت بكل فداء فلا يقبل منها، والضمائر تعود على النفس، والعموم في (كل عدل) إبهام يفيد المبالغة في خلودها في النار.

قوله (أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا) تغيير سياق الكلام من الفرد الغائب إلى الجمع يفيد التهويل لعاقبة أمرهم، ولفظ الإشارة لتمييز حال الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، والكلام نتيجة لما تصدر في الآية باسم الموصول الجمعي في (الذين)، والباء في (بما) للسبب، والكسب يقال في عمل الخير والشر.

قوله (لهم شراب من حميم وعذاب أليم) الجملة موقعها الصفة للمشار إليهم، والإخبار تفصيل لحالهم في العذاب، وتقديم الظرف للأهمية، والشراب السقي وتنكيره للنوعية، و(من) للابتداء، والحميم لب النار

المتطايير الذي يصهر كل شيء، فيستحيل سائلا ماء حارا، وصفة العذاب بالأليم مبالغة له، وأصله المؤلم.

وقوله (بما كانوا يكفرون) تفيد الباء معنى الغاية، وهي ان جزاءهم بذلك العذاب بسبب كفرهم في الحياة الدنيا، واستخفافهم بآياته.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُمْ أَصْحَابٌ يُدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَىٰ انْتِنًا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأْمُرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قوله (قل أندعو من دون الله) الاستئناف لتجاهل الكافرين والمكذبيين، وللإقبال على المؤمنين، والاستفهام يراد به إنكار عبادة غير الله، أي: قل لهؤلاء الذين يدعون إلى عبادة الأصنام، وفعل الدعوة بمعنى العبادة.

قوله (ما لا ينفعنا ولا يضرنا) جملة المفعول، كناية عن الأصنام المصنوعة من الحجارة والخشب، فهي جامدة لا حياة فيها ولا حركة، وهو احتجاج على المشركين، وبين الجملتين تقابل بديعي، وزيادة (لا) الثانية للتأكيد.

قوله (ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله) العطف بمعنى دخول الاستفهام الإنكاري على الفعل: أنرد، والكلام يشير إلى يقينهم بالله، كناية عن إنكار الانقلاب إلى الكفر بعد الإيمان.

قوله (كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) الكاف للتشبيه وجملة اسم الموصول وصلته تشبيه تمثيلي، أي: تشبيه حال المنقلبين على أعقابهم بالمتردد الذي لا يهتدي إلى أمر لفقد البصيرة وحسن الاختيار بين اتباع طريقين: طريق الشياطين التي تؤدي بمن يتبعها وترديه، وبين اتباع طريق أصحابه المهتدين، الذين ينادون عليه بالإقبال عليهم.

وفعل الاستهواء من الهوي، وهو السقوط من مرتفع، بمعنى: أسقطته الشياطين من أعلى في الأرض، وإسناد الفعل إلى الشياطين من باب المجاز العقلي فهو إنما يكون بوسوسته وإغوائه، و(في) للظرفية المجازية، والحيران المتردد، وانتصب اللفظ على الحال.

قوله (له أصحاب يدعونه إلى الهدى) جملة مبينة لحال حيرة الضال وتردده، وتقدم الظرف (له) للأهمية، والأصحاب المقربون المخلصون من الأصدقاء، وفعل الدعوة بمعنى النداء والطلب برفع الصوت، بدلالة تعدي الفعل بحرف الغاية (إلى)، يسألونه اللحاق بهم باعتبار بعده عنهم بسبب الاستهواء، ولفظ الهدى بمعنى التوحيد بدلالة أل العهد فيه.

قوله (ائتنا) الفصل لأنها مقول قول فعل الدعوة، أي: هلم إلينا والتحق بنا.

قوله (قل إن هدى الله هو الهدى) الاستئناف بالأمر (قل) لاستمرار الاحتجاج، بأن هدى الله ليس بعده هدى، والتصريح بلفظ الجلالة لتعظيم الهدى، والمقصود هدى الله هو الهدى الحق، ترك الصفة اتكالا على التعريف (بأل) العهدية، أي: الهدى المعروف وهو هدى الحق.

وجيء بالكلام بأشد التأكيدات لثبات المعنى وتحقيقه، فتكرار الهدى لثبات حقيقته، وضمير الفصل للقصر، وتعريف الهدى قصر ثان.

قوله (وأمرنا لنسلم لرب العالمين) الواو عطف تفسير لقوله (إن هدى الله هو الهدى)، وإسناد فعل الأمر إلى ضمير الجمع لإفادة ضم دعوة الرسول إلى دعوة الله تعالى، واللام المقترن بفعل التسليم للغاية، والتسليم خلوص القلب لله، والإيمان به بدلالة تعديته باللام، واختيار (رب العالمين) متساق مع الإضمار في الأمر (أمرنا) بقصد الإشارة إلى أن تسليمنا له مفروض، لأننا مملوكون له أصلا.

قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَقِمْوْا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٦)

قوله (وأن أقيموا الصلاة وآتوه) واو العطف تفسير لبيان تمام الدين في قوله (هدى الله هو الهدى)، أي: وأمرنا بأن نقيم الصلاة، فقد فهم الأمر بمعنى القول من الآية السابقة فقل لنا: أن أسلموا لرب العالمين، وأن أقيموا الصلاة، وآتوه، والتقوى تكون بالترام أوامر الله تعالى ونواهيه.

والتصريح بذكر الصلاة مع أنها داخلة ضمن الفعل (اتقوه) تعظيم لشأنها، كما هو حال ذكرها في القرآن دائماً.

وقوله (وهو الذي إليه تحشرون) إخبار يراد به التهديد اتساقاً مع ما سبق، وجيء بالكلام على أشد تأكيد، لأهميته وحتمية تحقيقه، فضمير الفصل للقصر، وتعريف اسم الموصول قصر ثان، وتقديم شبه الجملة (إليه) قصر ثالث، وليس لمجرد رعاية الفاصلة أو أهمية الكلام.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿٧٢﴾

قوله (وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق) أي: وهو الله دون سواه الذي خلق السموات والأرض، والخلق الإيجاد والابتداع لا على مثال سابق، وذكر السماوات والأرض استقصاء لواسع مملكته وتبيان لكمال قدرته، والباء في (بالحق) للملابسة، وشبه الجملة محلها الحال، لأنها قيد لجملة الخلق، والتعبير بالحق لأن لها غاية يحق الله بها الحق ويبتل بها الباطل يوم يحشر الناس، وهو غرض الخلق.

قوله (ويوم يقول كن فيكون) الواو للعطف لاتصال الكلام، والظرف يعني به يوم القيامة، وقول الله تعالى كناية عن كمال القدرة التي لا يفهمها أحد فاخترلت بـ (كن)، والفاء المقترن بفعل الكون للتعقيب.

قوله (قوله الحق) وصف قوله تعالى بالحق لأن قوله عين فعله فلا مبدل له ولا تغيير، وهو تعليل لمقول القول في الأمر بـ (كن)، لذلك فصل بين الجملتين لكمال اتحادهما في المعنى.

قوله (وله الملك يوم ينفخ في الصور) التقديم في (له) لاختصاصه سبحانه بملكه وحده للسموات والأرض وما فيهما، وتعريف الملك للعموم فكل ملك إليه يرجع، وظرف اليوم يراد به القيامة والحشر، والنفخ في الصور الإيذان بيوم البعث، والصور بوق يؤذن به ببعث الخلائق ليوم الساعة والوقوف بين يديه سبحانه، وتعريف اللفظ للعهد فهو الذي ينفخ فيه إسرافيل إيذانا بالبعث، والتخصيص بثبوت الملك يوم نفخ الصور مع ان ملكه دائم ثابت لانقطاع كل ملك سواه، والمقصود بلفظ اليوم نفس يوم القيامة، أي: ليس هناك يومان في الآية، وإنما جريا على كلام العرب في إطلاقه، ويراد ما تضمنه من تعظيم وحركة.

قوله (عالم الغيب والشهادة) جملة بدل، أي: هو الله وحده الذي يتساوى عنده الغيب والشهادة، إذ هما حاضران لديه، وتعريف الغيب والشهادة للعموم، والطباق بينهما يحمل دلالة وحدانيته في الجمع بين المتضادات.

قوله (وهو الحكيم الخبير) ضمير الفصل وأل التعريف للفظ الحكيم قصران للحكمة والخبرة عليه تعالى، وفي صياغات الآية أساليب تأكيد كثيرة بالقصر - كما تقدم - لإثبات معاني وحدانيته تعالى، والحكيم هو الذي يتقن

تدبير الأشياء لعلمه ببواطنها وظواهرها، والخبير الذي لا يفوت عنه دقيق لدقته ولا جليل لجلالته، ومقام الآية بمحصلها تعليل لكون الهدى هدى الله.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ اتَّخِذْ أُصْنَامًا ءِإِلَٰهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝٧٤﴾

قوله (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر) العطف لاتصال الكلام عن دين الفطرة وهو التوحيد، فهو اتصال الجوهر بفروعه، والحجاج المسرود على لسان إبراهيم عليه السلام مع قومه هو نفسه الذي لقنه الله نبيه محمد ﷺ في تكراره الكثير في السورة للفظه (قل)، وهو حجاج مبني على منطق اليقين لا على تصور وتخيل، لأنه عن إفاضة إلهية قوامها العلم والحكمة.

والعامل في (إِذ) الظرفية محذوف تقديره: واذكر، وهي في المعنى مثل (قل) لأنها بمثابة تلقين للنبي ﷺ في الحجاج على قومه المشركين.

قوله (قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزر) بعث إبراهيم نبيا كان بعد طوفان نوح بنحو ألف سنة، وهو أبو الأنبياء لأن عن ولديه إسحاق وإسماعيل تفرع الأنبياء كلهم، فكان من إسحاق يعقوب وسلالته من بني إسرائيل، وما تفرع منهم من أتباع عيسى، ومن إسماعيل ولد نبينا ﷺ، والمدة بين عيسى والنبي ﷺ بنحو أقل من ستة قرون.

وقوله (لِأَبِيهِ) قيل هو عمه آزر، أنزل منزلة الأب، لأن الثابت أن والد إبراهيم اسمه تارخ وليس آزر، والقرآن لم يصرح به، ولكنه مثبت في

الروايات وفي التوراة، ولا يصح عقلا أن يكون إبراهيم مولودا من أب مشترك، والحال أن الأنبياء ذرية بعضها من بعض، وربما سمي العم أو الجد من الأم والأب بالأب، نحو قوله تعالى (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون) [البقرة ١٣٣]، فإبراهيم عليه السلام جد يعقوب، وإسماعيل عمه، وقد أطلق على كل منهما الأب، ومثله قوله تعالى فيما يحكى من كلام يوسف عليه السلام: (واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب) [يوسف ٣٩]، فإسحاق جد يوسف وإبراهيم عليه السلام جد أبيه وقد أطلق على كل منهما الأب، وثمة تفصيل عريض في هذا الباب لمن يرغب بالاستزادة فليأخذها من كتب التفسير المعتبرة، وأزر هو مُنجم النمرود المقرب المسموع الرأي.

قوله (أنتخذ أصناما آلهة) الاستفهام لإنكار عبادة الأصنام آلهة شركاء لله، وفي التعبير بالاتخاذ صفة الاختصاص، والآلهة جمع إله، أنثت لأن الأصنام جوامد لا عقل لها، ويبدو من السؤال الإنكاري لإبراهيم أنه كان يعيش بمعزل عن أبيه، ففوجئ بعبادة الأصنام، وكذلك حواريته مع قومه الكلدانيين في بابل الذين كانوا يعبدون الكواكب.

قوله (إني أريك وقومك في ضلال مبين) الاستئناف لأنه جملة مبينة للإنكار، وفعل الرؤية للعلم، و(في) للظرفية المجازية، ووصف الضلال بالمبين لشدة ظهوره وانعدام خفائه، وإسناد الإبانة إلى الضلال مجاز عقلي للمبالغة.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٧٥﴾

قوله (وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) الواو للعطف على ما سبق، والتشبيه ولفظ الإشارة بمعنى: وكذلك الإراء نرى إبراهيم.

والإراءة لإبراهيم نتيجة للاستعداد الكامل في قبول الإفاضات الإلهية التي مهد لها بالآية السابقة، وهي رؤية العلم واليقين.

ولفظ الملكوت مبالغة في لفظ الملك، ولهذا أضيف إلى السموات والأرض لأنه تعالى موجدتها ومالكها، وفي معنى المراد بإراءة إبراهيم ملكوت السماوات والأرض على ما يعطيه التدبر في سائر الآيات المربوطة بها هو توجيهه تعالى نفسه الشريفة إلى مشاهدة الأشياء من جهة استناد وجودها إليه تعالى، وإذ كان استنادا لا يقبل الشراكة لم يلبث دون أن حكم عليها أن ليس لشيء منها أن يرب غيره، ويتولى تدبير النظام وأداء الأمور، فالأصنام تماثيل عملها الإنسان، وسماها أسماء لم ينزل الله عليها من سلطان، وما هذا شأنه لا يرب الإنسان ولا يملكه، وقد عملته يده، والأجرام العلوية كالكوكب والقمر والشمس تتحول عليها الحال فتغيب عن الإنسان بعد حضورها، وما هذا شأنه لا يكون له الملك وتولى التدبير تكويننا. كذا قال في الميزان. انتهى.

إذن إراءة الله إبراهيم لملكه يعني بها ذلك التدبر العقلي الذي تيقن به في إرجاع كل شيء إلى مالكة الحقيقي وهو الله.

قوله (وليكون من الموقنين) جملة تعليل أي: إن هذه الإراءة لزيادة يقينه بآيات الله، وليس بذاته المتعالية، فالأنبياء أجلّ من ذلك الشك.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

قوله (فلما جن عليه الليل) الفاء عاطفة تشير إلى تفريع الكلام على سابقه واستمرار اتصاله، أي: كنا نريه ملكوت السموات والأرض فأبطل ألوهية الأصنام إذ ذاك، ودامت عليه الحال فلما جن عليه الليل قال كذا وكذا.

وفعل الجن الستر، ومنه الجنة أي الدرع ما يغطي به الفارس صدره أو ظهره، والمعنى ستره ظلام الليل، وهو استعارة بالكناية، إذ شبه ظلام الليل بغطاء أو حجاب ثم حذف المشبه به وأشار إليه مما يخصه، وهو قوله (جن)، بجامع الستر بينهما، وحرف الجر (على) في (عليه) حرف استعلاء.

قوله (رأى كوكبا قال هذا ربي) فعل الرؤية جواب (لما)، وهي الرؤية العيانية، وكان أهل بابل من قومه يعبدون الكواكب أربابا للأصنام، والكوكب جرم سماوي كبير، وتنكيره لخصوصيته عند قوم إبراهيم، وقيل: هو كوكب الزهرة للمعانه، ولعلاقة عبادة الصابئين به، إذ كانوا يعتقدون

بالكواكب السيارة السبعة كالقمر والشمس والمريخ وعطارد والمشتري والزهرة وزحل.

والإخبار من إبراهيم بأنه ربه على سبيل استدراج السامعين وإثارة المعرفة فيهم، وليس لإيمان إبراهيم بألوهية الكواكب، لأن ذلك يتناقض مع ما ذكر من إراءة الله ملكوته له.

قوله (فلما أفل قال لا أحب الآفلين) الفاء للتعقيب، و(لما) أداة شرط، والآفل الغياب عن النظر، والنفي بمعنى نفي المودة القلبية منه لإله بهذه الصفات من انعدام الحضور، وربط الدين بالحب من أجلّ الموارد في هذا المجال لعلاقة الانجذاب التكويني الحاصلة من المربوب إلى حضرة الجمال الذي لا يتغير ولا يفنى لربه، ولشدة تبعيته له، ولذا ورد عن الباقر عليه السلام قوله: وهل الدين إلا الحب. ذكر في الكافي. انتهى.

وفي إسباغ الأنسنة على الكوكب الغارب في نفيه (لا أحب) إحياء دقيق إلى أن غير أولي الشعور والعقل لا يستحق الربوبية أصلاً.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾

قوله (فلما رأى القمر بازغا) الفاء للتعقيب لأن القمر بزغ بعد أفول الكوكب، والبزوغ الظهور والطلوع، وانتصب اللفظ على الحال.

قوله (قال هذا ربي فلما أفل) تكرار الإخبار من إبراهيم بالإشارة إلى الربوبية على سبيل المماثلة والمجازاة كما توضح، وتكرار الأفول مرة ثانية حملة على التأكيد بعده بجملة القسم.

قوله (لئن لم يهديني ربي لأكونن من القوم الضالين) اللام والشرط في (لئن) لتأكيد الكلام، وفعل الهداية بمعنى حلول اللطف الإلهي بالعبد لتلمس سبيل الإيمان به وتوحيده، ويكون ذلك بالتدبر والنظر بروية في تفاصيل الحجج والبراهين الدالة على توحيده، ولهذا استعمل الشرط المبدوء بالقسم على نحو التأكيد لإثارة ذهن وإشغال توقده، وتعتمد تكرار لفظ (ربي) يوحي بمثل ذلك ومعناه المالك، فكيف لمالك يغيب مقهوراً، واللام في (لأكونن) واقعة في جواب القسم الذي هو نفسه جواب الشرط.

قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسُ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَكُونُ لِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾

قوله (فلما رأى الشمس بازغة) الفاء للتعقيب، أي: بعد برهة من الزمن من أفول الكوكب (الزهرة) ثم القمر، بزغت الشمس، ونصب لفظ البزوغ على الحال.

قوله (قال هذا ربي هذا أكبر) جملة القول جواب (لما)، ولفظ التذكير بالإشارة إلى الشمس مع تأنيثها على أساس أنها كوكب، أو للإشارة إلى عدم معرفة إبراهيم بالشمس بأنها جرم سماوي يطلع ويغرب في كل يوم

وليلة، وأن بها يكون الليل والنهار وتكوين الفصول الأربعة، لأنه كان في خفاء عن قومه ما يشير إلى أن هذه المحاج أول خروجه من مخبئه الخفي، ولم يكن بعد عهد مشاهد الدنيا الخارجية وأجرام السماء، لذلك لا يميز بين الكواكب.

ويبدو أن ضخامة الشمس في قوله (هذا أكبر) هي التي خفت من قسمه السابق في أقول القمر، وأعطته مساحة المراجعة الثانية في النظر بهذا الكوكب الجديد مع تبين خطأ افتراضه مرة بعد مرة، ولا ريب في أنه نوع تدرج في إنصاف الآخر بإيراد الحجج من دون إثارته.

قوله (فلما أفلت قال يا قوم إني برئ مما تشركون) الفاء للتفريع على جملة البزوغ، واستمرار أقول الكواكب حمله على التأكيد ببراءته من هذا الشرك بالله، لأن في الغياب انقطاعا عن التدبير الكوني، فلا تستقيم معه صفة الربوبية.

ولا ريب في أن إبراهيم كان متماشيا مع قومه، مجاريا لهم فيما يعبدون، أراد بأسلوبه هذا إثارة الفكر وبعث العقل، في إعادة النظر بطبيعة هذه العبادة، إذ لا يكفي كون الإله عاليا لا ينال بقوة كما هي فلسفة الكلدانيين في عبادة الكواكب واتخاذها أربابا تتحكم بالأرض وما عليها، فهذه الموجودات ناقصة غير كاملة، وما هي كذلك تكون ليست بأهل للربوبية، لذلك ألح بتكرار لفظ (ربي) ولفظ (الأقول) وحتى إطلاق لفظ (أكبر) مشيرا بذلك كله إلى استحالة القبول بهذه العبادة الساذجة.

وأسلوب إبراهيم عليه السلام تكرر في التدرج بعرض الحجج وإنصاف الآخر بمجاراته أول وهلة، لاستدراجه والأخذ بيده نحو العمق في الأدلة العقلية، وقد بنى إبراهيم احتجاجه على الأفول دون البزوغ، وكلاهما انتقال من حال إلى حال، لأن المحاجة بالأفول أظهر، كونه انتقال مع خفاء واحتجاب، فضلا عن أن دلالة الأفول دلالة أظهر للعيان لكل أحد في زوال السلطان.

قوله تعالى ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿٧٩﴾

قوله (إني وجهت وجهي) الاستئناف والابتداء المؤكد دال على الإعراض عما تقدم للاهتمام بما سيلقى من كلام.

وفعل التوجيه كناية عن الإقبال على الله سبحانه بالعبودية، والجناس الناقص بين (وجهت ووجهي) أسبغ عليها فنا بديعيا صوتيا لافتا يحمل إثارة التركيز على الفعل، وهو من المجاز المرسل بعلاقة الجزئية أطلق الجزء وأراد الكل، مبالغة في التوجه إلى الله تعالى.

قوله (للذي فطر السموات والأرض) اللام للغاية، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان علة التوجيه إليه تعالى، وهي علة الألوهية بالإيجاد، واستعمال الكناية عن الألوهية لمناسبة السياق في بطلان عبادة الكواكب، وذلك بإيراد ما هو أكبر منها، وهي السموات والأرض، لتأتي الأجرام

المعبودة ضمنها، فجاء بالموصول وصلته ليدل على العهد، أي: إني أقبلت بعبادتي على من ينتهي إليه كل شيء وإبداعه، فأنتهى كلامه بما بدئ من ذكر إراءة السموات والأرض لإبراهيم، ولا يخلو تخصيص لفظ (فطر) دون غيره من سر اختيار، إذ يشير إلى تأكيد القرآن لدين إبراهيم بوصفه دين الفطرة والدين الحنيف، والفطر الشق ويراد به الإيجاد والخلق.

قوله (حنيفا) أي: مائلا إلى الله عن غيره، أو هو الميل عن الضلالة إلى الاستقامة، ونصب اللفظ على الحال.

قوله تعالى ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾

قوله (وحاجه قومه) الواو لعطف جملة على أخرى، والمحاج من الكلام والحوار القائم على الحجة والدليل، وفي الكلام حذف للإيجاز بيّنه ما بعده، والتقدير: وحاجه قومه فيما يدعو إليه من توحيد الله، ويبدو أن المحاج بعدما أبداه إبراهيم من اعتراض عقلي على شركهم، وذلك كان الحجاج الأول من إبراهيم على قومه، وهذا هو الحجاج الثاني من قومه عليه.

قوله (قال أتأجوني في الله) والاستفهام للإنكار، وفيه تعجب من احتجاجهم عليه في عبادة الله الواحد وما يدعو إليه، و(في) للظرفية المجازية والمعنى: في توحيده تعالى.

وقوله (وقد هدان) الواو للحال، وحرف التحقيق للتأكيد، أي: تحاجونني وقد هديت إلى ما لم تهتدوا إليه من المعرفة الحقبة بمالك السموات والأرض.

قوله (ولا أخاف ما تشركون به) أي: ولا أخاف معبوداتكم، لأن عبادتهم لغير الله كانت عن دفع البلايا والمحن التي يزعمون، فنفي الخوف عن نفسه لأنه مطمئن بخالقه الحقيقي، والضمير في اسم الموصول (ما) عائد إلى الكواكب، وضمير الهاء في (به) راجع إلى الله تعالى.

قوله (إلا أن يشاء ربي شيئاً) الاستدراك بالاستثناء بمعنى: إن دفع الضرر وجلب المنفعة منوطتان بحكمة الله ومشيئته، وليست خاضعة لبشر أو صنم، وإن كان ثمة خوف فهو من صنع الله، إن شاء أخافها، فجعل الخوف دليلاً آخر على ربوبية الله تعالى.

قوله (وسع ربي كل شيء علماً) فصل الكلام لأنه تعليل لما سبق، أي: علمه واسع شمل كل شيء، ولذلك جعله دليلاً على ما قال في خوفه الأنف، إذ لو حصل لحصل بإذن منه سبحانه.

قوله (أفلا تتذكرون) الفاء للتفريع، والاستفهام للتوبيخ لعدم اهتدائهم طريق فطرتهم.

قوله تعالى ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ
بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

قوله (وكيف أخاف ما أشركتم) الواو عطف على ما تقدم، والاستفهام الإنكاري وارد مورد الاحتجاج العقلي مجرد من الإجابة، والإيتان باسم الموصول وصلته لبيان علة الإنكار، وهي عبادتهم الجمادات التي لا تخيف عاقلا، وهي الأصنام والكواكب.

قوله (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله) الواو للحال، والتقابل في الكلام في غاية الحجاج العقلي والمفارقة، أي: كيف أخاف أصنامكم التي لا تضر ولا تنفع ولا تملك من أمرها شيئا، ولا تخافون حال كونكم مشركين بالله بلا دليل، فهم يدعون أن الله أوكل له شركاء يعضدونه في الأرض، فجعلوا لكل إله تصرف بآمر، فهذا إله الحب، وهذا إله الحرب وهكذا.

قوله (ما لم ينزل به عليكم سلطانا) جملة الموصول محلها النصب لفعل الشرك، و(ما) اسم موصول، والسلطان البرهان القوي الذي لا يرد، والمراد: أن عبادتهم من دون الله غير قائمة على عقل ودليل.

قوله (فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون) الفاء للتفريع، والسؤال من باب تنمة الحجة، وفيه مفارقة واضحة، أي: أنتم تخوفونني من أوثان جامدة، والحال أنكم تشركون بالملك الحي، فأينا في مأمن من هذا الخوف،

وهو من الكنايات المنصفة عنهم وعن نفسه، فهو لم يقل: أنا وأنتم، ليكون أسمح وأبلغ في سماع الحجة وتقبلها.

وعرضت الآيات المباركة ملامح شخصية إبراهيم عليه السلام الصبورة الهادئة الحوارية التي تعتمد العقلانية في التدرج بحوار الآخر من خلال عرض ثلاث نماذج حوارية حجاجية:

الأولى: بين إبراهيم وأبيه الذي يعبد الأصنام.

والثانية: بين إبراهيم وقومه الذين يعبدون الكواكب.

والثالثة: بين إبراهيم والنمرود الذي نصب نفسه إلها.

وفي المحاورات كلها بدا إبراهيم عليه السلام:

- منطقيا متدرجا في عرض حججه، متدرجا بها من الأدنى إلى الأعلى.

- ومجاريا للآخر في قناعاته، ذكيا لضمان عدم استفزازه وبث عصييته، وآخذا بيده إلى الحقيقة بهدوء وعقلانية، لذلك سيبدو لمن لا يدرس شخصيته على أساس هذا الاعتبار، ولاسيما في محاجة قومه وكأنه عابد للكواكب مثلهم مشكك في إيمانه.

- وعارضا الحجة بعد الحجة لإقناع الآخر، من دون قهر أو عناد.

- ويبدو إبراهيم عليه السلام في عرض حججه متفاجئا من عمه في عبادة الأصنام أو من قومه في عبادة الكواكب، وسر مفاجأته لأنه لم يكن يعرف عنهم

ذلك، فقد كان يعيش مُخفى عنهم في سرب خفي، خشية قتل النمرود له، لرؤية رآها من منجمه أزر، الذي رأى فيها هلاك مملكة النمرود على يد مولود، لذلك أخفي إبراهيم في سرب، بعيدا عن كل شيء، لا يعرف الأصنام ولا الكواكب.

ويمكن تحديد ملامح الحوار الحجاجي في أسلوب إبراهيم عليه السلام بما يأتي:

أولاً: القدرة على إثارة الذهن بكثرة استعمال الاستفهام.

ثانياً: الهدوء والعقلانية في الحوار، من دون إثارة الخصم وتهيج حميته، نحو إنصافه في الكلام، كما في قوله (أي الفريقين أحق بالأمن)، فجعل نفسه مساوياً لخصمه.

ثالثاً: التأدب في الحوار، رغم الاختلاف الواسع بينهما في أصل الأصول، نحو قوله (ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً)، فقوله: ما لم ينزل به عليكم سلطاناً مثل قولنا: لا دليل لكم على ذلك، في جواب تخويفهم له من ألتهم.

قوله تعالى ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

قوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) الآية من تنمة كلام إبراهيم، وهو جواب للسؤال الذي سألته وحكاه قوله تعالى (فأي الفريقين)، وفيه

إشعار بمطلق الإيمان قيّده بما بعده من مفهوم الإيمان الحق: أي: لم يخالطوا إيمانهم بشائبة الظلم، والإلباس المخالطة، والفعل منه مستعمل على سبيل المجاز الاستعاري بجامع الامتزاج، والباء في (بظلم) للملابسة، وشبه الجملة موقعها نصب لفعل اللبس، والظلم الشرك وتكثيره للقلة.

قوله (أولئك لهم الأمن) لفظ الإشارة لتمييز المؤمنين وإحضارهم للتنويه بهم، وتقديم الظرف (لهم) للأهمية، ولفظ الأمن استقرار القلب وسكينته من أي خوف يقلقه، ودلالة الإخبار عنهم بالجملة الإسمية لإفادة التحقق والثبوت، والجملة موقعها الخبر لجملة الابتداء باسم الموصول.

قوله (وهم مهتدون) العطف على ما سبقها، والإخبار بالجملة الإسمية لثبوت الهداية لهم.

قوله تعالى ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾

قوله (وتلك حجتنا) اسم الإشارة للبعيد، وإسناد الحجة إلى الله تفخيم لشأنها، فهي برهان قاطع ودليل ثابت.

قوله (آتيناهـا إبراهيم على قومه) الإيتاء الإعطاء، لذلك نصب فعله مفعولين، الأول ضمير الهاء العائد إلى الحجة، والثاني إبراهيم، ودلالة حرف الجر (على) المجاز الاستعلائي والتمكن من قوة حجة إبراهيم على قومه.

قوله (نرفع درجات من نشاء) الرفع الإعلاء المجازي، ولفظ الدرجات أصله مراقبي السلم، استعمل استعارة بالكناية عن مراتب الكمال والسمو والرفعة، وبلاغة تنكيرها لخصوص موردتها وهي درجات العلم والهداية، والإشاعة من الله إشارة إلى كمال القدرة، واستقلال الإرادة.

قوله (إن ربك حكيم عليم) الإخبار تفسيرا لمشيدة رفع الدرجات، فهو سبحانه خلق الخلق ودبر شؤونهم وعرف ظاهرها وباطنها، وإيرادها بالإسمية لثبوت أن ذلك كله بحكمة منه سبحانه، وفي إيراد الفاصلة عدول في الكلام من التكلم بضمير الرفع (نا) إلى خطاب الغائب تطبيبا لقلب النبي ﷺ وتنبيها لما ذكر من معارف.

قوله تعالى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾

قوله (ووهبنا له إسحاق ويعقوب) الواو لعطف جملة على أخرى، وفعل الموهبة أن تجعل ما لك لغيرك بغير عوض. قاله الراغب. انتهى.

والهاء في (له) راجع إلى إبراهيم، وهبة الولدين من عطاء الله له ﷺ بعد يأس السن، وذكرهما لإفادة هبة الولد وولد الولد.

قوله (كلا هدينا) خص إسحاق ويعقوب بالهداية على سبيل الامتنان من الله على إبراهيم وذريته.

قوله (ونوحا هدينا من قبل) الواو لاتصال الكلام، لأن الذي جمع بين ذكر نوح ومن قبله مناسبة الهداية، وإبراهيم ينتسب لنوح وبينهما نحو ألف سنة، فذكر نوح لأجل تعظيمه، وبناء الظرف على الضم لأنه مقطوع عن الإضافة، أي: من قبل إبراهيم.

قوله (ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) العطف والهاء المقترن في لفظ الذرية بمعنى: من ذرية نوح، لأن الضمير يعود على أقرب ظاهر، ولأن في المعدودين في الآية اللاحقة من ليس من ذرية إبراهيم كلوط والياس، وقيل غير ذلك.

والنصب في أسماء الأنبياء يشير إلى تخصيص الحديث بالذرية بالأسماء المقصودة على تقدير فعل بمعنى: أخص أو أعني.

قوله (وكذلك نجزي المحسنين) أي: وكذلك الجزاء، والجزاء الإثابة، ولفظ الإحسان بمعنى فعل الخير للغير، وفيه ثناء من الله تعالى على ما ذكر من أسماء الأنبياء.

قوله تعالى ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾



قوله (وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس) العطف بمعنى: أخص، وزكريا كافل مريم وزوج خالتها، وأب يحيى الذي بشره الله به بعد كبر سنه، وكلاهما قتلا بتحريض اليهود، وعيسى ابن مريم روح الله وكلمته التي ألقاها إلى مريم البتول، عطف على يحيى لأنه ابن خالته، وإلياس بعث بالنبوة إلى بني إسرائيل لما عبدوا الأوثان، قبل ظهور المسيح بنحو تسعة قرون في بعلبك، وهو من أسباط روبين، وقيل ابن هارون، وقيل رفعه الله إليه وجعل وصيه اليسع في زمن ملك إسرائيل آخاب.

قوله (كل من الصالحين) ثناء من الله تعالى على رسله، مرة بلفظ المحسنين وثانية بلفظ الصالحين.

قوله تعالى ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

قوله (وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا) تأخير النبي إسماعيل عليه السلام لإفادة ختام الأنبياء بالنبي محمد ﷺ من ذريته، واليسع خليفة إلياس، ويونس صاحب الحوت بعث إلى نينوى زمن الآشوريين، وخرج عنهم مغاضبا حين لم يستجيبوا لدعوته، فركب السفينة قاصدا يافا من بلاد فلسطين، فلما ثقلت بأهلها في البحر اقترعوا فيما بينهم للتخفيف خشية الغرق، فوقعَت القرعة على يونس، فرموه في البحر فالتقمه الحوت فتاب على ربه، واستجاب الله له فقفزه الحوت على الشاطئ، وأرسله الله ثانيا إلى أهل

نينوى فأمنوا به، وأما لوط فهو ابن أخ إبراهيم، خرج مع عمه إبراهيم من بلاد الكلدانيين بلاد الرافدين إلى أرض كنعان، وسكن سدوم وبها بعثه الله نبيا.

قوله (وكلا فضلنا على العالمين) أي: وكل واحد ممن ذكر الله فضله على أهل زمانه في المنزلة عند ربه.

وفي الآيات ذكر ثلاث مجموعات من الأنبياء، أرسلت إلى البشرية جمعها غرض واحد هو البعث لرسالة التوحيد ونشرها على مدى عشرات القرون من الزمان، ولم تنتظم بسياق الأسبقية ولا الأهمية، بل انتظمت كل مجموعة منها بخصائص جمعتها على النحو الآتي:

المجموعة الأولى: قوله (داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون) وهي التي جمعت بين النبوة والرئاسة والملك والطائفة.

المجموعة الثانية: قوله (وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين) وهي التي جمعها الزهد والإعراض عن الدنيا، ولذا وصفوا بالصالحين وإن كان الأنبياء كلهم صالحون، وألحق عيسى بذرية نوح عليهما السلام وهو إنما يتصل به من جهة أمه مريم في دلالة واضحة على أن القرآن الكريم يعد أولاد البنات وذريتهم أولادا وذرية حقيقة.

المجموعة الثالثة: قوله (وإسماعيل واليسع ويونس ولوطا) وهي التي جمعتها خصائص مختلفة من المحن والبلايا يختص كل بشيء من المميزات. ذكر ذلك صاحب المنار. انتهى بتصرف.

قوله (وكلا فضلنا على العالمين) العطف على ما سبق بمعنى: وكل واحد ممن ذكر، والتفضيل التقديم في المنزلة باعتبار الهداية الإلهية، والعالمون جمع عالم، وهو الجماعة من الناس، كعالم العرب وعالم العجم وعالم الروم.

قوله تعالى ﴿وَمِنْ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْتَهُمْ وَهَدَيْتَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (٨٧)

قوله (ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم) العطف بمعنى: وهدينا من آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، وتفيد (من) التبعية، والذرية النسل من الأولاد ذكورا وإناثا، والكلام في بيان اتصال سلسلة الهداية للأنبياء، إذ أضاف الباقين إلى المذكورين بأنهم متصلون بهم بأبوة أو أخوة أو بنوة.

قوله (واجتبيناهم) الاجتباء الاصطفاء، وهو الاختيار الإلهي للرسالة والنبوة.

قوله (وهديناهم إلى صراط مستقيم) إسناد الهداية إلى الله لأنها من مختصاته تعالى، وتعديتها بالصراط المستقيم لخصوصيته، فهو نوع هداية لا يأتيه وسواس الضلال بخاطر.

قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ هُدَىٰ ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِ ٱلْمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٨)

قوله (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده) أي: ذلك الهدى الذي هدى به الأنبياء المذكورين هو الهدى الحق الصادر من الله، الذي يورد أصحابه الهداة صراطا مستقيما، أما الذين يأخذون الدين مجزأ بحسب أهوائهم فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض فطرقهم بعيدة عن شريعة الفطرة ومرضاة الله، وهداية الله هدايته إلى ثوابه، وتفيد (من) التبعية من عباده المحسنين.

قوله (ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون) تفيد (لو) الافتراض لبيان فداحة الشرك وتبشيعه الذي يبطل معه كل عمل، مهما بلغ شأنه.

قوله تعالى ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَٰؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿٨٩﴾

قوله (أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة) لفظ الإشارة للتنويه بكل نبي ممن ذكر، لتعظيم مكانتهم وعلو شأنهم، الذين جمعهم الكتاب والحكم والنبوة، وتعريف الكتاب للجنس ويراد به آياته تعالى المنزلة بها شريعته على أنبيائه، ولاسيما أولو العزم منهم كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى والنبي محمد صلوات الله عليهم أجمعين، ولفظ الحكم القضاء والفصل والحكمة بين الناس على وفق الشريعة الإلهية، وأما النبوة فهي الاصطفاء الإلهي بالبعثة النبوية أو بالرسالة والتبليغ.

قوله (فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين) جملة مفرعة عن الإخبار، وفعل الكفر بمعنى الجحد والإنكار والتكذيب، وضمير الهاء في (بها) راجع إلى الشريعة أو الكتاب والحكم والنبوة، ولفظ الإشارة لمشركي مكة، يراد به تحقيرهم وتقليل شأنهم، والفاء في (فقد) واقعة في جواب (إن) الشرطية، وفعل الوكالة بمعنى الحفظ والاعتماد، والباء في (بها) للتعدية، وضمير الهاء عائد إلى الشريعة، وتنكير لفظ القوم لنوعيتهم وتعظيم شأنهم.

وجملة النفي موقعها الصفة للقوم، تأكيد لصفة إيمانهم بالرسالة، ومراد المعنى: إن هؤلاء القوم الذين يعد بهم الله حفظ الدين ويكلهم ويعتمد عليهم في ذلك قوم مخصوصون في كل زمان وهم من أولاد الأنبياء من الأوصياء استمرارا لفضاء الآيات فيما سبق من ذكر الأنبياء، وشبه الجملة (بها) تقدمت على عاملها للأهمية، والباء فيها متعلقة بلفظ الكافرين، والباء الثانية زائدة لتقوية النفي.

قوله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْهُمْ أَقْتَدَ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ ﴿٩٠﴾

قوله (أولئك الذين هدى الله) لفظ الإشارة للبعيد، وتكراره لتعظيم من ذكر من الأنبياء، والإتيان باسم الموصول وصلته لتأكيد ثباتهم على الصراط المستقيم بإسناد الهداية إلى الله تعالى.

قوله (فبهدهم اقتده) الفاء للتفريع، والظرف تقدم للأهمية، وضمير جمع الغائبين راجع إلى الأنبياء المذكورين، ونسبة الهدى إليهم نسبة تشريفية، والخطاب في فعل أمر القدوة للنبي ﷺ اعتراز من الله بنبيه، لذلك أفرد بالذكر ولم يذكر مع من عدوا من الأنبياء في الآية السابقة، والقدوة تأسى عمل الغير، والهاء في فعله هاء السكت للتخفيف في الوقوف على الساكن.

والأمر للنبي ﷺ صريح بأن يقتدي بهدهم لا بهم، لأنه أفضلهم وشريعته ناسخة لشرائعهم وكتابه مهيم على كتبهم، ولأن هذا الهدى المذكور لا واسطة فيه بينه تعالى وبين من يهديه، ومنه قوله ﷺ في نهج البلاغة: واقتدوا بهدي نبيكم فإنه أفضل الهدى. انتهى.

قوله تعالى (قل لا أسئلكم عليه أجرا) الأمر بـ (قل) تلقين من الله لنبيه لإخبار المؤمنين بنفي طلب الأجر على التبليغ، ونفي السؤال بمعنى نفي الطلب، والهاء في (عليه) راجع إلى التبليغ بدعوة التوحيد، والأجر العوض، وتنكيره لعموم الأجر، ونفي طلب الأجر أبلغ في الدعوة إلى الهدى، وأبعد للثمة.

ومضمون قول النبي ﷺ لهم لاستمالة نفوسهم إنجاحا للدعوة، وقد طلب مثلها من الأنبياء السابقين كنوح في قوله تعالى (ويا قوم لا أسألكم عليه مالا إن أجري إلا على الله) [النساء ١٠٥]، وهود في قوله تعالى (وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إن أنتم إلا مفترون،

يا قوم لا أسألكم عليه أجرا إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون)
[هود ٢٩]، وغيرهما في دعواتهم إلى التوحيد.

قوله (إن هو إلا ذكرى للعالمين) الفصل لتعليل النفي، والإخبار مؤكد بالقصر لأهميته وجيء به بالجملة الإسمية لثبات كون التوحيد ذكرى شاملة لكل الناس، وضمير الغائب (هو) راجع إلى التبليغ بدين التوحيد، ولفظ الذكرى أبلغ في المعنى من الذكر لأنها تدل على كثرة الذكر، وكونه للعالمين دال على شمول رسالة الإسلام.

قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلمْتُم مَّا لَمْ تَعْمَوْا أَنْتُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَزَّوَّجَهُمْ فِي خَوَاصِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ ﴿٩١﴾

اتصال الآيات بما سبقها في استمرار الحجاج وما تضمنه من رد على الكتابيين ووعيد على ظلمهم وإنكارهم نبوة محمد ﷺ وكتابه.

قوله (وما قدروا الله حق قدره) الواو للعطف لأن الكلام مستمر في الاحتجاج على المشركين وغيرهم من أهل الكتاب، والقدر استعارة لوصفه تعالى، وضمير الجمع في فعله عائد إلى اليهود، والمعنى: ما عظموا ساحة قدس الله كما ينبغي، أو ما عرفوه حق معرفته الدالة عليها آياته وأفعاله.

والإخبار عنهم بأنهم لم يقدرُوا العظمة اللائقة به سبحانه، لأنه كان من أهداف كتبهم البشارة بالنبى ﷺ لمثل هذا اليوم، لا تحريف ما فيه والوقوف بوجه التوحيد.

قوله (إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء) الكلام تعليل للنفي، لأن من تعظيمه عز وجل عدم إنكار وحيه، وفعل الإنزال مجاز للبعثة بالنبوة، وتكثير لفظ البشر للعموم، وتوحي الزيادة في حرف الجر (من) في تشديدهم في قولهم بإنكار الوحي المنزل على النبي ﷺ.

وإنكارهم نزول الكتاب على بشر ضلال وفتنة منهم وإغراء للمشركين، لأنهم يعلمون تماما أن موسى عليه السلام من البشر، ونزل عليه الكتاب، فما المانع لو تكرر الأمر على غيره من الذين يصطفاهم الله؟

قوله (قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى) الاستفهام يراد به الاحتجاج على زعم اليهود بنفي إنزال الوحي على بشر، بذكر موسى عليه السلام، وتعريف الكتاب للعهد أريد به التوراة، وخصوصية ذكر موسى دليل على أن ما زعموه من نفي إنزال الوحي على بشر كان قد صدر من اليهود زمن النبي ﷺ، ولا ينافي صدور ذلك الزعم في مكة كون السورة مكية، لأن قسما منهم كانوا موجودين في مكة، أو من جملة فتنهم التي فتنوا بها المشركين.

قوله (نورا وهدى للناس) انتصب لفظ النور على الحال، ولفظ الهدى حال ثانية أو معطوف على الحال، وكلا اللفظين استعارة تصريحية للإيمان

والهدى الذي جاءت به التوراة، وتعريف الناس للعهد، أريد بهم قوم موسى من بني إسرائيل.

وإنزال الكتاب على من يصطفي الله من لوازم الألوهية في هداية الناس إلى الصراط المستقيم، وتبليغهم الشريعة الحقة والمعارف الإلهية التي لا يمكن للعقل الإنساني الاجتماعي الإتيان بها، ولو استطاع لما فشلت فلسفاته المختلفة إلى هذا اليوم من تحقيق بعض ما يصبو إليه من عدالة اجتماعية واقتصادية وغيرها، لذلك عد القرآن إنكار الوحي منهم تدخلا ظالما في الحظ من قدر الله، ووجه الاحتجاج في نزول الكتاب على بشر من قبل كموسى عليه السلام لا يمنع عقلا من تكرار الأمر مع نبي آخر.

قوله (تجعلونه قراطيس) الجملة موقعها الصفة للكتاب، والقرطاس ما يكتب فيه من صحائف التي تسمى كتابا، والمراد ذم فعل علماء اليهود، لأنهم قطعوا التوراة قطعات لأغراض دنيوية وأهواء منحطة، فيظهرون بعضها، ويخفون بعضها.

قوله (تبدونها وتخفون كثيرا) الجملة موقعها الصفة للقراطيس، والمراد: الإشارة إلى تلاعبهم بشرائع التوراة وتحريفهم لها بحسب أهوائهم وأمزجتهم، وبين جملتي الإبداء والإخفاء تقابل لافت لإظهار تناقض أفعال علماء اليهود، وفي جملة الإخفاء تعريض بهم رمز به إلى التعمية على خبر البشارة بالرسول ﷺ في التوراة، وفيه حذف تقديره: وتخفون كثيرا منها.

قوله (وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) الواو للحال، إشارة إلى المعارف الإلهية المنزلة في التوراة التي لا يعلمها أحد غير الله علمها أنبياءه من قومهم، وفي البناء للمعلوم في لفظ (علمتم) إشارة إلى أن هذه المعارف مما لا يمكن اكتسابها من غير طريق الله، ولذلك لم يذكر الفاعل حتى لا يصادر المطلوب في الجواب بعد ذلك بقوله (قل: الله).

قوله (قل الله) يكفي التصريح بلفظ الجلالة توضيحاً للجواب وتقوية لمعناه، إذ المعارف الإلهية الحقّة المنزلة في التوراة مما فيه سعادة الإنسان في الدارين ولا يمكن أن تصدر من غير الله عز وجل.

قوله (ثم ذرهم في خوضهم يلعبون) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، والخوض هو الكلام في الباطل، والمراد ذم اليهود بسبب زعمهم في نفي إمكان نزول الوحي على بشر، في حال أنهم أنفسهم يؤمنون بكتابهم المنزل على موسى، لذا كان كلامهم من اللغو والخوض واللعب، الذي لا يستحق أن يسمع، بل يترك بإعراض شديد، عبر عنه بلفظ الأمر في (ذرهم).

قوله تعالى ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٣﴾﴾

قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق) الواو لعطف جملة على أخرى، ولفظ الإشارة لتعظيم الكتاب، وتعريفه للعهد يراد به القرآن الكريم، وحفه

بصفات ذات مقاصد دلالية بمنزلة أدلة على صحة نزوله من الله تعالى، وإسناد فعل الإنزال إلى نون العظمة للتشديد على أنه كتاب إلهي من لوازم الهداية الإلهية للبشر، شأنه شأن الكتب السماوية الأخرى، لذلك لم يُعَدَّ به (إلى)، لأن المقام متعلق بمن أنزل لا بمن نزل عليه فلم يقل: أنزلناه إليك، والجملة موقعها الصفة للكتاب.

ولفظ المبارك صفة ثانية للكتاب، ولفظ البركة أصله الثبوت، وتعني ثبوت الخير الإلهي في الشيء ثبوت الماء في البركة، وهي من دلائل صحة التنزيل بوصفه كتابا إلهيا يضم الخير العميم للناس، إذ ما فيه من شرائع ومعارف ما يضمن سعادة الدارين.

قوله (مصدق الذي بين يديه) صفة ثالثة للكتاب، وأمرة أخرى في تأكيد الكتب السماوية السابقة وتصديقها من حيث الأصول التوحيدية، وإن كان ناسخا لفروعها، والكناية في (بين يديه) يراد بها الكتب المتقدمة على القرآن.

قوله (ولتتذر أم القرى ومن حولها) العطف لأنه صفة أخرى لبرهان التنزيل الإلهي في كونه يحقق الغرض الإلهي لسعادة الناس بإنذار أم القرى، وما يجاورها من البلدان، وفيه تعميم للرسالة المحمدية، واللام المقترن بفعل الإنذار للغاية، والإنذار الوعيد على المخالفة والتهديد بنفي الاستجابة، والخطاب نوع التفات إلى العناية بالرسول ﷺ.

و(أم القرى) كناية عن مكة، فهي أصل القرى كلها لقدمها، وفيها دلالة على عناية الله بذكرها، كونها الحرم الإلهي، ومبدأ انتشار رسالة التوحيد، وإنذارها مجاز مرسل يراد به إنذار أهلها، لذلك أظهر اسم الموصول المفيد للعاقل في قوله (ومن حولها).

قوله (والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به) الكلام انتقال وتفریع من وصف الكتاب إلى ذكر صفة المؤمنين به، ولفظ الإيمان التصديق، وأريد بالآخرة الإيمان بالمعاد، وضمير الهاء في (به) راجع إلى الكتاب.

قوله (وهم على صلواتهم يحافظون) الواو للحال، وتقديم ضمير الفصل (هم) والمعمول للأهمية، والمحافظة المراقبة والمداومة على إقامة الصلاة بتمامها وأوقاتها، وخصت الصلاة بالذكر لشرفها ومنزلتها عند الله.

قوله تعالى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ سَتَكْبُرُونَ﴾

قوله (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً) الاستفهام يراد به الإنكار لتهويل جريمة الظلم، أي: لا أحد أظلم، وإيراده على نحو المسلمات بصيغة

العموم لأخذ النصفة بالكلام والالتزام بجانب الحق، و(من) الأولى اسم استفهام، و(ممن) مكونة من حرف الابتداء (من)، واسم الموصول (من)، وفعل الافتراء مبالغة في الكذب على الله، باختلاق شركة الأصنام له، ولفظ الكذب منصوب على المفعولية، لأن الافتراء متضمن معنى التكذيب، بمعنى: ممن كذب على الله كذبا، وتنكيره لتهويل الاجترار عليه تعالى.

والتصريح بلفظ الجلالة لتبشيع فعل الافتراء، والكلام مقصود به المشركون، لأنهم الذين زعموا أصنامهم شركاء لله.

قوله (أو قال أوحى إلي ولم يوح إليه شيء) يفيد الحرف (أو) التقسيم، والكلام من باب إنصاف الخصم في الكلام، لأن ادعاء البعث بالنبوة ظلم شنيع، فالكلام إشارة إلى صحة نبوة النبي محمد ﷺ بأسلوب النصفة في الكلام، والتزام الحق، لأنه لا يجوز لأحد ادعاء الوحي إليه والبعث بالنبوة وهو ليس بنبي.

قوله (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) العطف بمعنى: ومن أظلم ممن قال سأنزل مثل ما أنزل الله، والكلام إشارة إلى المستهزئين المشركين، فهم قالوا مثل ذلك، ويختلف عن أشكال الافتراء السابقة، لأنه استعلاء منهم على الله، ويبدو أنه حكاية قول واقع، فقد جعل الزاعم نفسه قبالة الحضرة القدسية ينزل مثل ما ينزل الله، مبالغة في الاستهزاء بالقرآن الكريم فلم يقل: آتي بمثل ما أتى به القرآن أو أقول بمثل ما قال، وقيل فيمن ادعى ذلك أقوال كثيرة.

وتكرار الموصول (من) تهويل للاجتراء على الله، لأن صورتني الظلم الأوليين في حقيقتها انقياد لله وإن كان فيها افتراء، ولكن الثالثة استعلاء عليه سبحانه لذلك ميزت بـ (من) دون سابقتها.

قوله (ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت) الخطاب للنبي ﷺ بأسلوب الافتراض الإخباري المتضمن الوعيد والتهديد للمشركين، وفعل الرؤية للبصر، والظرفية (إذ) بمعنى: وقت، والظالمون هم المشركون، وقد أطلق الظلم على الشرك كثيرا في آيات الكتاب العزيز، أو يراد به الظلم على إطلاقه، و(في) للظرفية المجازية.

والغمرات استعارة من موج البحر، شبه به الموت بجامع الأخذ مرة بعد مرة، مبالغة في شدة الموت واشتماله على الإنسان.

قوله (والملائكة باسطو أيديهم) الواو للحال، وتعريف الملائكة للعهد، أي: الملائكة الموكلون بقبض الروح عند الاحتضار، وبسط اليد هنا كناية عن البطش والفتك، والمراد وصف شدة عذاب احتضار الظالمين.

قوله (أخرجوا أنفسكم) الفصل لأنه مقول قول الملائكة، والخطاب للظالمين استعارة للظهور، والمراد به قبض أرواحهم في الدنيا، وفي الكلام التفات من الغائب إلى خطاب الحضور للتهديد والوعيد.

قوله (اليوم تجزون عذاب الهون) الكلام من تنمة قول الملائكة، تعليل لأمر الإخراج، ولفظ اليوم كناية عن اليوم الذي قبضت فيه أرواحهم إلى عالم البرزخ، وصفة العذاب بالهون إمعانا في النكالة بهم، واحتقارا لهم،

ولذلتهم، والجزاء الاستحقاق على العمل، وإضافة العذاب إلى الهون من باب إضافة الموصوف إلى صفته.

قوله (بما كنتم تقولون على الله غير الحق) الباء في (بما) تفيد السبب، ومضي فعل الكون إشارة إلى أعمال الظالمين في حياتهم الدنيا، وقولهم على الله غير الحق إشارة إلى افترائهم شركة أصنامهم التي يعبدونها، واستكبارهم بادعاء إنزال كتاب مثل ما أنزل الله، والتصريح باسم الله لتبشيع قولهم عليه سبحانه واجترائهم عليه.

قوله (وكنتم عن آياته تستكبرون) العطف بمعنى التعليل، أي: وبما كنتم، وتقديم المعمول للأهمية ورعاية الفاصلة الواقعة على السكون، والآيات الحجج والبراهين، وإضافتها إلى هاء الجلالة لتعظيم شأنها وتفضيع استكبارهم، والاستكبار مبالغة في الكبر والاستعلاء.

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ ۖ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٩٤﴾

قوله (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة) العطف على ما تقدم لاستمرار الكلام عن الظالمين، و(لقد) قسم وتحقيق لأهمية الإخبار بالوعد والتهديد للظالمين، وفعل المجيء مجاز للبعث والنشور، وإسناده إلى ضمير أنفسهم على سبيل المجاز العقلي للمبالغة، و(فرادى) منصوب محلا

على الحال، جمع فرد أو فريد، إشارة إلى بعثهم كل على انفراد من دون رفيق أو حشم وخدم، والكلام على سبيل التوبيخ، والتشبيه في (كما خلقناكم أول مرة) يراد به تصوير ضعف حالهم، وخور قواهم في وحدتهم، وخلقهم أول مرة كناية عن وحدتهم في بطون أمهاتهم.

وفي مسند ابن حنبل وغيره قول النبي ﷺ: يحشر الناس حفاة عراة غرلا. انتهى.

قول (وتركتكم ما خولناكم) الواو للحال، وتحتل العطف، والترك مجاز من الموت الذي يلجئ الميت إلى ترك كل شيء مما يدعي ملكه، والتخويل إعطاء مطلق ما ينفع، قال الراغب: التخويل في الأصل إعطاء الخول، وقيل إعطاء ما يصير له خولا، وقيل إعطاء ما يحتاج أن يتعهده. انتهى.

والكلام دال على نفي التصرف الحقيقي في مطلق الملك، مال أو عيان، وأن الإنسان مخول فيما عنده بدليل تخليه القهري عنه.

وقوله (وراء ظهوركم) الظرف مقامه الحال، تأكيد للترك القهري، وهو كناية عما بعد الرحيل والموت، والمراد تركتم الأموال، وحملتكم من الذنوب الأحمال، واستمتع غيركم بما خلفتم، وحوسبتم عليه.

قوله (وما نرى معكم شفعاءكم) الكلام تقرير لمجيئهم فرادى، بلا ناصر وشفيع كما زعموا في حياتهم الدنيا من عبادتهم لأصنامهم، وجملة النفي لتوبيخهم.

قوله (الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) جملة الموصول مقامها الصفة للشفعاء، وفعل الزعم للقول بلا دليل، والشركاء الأصنام زعموا لها الشركة في الألوهية مع الله وأنها تشفع لهم عنده، والكلام أورد على سبيل التهكم بهم.

قوله (لقد تقطع بينكم) قسم وتحقيق، لتأكيد استحالة اللقاء بين الكافرين وأصنامهم، أي: تقطع وصلكم بينكم وبين أصنامكم، وفعل التقطع مبالغة في القطع استعارة بالكناية للتواصل تشبيها له بالحب، والظرف (بينكم) أقيم مقام الموصوف بتقدير: أمركم.

قوله (وضل عنكم ما كنتم تزعمون) الواو للعطف على جملة التقطيع إمعانا في التهكم بهم، والضلال الضياع، أي: أضاعتكم أصنامكم التي زعمتوها شركاء لله وشفعاء لكم، والكلام تهكم بعد تهكم، وتوبيخ بعد توبيخ.

قوله تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ ﴾ ﴿٩٥﴾

قوله (إن الله فالق الحب والنوى) استئناف ابتدائي مؤكد لأهمية الإخبار عن دلائل توحيده تعالى بعد إيراد الاحتجاجات على المشركين، والتصريح باسم الله لإضفاء التعظيم على الخبر، والفلق شق الشيء وإبانة بعضه عن بعض، والحب والحبّة يقال في الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات.

والمراد شق الحبة أو النوى لخروج موضع الإنبات منها داخل التربة وهي الأصل في تكون النبات والشجرة والنخل فيما بعد، وارتزاق الإنسان منها. قوله (يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي) الجمل المتقابلة موضعها الصفات لاسم الجلالة.

وشبه خروج النبات بالكائن الحي، وشبه الحب والنوى اليابس بالميت على سبيل الاستعارة التصريحية، أو يمكن القول استعار للنبات لفظ الحي، واستعار للحب والنوى لفظ الميت، بجامع التشابه في كل منهما.

وما بين الجملتين تقابل في المعنى لا يتحقق إلا بقدرة الله التي جمعت بين الأضداد، فالله وحده الذي يخرج النبات الغض والطري الخضر من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي، والعرب تسمي الشجر ما دام غضا قائما بأنه حي، فإذا يبس، أو قطع، أو قلع، سموه ميتا.

وذكر في المجمع وغيره أن معناه: يخلق الحي من النطفة، وهي موات، ويخلق النطفة وهي موات، من الحي، وهذا أصح، وقيل: معناه يخرج الطير من البيض، والبيض من الطير، وقيل: معناه يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن. انتهى. أقول: وهذا من المجاز الاستعاري الواسع الذي يحتمل تأويلات كثيرة، نحو خروج الجاهل من العالم، والخبيث من الطيب.

ومن المهم الذكر هنا أن المقصود بالميت انعدام الحركة، لأن الحبة والنوى والنطفة والبيض كائنات تحمل في داخلها خلايا تفيض بالحياة التي تؤول فيما بعد إلى كائن متحرك.

قوله (ذلکم الله) اسم الإشارة بلفظ البعيد لتعظيم الألوهية، أي: فاعل ذلك كله الله، وكفى بإظهار اسمه تعالى عظمة.

قوله (فأنى تؤفكون) الفاء لتفريع السؤال الإنكاري على ما تقدم، بمعنى: من أين تؤفكون؟ والأفك كما قال الراغب: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب مؤتفكة. انتهى.

والمراد: لا موجب لما يصرفكم عن الحق، فتعدلون عن فلق الحب والنوى فأخرج الزرع والشجر منهما إلى أصنام تجعلونها له شريكا في عبادته.

قوله تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٩٦﴾

قوله (فالق الإصباح) ارتفع لفظ الفلق على تقدير: الله فالق الإصباح، وإعادة فعل الفلق للإشارة إلى أن فالق الحبة نفسه فالق الإصباح وهو الله تعالى، واللفظ من جميل الاستعارات القرآنية في تصوير طلوع الشمس، فالفلق الشق والإبانة بين الشيتين، فكأن ظلمة الليل وضياء الصبح

متلاحمان ففلق الله بينهما، فجعل الصبح مفلوقا عن الظلمة مبالغة في ظهوره بعد العتمة، والإصباح مصدر الفعل أصبح.

قوله (وجعل الليل سكنا) الواو عاطفة على ما قبلها لأن اسم الفاعل (فالق) بمعنى المضي من الفعل، أي جعل ظلام الليل محلا للمبيت والنوم، من باب استعمال المجاز المرسل، والمراد الراحة التي تعقب التعب للبدء في انطلاقة جديدة نحو الحياة.

قوله (والشمس والقمر حسبانا) أي: وجعل الشمس والقمر حسبانا، والحساب استعمال العدد، والحسبان مصدر بمعنى حاسبين على سبيل المجاز العقلي الإسنادي للمبالغة، أي: هما يجريان في حساب دقيق لا يتجاوزانه تنتظم به حياة الإنسان، ومراد الآية ما يكون من حركة الشمس والقمر، وما ينتج منهما من ليل ونهار، وفصول مختلفة، وأيام وسنين ينتظم بها معيش الإنسان، وتستقر بها أحواله.

قوله (ذلك تقدير العزيز العليم) لفظ الإشارة لتعظيم ما أبدعه سبحانه في صفة فلق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا، والتقدير كما قال الراغب: تبين كمية الشيء يقال قدرته وقدرته، وقدره بالتشديد أعطاه القدرة، يقال: قدرني الله على كذا، وقواني عليه، فتقدير الله الأشياء على وجهين، أحدهما: بإعطاء القدرة، والثاني: بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص، حسبما اقتضت الحكمة. انتهى.

والفاصلة تذييل لخص به ما سبق من نظام خلق الله تعالى، فهو العزيز الذي لا يقهره قاهر، فيفسد عليه شيئاً من تدبيره، والعليم الذي لا يجهل بشيء من مصالح مملكته، حتى ينظمه نظاماً ربما يفسد من نفسه ولا يدوم بطبعه.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾

قوله (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها) العطف وتكرار ضمير الفصل لبيان دلائل الوحدانية وعظيم القدرة، وفعل الجعل التصيير من حالة إلى حالة، وتوليد شيء من شيء، والمراد ما يكون من حركة الأجرام السماوية كضوء النجوم ومواقعها التي اهتدى بها الإنسان في تحديد مساره يمينا أو يسارا في السفر في البر والبحر، وفي تحديد القبلة وأوقات الليل، واللام في (لكم) للغاية، بمعنى: لأجلكم، وتعريف النجوم للعموم، وأصل اللفظ الكوكب الطالع، وبه شبه طلوع النبات الذي لا ساق له.

وفعل الهداية يراد به المعرفة والإصابة، واللام المقترن بها للتعليل، يشير إلى واحدة من فوائدها، وإلا فإنها مخلوقة لما هو أعظم من معرفة الأسفار التي استغنى إنسان اليوم عنها، والباء في (بها) للتعدية، والهاء راجع إلى النجوم.

قوله (في ظلمات البر والبحر) جمع الظلمات لتكثير معنى شدة العتمة وقت حلول ظلام الليل، فقد كانت أدلة المسافرين.

قوله (قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون) القطع للاستئناف، و(قد) حرف تحقيق لأهمية الإخبار، والتفصيل الإظهار والتبيين لحجج الله ودلائل توحيده، واللام في (لقوم) للغاية، والقوم الطائفة من الناس الذين تجمعهم العقيدة أو المكان أو النسب، ووصفهم بالعلم لأنهم الأقدر على الانتفاع بذلك التفصيل، وفيه تعريض بالقوم الجاهلين الذين لا ينتفعون بآيات الله.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ

فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ ۞

قوله (وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة) الواو لعطف جملة على أخرى في بيان دلائل التوحيد، وضمير الفصل للقصر، وكذا اسم الموصول قصر ثان، والإنشاء الإيجاد قبل أن يكون وتدبيره بعد خلقه، والخطاب لعموم الخلق على سبيل الامتنان.

و(من) حرف ابتداء، والنفس الذات ويراد بها الروح، ووصفها بالواحدة لأنها تفردت بالخلق الأول كناية عن خلق آدم فهو أصل الناس جميعا.

قوله (فمستقر ومستودع) الفاء لتفريع حالين لوجود الإنسان في الحياة الدنيا مهما كثر انتشار فرده النوعي من آدم، أما مولود مستقر في الأرض أو مستودع في الأصلاب لم يولد بعد، أو بمعنى أما حي مستقر في الأرض أو

ميت مستودع في القبور، وكل حال ينقل عنها الإنسان لا تخرج من هذين
الحالين، والإقرار إثبات الشيء ويراد به التمكن والإقامة، والمستودع
مبالغة للمودع المتروك.

قوله (قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون) أي: تبيان الحجج وتخصيص أهل الفقه
أو العلم لأنهم الأجدر على الانتفاع منها.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ
شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا
قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ
نُظَرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ



قوله (وهو الذي أنزل من السماء ماء) الواو للعطف على قوله تعالى (فالق
الحب والنوى) لأن الكلام مفرع عليه بذكر تفاصيل أصناف النباتات،
وضمير الفصل لقصر الإخبار عليه وحده سبحانه.

وإنزال الماء من السماء كناية عن نزول الغيث في السحاب إلى الأرض،
وحرف الجر (من) للابتداء، وتحتمل التبويض، والسماء كل ما علاك،
ويراد بها السحاب التي تحمل ماء، وتتكبر لفظ الماء للتكثير، أي ماء كثيرا
يروى به نبات كل شيء.

قوله (فأخرجنا به نبات كل شيء) الفاء لتفريع إخراج النبات على إنزال الماء، والإخراج استعارة للنبات مما هو مخبوء، ويكون بنموه شيئاً فشيئاً.

والباء في (به) للسبب والهاء راجع إلى الماء، و(نبات كل شيء) أي: ما ينبت به كل شيء وينمو عليه ويتغذى، ويمكن إرادة معنى جميع أصناف النبات.

قوله (فأخرجنا منه خضرا) الفاء تفيد تعاقب إخراج الثمر بعد الإنبات. وفعل الإخراج مجاز في نمو النبات شيئاً فشيئاً حتى يخضر ويزهر حين يستوي على ساقه. و(منه) أي من النبات.

قوله (نخرج منه حبا متراكبا) جملة الإخراج موقعها الصفة لـ (خضرا)، والكلام إشارة إلى آخر مراحل النبات وهو الثمر الذي أطلق عليه الحب كالبر والشعير ونحوها، والتراكب إشارة إلى تزاممه لكثرتة وإعجاز تسطيره، فكأنه يركب بعضه بعضاً وينعقد بعضه على بعض كما في السنبلة، ومن في (منه) ابتدائية، والهاء راجع إلى النبات الخضر.

وتكرار فعل الإخراج وإسناده إلى ضمير التكلم تأكيد لإعجاز خلقه وتركيبه من ماء وتراب.

قوله (ومن النخل من طلعتها قنوان دانية) العطف بمعنى: ونخرج من النخل. وتقدم شبه الجملة على للأهمية، وأصل الجملة: قنوان دانية من النخل من طلعتها.

وتفيد (من) الابتداء، والنخل تطلق على الجمع والمفرد، و(من) الثانية للابتداء، وطلع النخل أول ما يبدو من ثمره، والقنوان جمع قنو عرجون التمر وهو العنق، والداني القريب، والمراد إخراج أعذاق الرطب القريبة التناول من اليد.

قوله (وجنات من أعناب والزيتون والرمان) العطف على فعل الإخراج، والجنات البساتين المكتظة بالأعناب والزيتون والرمان التي لشدة كثافتها كأنها ستر يجن ما تحتها ويستتر، و(من) للتبيين، وخصت الأعناب والزيتون والرمان بالذكر لأنها حبات كثيرة العدد منتظمة التسطير بشكل إعجازي، وإطلاقها يراد به إطلاق أشجارها.

قوله (مشتبها وغير متشابه) النصب على الحال، والتغاير بين لفظي المشتبه والمتشابه نوع تفنن بديعي، والمعنى: أصناف مختلفة متشابهة في شكلها ومختلفة في خصائص طعمها وثمرها.

قوله (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) فعل أمر النظر لعموم المخاطبين يراد به التبصر في دلائل توحيده تعالى في صنعه، والثمر جنى الشجر، وضمير الهاء عائد إلى عموم ما ذكر من نبات، والينع النضج.

قوله (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) الفصل للتعليل، ولفظ الإشارة إلى عموم ما تقدم ذكره من إنزال الماء وإخراج النبات، واللام المقترن بلفظ الآيات للتأكيد واقعة في خبر (إن)، وسمي ما ذكر آيات لأنها دلائل توحيد الله الظاهرة وحججه الباهرة.

قوله (لقوم يؤمنون) اللام للتعليل، وخص المؤمنون بانتفاع التدبر بالآيات لأنهم الأجدر بذلك، وفي كل آية فيها ذكر لخلقه تعالى دعوة للتدبر تختم بما يحمل الناس على الاقتداء بالمنتفعين من ذكرها فمرة: لقوم يعلمون، وثانية: لقوم يفقهون، وثالثة: لقوم يؤمنون، وفي كلها يستعمل فعل الحضور الدال على الاستمرار.

قوله تعالى ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَفُوا لَهُۥٓ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحٰنَهُۥ وَتَعَالٰى عَمَّا يَصِفُونَ﴾

قوله (وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم) الواو عطف قصة على أخرى من أحوال المشركين العرب فهم من زعموا أن الله صاهر الجن فولدت الملائكة، وزعموا أن الملائكة بنات الله، وتقدم المعمول (الله) للأهمية والتعجيب، وشركاء جمع شريك اجتروحه الله افتراء، وهو المفعول الثاني لفعل الجعل، ولفظ الجن المفعول الأول المتأخر، وأصل الجملة: وجعلوا الجن شركاء لله، والجن أصله الستر وأطلق بعرف اللغة على المخلوقات المستترة عن البصر المخلوقة من نار.

قوله (وخلقهم) الواو تفيد الحال، وجملة الخلق حالية محتجة على ادعاء المشركين بمعنى: كيف يتخذ الله الجن شركاء له وهو من خلقهم، إذ ما الداعي لأن يكون المخلوق شريكا للخالق.

قوله (وخرقوا له بنين وبنات) الواو عطف على (وجعلوا)، وواو الجمع راجع إلى المشركين، والخرق يراد به الكذب وأصله كما قال الراغب: الخرق قطع الشيء على سبيل الفساد من غير تدبر ولا تفكر. انتهى. فهم زعموا ذلك على سبيل الخرق والافتعال بالافتراء والكذب بأن الله بنين وبنات، فقد نسبوا الجن أبناء لله، والملائكة بنات له.

قوله (بغير علم) الباء للملابسة، وشبه الجملة موقعها الحال، أي زعموه جاهلين، لأنها دعوى غير قائمة على دليل أو واقع.

قوله (سبحانه وتعالى عما يصفون) الجملة تنبيه لله تعالى عما تقدم من افتراء واجتراء، وصيغة السبحان بمعنى: أسبحه سبحانا، وصيغة (تعالى) من العلو والارتفاع المجازي عما ينقص من كمال القدرة، و(عما) مكونة من حرف التجاوز (عن) و(ما) المصدرية بمعنى: عن وصفكم، والوصف الإخبار لأن القائل في حقيقته مخبر وواصف.

قوله تعالى ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ

صَاحِبَةً ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

قوله (بديع السماوات والأرض) استئناف إخباري لتقوية التنزيه مقامها التعليل له، وارتفع لفظ البديع على تقدير: هو بديع السموات والأرض، عائد إلى الله كما في الآيات السابقة، ولفظ البديع صيغة مبالغة بمعنى

الموجد لا على مثال سابق، وذكر السماوات والأرض لأنهما أعظم في الخلق لمن ينظرهما من الملائكة والجن، وهما محلهما.

قوله (أنى يكون له ولد) الفصل للتعليل، والاستفهام للإنكار، بمعنى: من أين يكون لله ولد، وهو خالق كل شيء، ولفظ الولد تطلق على الذكر والأنثى.

قوله (ولم تكن له صاحبة) الواو تفيد الحال، والجملة ظاهرها النفي ومضمونها الاحتجاج، لأن حصول الولد يتم باتخاذ الزوجة، وهذا يستحيل على الخالق لأن الله لا يشبهه شيء، ونفي مضي الكون أقوى في النفي وأثبت، والصاحبة الزوجة سميت بذلك لملازمتها صحبة زوجها.

قوله (وخلق كل شيء) الواو للعطف على جملة الحال، أعم في المعنى احتجاج على زعم البنوة لأن خالق كل شيء مستغن كماله عما ينقصه، فكونه خالقا لكل شيء يعني أنه غير محتاج لشيء فلماذا يتخذ ولدا وكلهم من خلقه مربوبون له.

قوله (وهو بكل شيء عليم) جملة تذييل وإخبار متضمن معنى التهديد للمفترين على الله المجترئين على ألوهيته، وضمير الفصل للقصر، وتقديم المعمول للأهمية، والعليم مبالغة في العلم بكل شيء.

قوله تعالى ﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ

وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾

قوله (ذلكم الله ربكم) الفصل للاستئناف، ولفظ الإشارة للتعظيم واختصار الصفات المذكورة بلفظ الجلالة، أي: ذلك الحال الموصوف المتقدم هو الله ربكم، والإخبار جمع بين مقامي الألوهية والربوبية معا ردا على التفريق بينهما في ادعاء الشراكة والبنوة لله.

قوله (لا إله إلا هو) جملة التوحيد موقعها الحال، أو الصفة، والنفي والاستثناء المفرغ لقصر الألوهية عليه سبحانه وحده.

قوله (خالق كل شيء) الجملة موقعها التعليل لنفي الألوهية عن غيره سبحانه، والخالق الموجد المدبر، وتعميم الخلق لكل شيء للإشارة إلى كمال قدرته تعالى وملكه لكل شيء، لأنه وحده من أفاض الوجود عليها.

قوله (فاعبدوه) الفاء تفريع على خلقه تعالى لكل شيء، وجملة العبادة نتيجة لما تقدم من دلائل التوحيد، والخطاب لعموم الخلق، والعبادة إظهار التذلل من العبد إلى ربه.

(وهو على كل شيء وكيل) الإخبار متضمن معنى التعليل لأمر العبادة، بكونه المدبر الحافظ لشؤون الخلق، وضمير الفصل للقصر، وتقدم المعمول للأهمية. والوكيل الحافظ المراقب.

قوله تعالى ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

قوله (لا تدركه الأبصار) الابتداء لبيان صفات الله تعالى التي تفرد بها في الألوهية، فمعنى نفي إدراك الأبصار له تعالى نفي أن تحيط بذاته، لأن الله لا يتضمن ذاته مكان ولا زمان يستطيع بهما البصر عيانه، والأبصار جمع بصر وهو النظر العياني. وتعريفها للجنس.

قوله (وهو يدرك الأبصار) الواو للحال، وإدراكه تعالى للأبصار باعتبار علمه وإحاطته بها.

وبين الجملتين مقابلة لافتة للانتباه، وإيجاز عجيب ، فالله يستحيل عليه المكان حتى يدرك ببصر، ولكنه يدركها أي يحيط بها، لأن الأشياء حاضرة عنده، فنسب إدراك الله للأبصار نفسها دون أولي الأبصار، قال في ذلك الطباطبائي: لأن الإدراك الموجود فيه تعالى ليس من قبيل إدراكاتنا الحسية حتى يتعلق بظواهر الأشياء من أعراضها كالبصر مثلا الذي يتعلق بالأضواء والألوان ويدرك به القرب والبعد والعظم والصغر والحركة والسكون بنحو بل الأغراض وموضوعاتها بظواهرها وبواطنها حاضرة عنده مكشوفة له غير محجوبة عنه ولا غائبة فهو تعالى يجد الابصار بحقائقها وما عندها وليست تناله. انتهى.

قوله (وهو اللطيف الخبير) اللطيف الرقيق النافذ في الشيء، ويعبر باللفظ والطلاقة عن الحركة الخفيفة وعن تعاطي الأمور الدقيقة، ويوصف به الله تعالى للمبالغة بمعرفته بدقائق الأمور وأن يكون لرفقه بالعباد لهدايتهم. والكلام مقامه التعليل.

والخبير من الخبرة، ومراد الآية: أن الله عالم محيط بالأشياء ببواطنها وظواهرها، عالم بدقائقها ولا يشغله شيء عن شيء.

قوله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ﴾ ﴿١٠٤﴾

قوله (قد جاءكم بصائر من ربكم) الكلام خطاب ابتدائي مؤكد من الله للمشركين على لسان نبيه، والبصائر جمع بصيرة وهي للقلب لمنزلة البصر للعين، وهي استعارة للدلائل الواضحة على توحيده تعالى فيما سبق من الآيات، والجامع بين اللفظين هو اهتداء الطريق في كل منهما، وحرف الجر (من) للابتداء، وإضافة لفظ الرب إلى كاف خطاب المشركين للإشارة إلى مربوبيتهم لله على سبيل التسخير.

قوله (فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها) الفاء للتفريع، والتفصيل في الشرط يراد به التخيير وترك الأمر لمن يتخير طريقه بين البصر والعمى، وهما استعارتان، استعارة البصر للإيمان بجامع الوضوح في اهتداء الطريق، واستعار العمى للكفر بجامع التخبط وعدم اهتداء الطريق في كل منهما، وكون الإبصار لنفسه بمعنى عائدة الانتفاع بالبصر والوصول إلى حقيقة عبادة ربه لنفس المبصر، وأما العمى عن الانتفاع ببصائر الله فضرره عائد على نفسه، وحرف الجر (على) مجاز لتمكن العمى من نفس الضال المفهوم من ضمير اسم الشرط (من).

قوله (وما أنا عليكم بحفيظ) الإخبار متضمن معنى التهديد للمشركين بتأكيد كون رسولا مبلغا عن الله لا حافظا لهم من العذاب، وتقديم الظرف (عليكم) للأهمية، والباء في (بحفيظ) زائدة لتقوية النفي، والحفيظ مبالغة في الحفظ والرعاية.

والآية كلها كأنها عدول عن الآيات السابقة واللاحقة فهي خطاب من الله تعالى بلسان نبيه، كلمهم الله من نفسه تهيجا للناس للإيمان به تعالى وحثا على الانقياد بنبيه.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ نَصْرُفُ آيَاتٍ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾

قوله (وكذلك نصرف الآيات) أي: وكذلك التصريف نصرف الآيات، والتصريف تحويل آيات الله للأنظار لاستحصال الفائدة من معانيها، والآيات جمع آية وهي علامات توحيده تعالى الواضحة، وتعريفها للجنس لكثرتها.

وقوله (وليقلوا درست) الواو للعطف على فعل التصريف، واللام المقترن بفعل القول لام العاقبة، والقائلون المشركون خاطبوا به النبي ﷺ طعنا بنبوته: تعلمت الآيات من أهل الكتاب، والتدريس التعليم بالقراءة والحفظ.

ومراد الآية: أن تصريف الآيات ببيانها المائل زيادة في ضلال القوم المشركين، وتبيين للقوم الذين يعلمون.

قوله (ولنبينه لقوم يعلمون) عطف وتعليل، والتبيين الإبانة والتوضيح،
والهاء المقترن بفعله راجع إلى القرآن الجامع لآيات الله، واللام في (لقوم)
للتعليل، ووصف القوم بالعلم لأنهم الأكثر انتفاعا بهذا التبيين.

قوله تعالى ﴿ أَتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ
الْمُشْرِكِينَ ۝١٦﴾

قوله (اتبع ما أوحى إليك من ربك) الفصل للاستئناف بخطاب العناية من
الله بنبيه. والاتباع اقتفاء الأثر، والأمر للنبي ﷺ باتباع أوامر التوحيد من
الوحي من غير التفات لاستكبار المشركين وصددهم عن دعوة الحق،
والخطاب في (إليك) يفيد انتهاء غاية التبليغ بالنبي ﷺ، وتفيد (من)
الابتداء، وإضافة الرب إلى كاف النبي ﷺ مشعر بالعناية الخاصة من الله
بنبيه.

قوله (لا إله إلا هو) القصر بجملة الألوهية على الله تقرير لقوله (من
ربك).

قوله (أعرض عن المشركين) فعل أمر الإعراض كناية عن تركهم وتجاهل
أذاهم وافتراءاتهم، ومراد الآية - والله أعلم دائما - وعيدهم وتهديدهم.

قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا
أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝١٧﴾

قوله (ولو شاء الله ما أشركوا) أداة الامتناع تعني أن مسألة الإيمان بالله اختيار إنساني، ولو كانت تتعلق بالقهر بالقهر لا يعجز الله، لذلك الآية فيها نهى ضمنى عن المبالغة في الحرص على المشركين على أن لا يكونوا آمنوا.

قوله (وما جعلناك عليهم حفيظا) نفي صريح عن إمكان الخروج عن غرض الرسالة وهو التبليغ من دون ضمان هدايتهم، وتقديم المعمول للأهمية، والحفيظ مبالغة في الحفظ مما يكره ويؤذى.

قوله (وما أنت عليهم بوكيل) تأكيد ثان بنفي ضمان هدايتهم، لأن الهداية أمر متعلق بالله بحسب مشيئته القاضية باستعداد الآخر ومدى تقبله للأمر الإلهي.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾

قوله (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) الخطاب من الله لتأديب المؤمنين وتوجيههم، للنهي عن سب المشركين وعبادة الأصنام، والسب الشتم، وجملة الموصول تبين للنهي.

قوله (فيسبوا الله عدوا بغير علم) الفاء للسبب، وانتصب لفظ العدو على الحال، والعدو الإخلال بالعدالة في المعاملة، والمقصود التجاوز باللسان بجهالة بسبب إثارة حمية أهل الشرك لآلهتهم، والظرف (بغير علم) حال ثانية، لأن كل سباب لله منشؤه الجهل بمقام ألوهيته.

وفي الآية تربية عالية لتهديب المؤمنين لحملهم على احترام الذات القدسية والاعتقاد على الترفع عن السباب.

قوله (كذلك زينا لكل أمة عملهم) لفظ الإشارة بمعنى: كذلك التزيين، والتزيين استعارة من إغرائهم بالفتن، فالدنيا محل الابتلاءات المختلفة لكل أمة، وتزيين أعمالهم على سبيل المجازاة لهم وليس بنحو الابتداء من الله.

والمراد: فعل السيئات بسباب الله أو الاستهزاء بآياته، أو ما مر على الأمم السابقة من فتن وابتلاءات.

قوله (ثم إلى ربهم مرجعهم) تفيد (ثم) التراخي الزمني، أي: بعد مدة من انقضاء حياتهم مصيرهم المآل إلى ربهم، وتقديم المعمول على عامله للقصر بتأكيد المعاد إليه تعالى وحده.

قوله (فينبئهم بما كانوا يعملون) الفاء لتفريع الإنباء على جملة الرجوع، والإنباء من الله ليس غايته الإخبار بل التوبيخ قبل الحساب، والباء في (بما) للتعدية، و(ما) اسم موصول وصلته تبين إلى أعمالهم في الحياة الدنيا واقترافهم السيئات، ودلالة الإخبار بالتهديد واضحة.

قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلُوبُهُمْ﴾ ﴿١٠٩﴾ ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١١٠﴾

قوله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) العطف لاتصال الكلام عن أحوال المشركين، فواو الجمع في فعل القسم عائد إليهم، ونصب الجهد على الحال، وإضافته إلى الأيمان كناية عن تغليظها تأكيداً لكلامهم ولعلمهم بإنكار المؤمنين لهم.

قوله (لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها) الفصل لأنه القسم متضمن القول، والابتداء بالقسم المستشعر بلامه وإن الشرطية تأكيد لمقالهم بإيمانهم في حال إنزال معجزة أخرى غير القرآن، للنوعية والخصوصية، واللام المقترن بفعل الإيمان واقعة في جواب القسم. والنون لتأكيد الفعل، والباء في (بها) للتعدية بمعنى التصديق بالآية، ومقال المشركين اقتراح منهم على الله تعالى، لأن معجزة القرآن لم تعجبهم فقد اقترحوا من قبل إنزال الملك أو تحويل الجبل ذهباً.

قوله (قل إنما الآيات عند الله) الأمر بمعنى أخبرهم أيها النبي ﷺ جواباً لكلام المشركين الذي أقسموا عليه: إنما الآيات مقصورة على الله يملكها وحده سبحانه هو الذي ينزلها بحسب المصلحة التي لا يعلمها سواه، وليس لنبي من أمرها شيء ليجيبكم، والعندية للتمليك.

قوله (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) الاستفهام بـ (ما) يوجه معنى الكلام أي: وما يدريكم أيها المؤمنون إن صدقتم قسمهم أن الآيات إذا جاءتهم يؤمنون بها؟ وإنما صرحت الآية بنفي الإيمان لعلمه تعالى بعدم إيمانهم، لأن العلم بذلك من مختصاته تعالى لأنها تكون بهداية منه.

قوله تعالى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ﴿١١٠﴾

قوله (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة) العطف على قوله (لا يؤمنون) لأن الكلام تفسير لعدم إيمانهم.

وتقلب الأفئدة والأبصار كناية عن علم الله ببواطن الأمور وخبرته فيها، ومراد الآية: أن أمر هؤلاء سيان فهم لا يؤمنون لو نزلت عليهم الآيات مثل أول مرة من الدعوة في عدم إيمانهم، إذ لا قلوب يعقلون بها ولا أبصار يهتدون بها.

قوله (ونذرهم في طغيانهم يعمهون) أي نتركهم لأنفسهم في حيرتها وترددها، ويفيد الفعل (نذر) الترك مع الكراهة، و(في) للظرفية المجازية، والطغيان تجاوز الحد في الكفر، والعمه الحيرة.

قوله تعالى ﴿ * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبْلَا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ﴿١١١﴾

قوله (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) العطف لأن الكلام تكذيب لقسم المشركين بالإيمان في حال نزول آية، فعدت الآية على سبيل الفرض ثلاث آيات مادية تحاكي نفوسهم المؤمنة بعالم المادة لبيان كذب ادعائهم.

والأداة (لو) للافتراض، وذكر تنزيل الملائكة لأنها كانت من جملة اقتراحات المشركين على النبي ﷺ في إنزال الآيات لتعجيزه.

قوله (وكلمهم الموتى) العطف بمعنى: ولو كلمهم الموتى، وجها لوجه ليخبروهم بصدق الرسالة، وتعريف الموتى للعموم.

قوله (وحشرنا عليهم كل شيء قبلا) أي: ولو جمعنا كل شيء قبلا قبلا وصنفا صنفا ليشهدوا للنبي ﷺ بلسان الحال أو المقال، والحشر الجمع، وهؤلاء كلهم لو شهدوا بصدق نبوة محمد ﷺ لكانت النتيجة نفي الإيمان بالرسالة المحمدية.

قوله (ما كانوا ليؤمنوا) تأكيد مشدد بنفي إيمانهم بأسلوب نفي مضي الكون ولام الجحود في خبرها، لأن المسالة ليست تبديل معجزة وإنما العناد والتعجيز، ففي معجزة القرآن الكفاية.

قوله (إلا أن يشاء الله) الاستثناء لتبيان أن كفر الكافرين ليس خارج قدرة الله، فلو شاء الله تعالى لاضطرهم إلى الإيمان ولكن مشيئته اقتضت أن يكون الجزاء بقدر العمل، ولولا ذلك لألجأ عباده كلهم إلى الإيمان به وبرسوله.

زد إلى ذلك أن هؤلاء المشركين يؤمنون بالسبب دون مسبب الأسباب، وكأنها مستقلة بنفسها، بينما الإيمان لا يتعلق بإنزال السبب من دون أن يشاء الله ذلك، وهذا دليل على أن المشركين يجهلون مقام ربهم.

قوله (ولكن أكثرهم يجهلون) الاستدراك على معنى إيمان المشركين في (إلا أن يشاء الله)، لإخراج أكثريتهم من الإيمان بسبب جهلهم بمقام الألوهية، وذكر الأكثرية احتراز لحفظ حق أقليتهم العاقلة التي آمنت.

قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾

قوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) الواو للعطف على قوله تعالى (إلا أن يشاء الله)، ولفظ الإشارة بمعنى: كذلك الجعل، أي اقتضت مشيئته النافذة بجعل عدو من شياطين الإنس والجن لكل نبي مثلما نفذت مشيئته في عدم إيمان المشركين، وشبه الجملة (لكل نبي) محله المفعول الثاني لفعل الجعل، ولفظ العدو مفعول أول.

قوله (شياطين الإنس والجن) انتصب (شياطين) على البدل من (عدوا)، وإضافة الجمع إلى الإنس استعارة لخبث بعض الضالين المتشبهين بأفعال الشياطين، والعطف بلفظ الجن لأن من شياطين الجن من هو عدو آخر مجعول للنبي.

قوله (يوشي بعضهم إلى بعض زخرف القول) جملة الوحي موقعها الحال تقييد لجملة الجعل، والوحي كناية عن الوسوسة، ولفظ (بعضهم) يراد به وحي شياطين الجن بالوسوسة إلى شياطين الإنس ووحي بعض شياطين الإنس إلى بعض آخر منهم بإسرار المكر والتسويل لإغرائهم بضلال القول وتزويقه، ولفظ الزخرف استعارة للأباطيل من الكلام تشبيها له بما يلمع من الزخارف لتكون النفس أكثر إقبالا عليه ورضاء به، وإضافة الزخرف إلى القول من باب إضافة الصفة إلى موصوفها.

قوله (غرورا) النصب على الحال، والغرور الإغراء على فعل ما يكون ظاهره النفع وباطنه الضر.

قوله (ولو شاء ربك ما فعلوه) أي: لو اقتضت مشيئة الله لما سمح بذلك، بآلا تؤثر الآيات في المشركين أو بجعل عدو لكل نبي، ولكن الله بنى نظام النشأة على قانون العلية والمجازاة.

وإنما ذكرت المشيئة للاحتراز من أن فعل غرور الشياطين ليس من قبيل استقلال الإرادة عن الله والندية له سبحانه.

قوله (فذرهم وما يفترون) الفاء لتفريع معنى تجاهل المشركين وافتراءاتهم، تطيبها لنفس النبي ﷺ وطمأنة له بأن كل شيء بمشيئته سبحانه، وأنهم غير معجزى الله، فإفسادهم وافتراؤهم بادعاء الشريك لا قيمة له.

قوله تعالى ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾ ﴿١١٣﴾

قوله (ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة) العطف بمعنى: ما مر من مشيئة الله القاضية ألا تمنع وساوس شياطين الإنس والجن وإضلالهم، ولتصغى إليه أفئدة المشركين، وليقترفوا ما شاؤوا فسيكون جزاؤهم بقدر اكتسابهم للمعاصي.

واللام المقترن بفعل الصغو للتعليل، والصغو أو الصغي الميل ويراد به الاتباع، وضمير الهاء في (إليه) راجع إلى الشيطان.

والأفئدة جمع فؤاد وهو ثمرة القلب، وإسناد فعل الصغو إليها مجاز عقلي للمبالغة ويراد بها العقول، وضمير الجمع في اسم الموصول راجع إلى المشركين، وصلته بمعنى نكرانهم للمعاد.

قوله (وليرضوه) عطف وتعليل لتأكيد قبولهم بوساوس الشيطان وإقبالهم على فعلها.

قوله (وليفتروا ما هم مقترفون) العطف على جملة الرضا، واللام للتعليل، والمعنى: وليفعلوا السيئات ما شاؤوا، والاقتراف مبالغة في اكتساب السيئات من الأعمال، وجملة الموصول دالة على تمكنهم في فعل السوء ورسوخهم عليه.

قوله تعالى ﴿ أَفَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْتَغَى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ ﴿١١٤﴾

اتصال النظم فيما سبق في استمرار إثبات التوحيد بإثبات حكم الله تعالى وشريعته، قوله (أفغير الله أبتغي حكما) الفاء للتفريع، والاستفهام غير حقيقي يراد به إنكار ابتغاء حكم غير الله، والابتغاء تعني الطلب بقوة. والحكم والحاكم بمعنى القاضي غير أن الحكم أمدح لأن معناه من يستحق أن يتحاكم إليه فهو لا يقضي إلا بالحق وقد يحكم الحاكم بغير الحق، والتصريح بلفظ الله للتعظيم، والكلام على تقدير (قل) لأنه من تقدير كلام النبي ﷺ ردا على المشركين، وتقدم المفعول للأهمية كون الكلام فيه، وفاعل (أبتغي) راجع إلى الرسول ﷺ.

قوله (وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا) الواو تفيد الحال، وضمير الفصل للقصر، وجملة الموصول بيان لعلة الإنكار، وتعريف الكتاب للعهد الحضوري يراد به القرآن، وإسناد فعل الإنزال إلى كاف جمع المشركين

مجاز عقلي بعلاقة السببية، لأن الكتاب منزل على النبي ﷺ وهو يبلغهم به.

ونصب لفظ التفصيل على الحال، وكونه مفصلاً يعني نفي نقصان البيان عنه فهو فيه التبيين والإيضاح المفصل من غير إخلال بفصاحته وبيانه.

قوله (والذين آتيناهم الكتاب) الواو للعطف على ما تقدم، والجملة مستأنفة للكلام عن أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، والإيتاء الإعطاء على سبيل المجاز العقلي لأن التوراة والإنجيل أنزلتا على موسى وعيسى عليهما السلام وورثها العلماء من بعدهما، فالمراد أحبارهم وقسيسوهم.

قوله (يعلمون أنه منزل من ربك بالحق) جملة فعل العلم محلها الخبر لاسم الموصول، وجملة (أن) محلها النصب لفعل العلم.

والهاء في (أنه) راجع إلى القرآن، وفعل الإنزال مجاز من علو مقام الألوهية، و(من) للابتداء، وإضافة الرب إلى كاف خطاب النبي ﷺ للتشريف والعناية بالنبي ﷺ، والباء في (بالحق) للملابسة، والحق الصدق والثبات، وشبه الجملة موقعها الحال.

وعلم أهل الكتاب بنزول القرآن من الله لأنه مكتوب في كتبهم معلوم مثبت مبشر به.

قوله (فلا تكونن من الممترين) الفاء للتفريع، والنهي المشدد عن الشك
خوطف به النبي ﷺ وأريد به غيره من أمته، والالتفات من الغيبة إلى
الحضور للأهمية.

قوله تعالى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١١٥)

قوله (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا) الواو للعطف على قوله تعالى (أنزل
إليك الكتاب)، وإتمام الكلمة كناية عن قضاء الأمر بالوعد الإلهي أو
بالكناية عن ظهور الدعوة الإسلامية وكلمة التوحيد.

ولفظ الكلمة مجاز مرسل يراد به القرآن كون متضمنا آيات الله وكلماته، أو
كلمة التوحيد، والخطاب في (ربك) عناية من الله بنبيه لأنه الأجدر
بالإخبار.

ونصب لفظ الصدق على الحال، ولفظ العدل على العطف، وتام الكلمة
وصفت بالصدق والعدل كون النبوة خاتمة للنبوات وكون القرآن ناسخا
ومكملا لما تقدمه من كتب سماوية

قوله (لا مبدل لكلماته) أي لا تغيير في قضاء الله وحتمية إنفاذ أمره، ولأنها
لا تتغير فهي توصف بالصدق والعدل، كأن الجملة تعليل لهما.

وقوله (وهو السميع العليم) إخبار مشدد بقرصين: ضمير الفصل وأل تعريف السميع، متضمن معنى التهديد لمنكري القرآن، والوعد للمؤمنين به، والسميع العليم صيغ مبالغة لشدة إدراكه لما يسمع من المسموعات، ولشدة علمه بدقائق الأمور وخفاياها.

قوله تعالى ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ (١١٦)

قوله (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) الواو للعطف على قوله (وهو السميع العليم)، والخطاب للنبي ﷺ، والمراد بفعل الطاعة ما يستلزم منه وهو الانقياد، وخص الأكثرية بالذكر لنفي أن يكونوا مقياسا لصحة الدعوى، لأنها في الغالب مذبذومة ولاسيما في مسألة التوحيد والاعتقاد، واستعمال اسم الموصول وصلته في قوله (من في الأرض) كناية عن الناس لما فيه من تشبيهه ضمني لهم بتساوي حال من لا يفيد من عقله بحال البهائم.

والإضلال إضاعة سبيل الصواب بالوصول الآمن إلى هداية الله وتوحيده، وإلى هذا المعنى قوله الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة: إن دين الله لا يعرف بالرجال، بل بآية الحق، فاعرف الحق تعرف أهله. انتهى.

وفيه ذم للكثرة إذ هي ليست مقياسا للصحة، لذلك في الآية نهى ضمني عن اتباعهم لأن أكثر أهل الأرض يركنون إلى الظن والتخمين في تفسير

الظواهر، ولا تجوز طاعتهم فيما يدعون إليه ويأمرون به في سبيل الله وطريق عبوديته، لأن الظن ليس مما يكشف به الحق الذي يستراح إليه في أمر الربوبية والعبودية لملازمته الجهل بالواقع وعدم الاطمئنان إليه ولا عبودية مع الجهل بالرب وما يريده من عبده.

قوله (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون) قطع الكلام لأنه تعليل للنهي عن أتباع الأكثرية الضالة، لأنها تركز إلى الظن والتخمين في تفسير الظواهر، وكلاهما مما لا يصح في الوصول إلى المعرفة التوحيدية، فهما من مظاهر الجهل والادعاء من دون دليل، وإيراد الجملتين بأسلوب القصر لثبات المعنى وتحققه، والتغاير بين الجملتين للتدرج في تشديده، فجعل الفعل لاتباع الظن لاستمرارية فعلهم، وجعل الإخبار بالإسمية لثبوت تخرصم وكذبهم.

قوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْثِدِينَ﴾

قوله (إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله) الفصل والاستئناف لتعليل قوله (وإن تطع أكثر من في الأرض)، وتكرار الخطاب (ربك) مرة بعد مرة لشدة عناية الله بخطاب نبيه ﷺ ولجدارته بهذا التشريف وتعزيزا لصدق نبوته، وضمير الفصل ضمير الشأن للقصر، واسم التفضيل (أعلم) بمعنى مطلق العلم وليس معناه المفاضلة، وهو يتعدى بالباء وقد حذف

للإيجاز والتقدير: أعلم بمن، والضلال نقيض الهداية ويراد به الإضاعة والتهيه بدليل تعديته بحرف التجاوز(عن)، والهاء في لفظ السبيل بمعنى: سبيل الله وهو سبيل توحيده لأنها الموصولة إلى رضاه سبحانه، ولا يخلو الإخبار من دلالة التهديد والوعيد.

قوله (وهو أعلم بالمهتدين) من التقابل في المعنى وفيه تطييب لقلب النبي ﷺ وبعث الأمن في نفسه، إذ لما يكون الضالون والمهتدون بعلم الله وأن الله حافظ لرسوله ولرسالته ووعد بالظفر فإن في ذلك راحة لنفس نبيه وتسرية عن همه حتى لو كان الضالون كثرا والمهتدون قلا.

قوله تعالى ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ



لما ذكر في أول الآيات ذكر لحكم الله وأحقية اتباعه، فإن مما ينبغي عليه مراعاة اسم الله فيما يؤكل تزكية للأكل وحلية للمأكل.

قوله (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) الفاء للتفريع على قوله (أعلم بالمهتدين) تخليصا من محاجة المشركين إلى ذكر بعض ما شرع للمهتدين، والأمر بالأكل للإباحة مما ذكر اسم الله عليه، متضمن معنى النهي عن الأكل مما لم يذكر اسمه تعالى عليه، بمعنى: فرقوا بين المذكي والميتة، فكلوا من هذا ولا تأكلوا من تلك، وإن كان المشركون يجادلونكم في أمر التفريق،

والإضرار في (ما) عائد إلى البهيمة المفهوم معناها من دلالة الأكل والتسمية.

قوله (إن كنتم بآياته مؤمنين) التعليق بالإيمان لتهييج أنفس المؤمنين عليه، وتقديم المعمول للأهمية، والأصل: إن كنتم مؤمنين بآياته.

قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرَرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴾

قوله (وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه) الخطاب للمسلمين على سبيل الاحتجاج والتعجيب بدلالة الاستفهام المستفاد من أداته (ما)، والكلام مضمونه التشديد على ذكر اسم الله عند تذكية الأنعام.

وقوله (وقد فصل لكم ما حرم عليكم) الواو بمعنى الحال، والتفصيل التوضيح والتبيين لحرمة المأكولات، واللام للتأكيد في (لكم)، والذي حرمه الله جملة من الممنوعات ذكرت من قبل بدلالة مضي فعل التفصيل فيما نزل من آيات سابقات في كتابه الكريم قبل سورة الأنعام كسورة النحل.

قوله (إلا ما اضطررتم إليه) الاستثناء لإخراج أكل الميتة في حالات المسغبة الشديدة المؤدية إلى الهلاك من جملة محرمات الأكل. والاضطرار القهر والإلجاء، والهاء في (إليه) راجع إلى الأكل.

قوله (وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم) الواو للعطف على صدر الآية، والكلام إخبار مؤكد بحرف النسخ واللام الواقعة في خبرها، والمراد بهم رؤوس الضلالة وأتباعهم من المشركين، والباء في (بأهوائهم) للسبب والأهواء الميول القلبية والرغبات غير المستندة إلى دليل، والباء في (بغير علم) للملابسة، تأكيد لجهل الضالين.

قوله (إن ربك هو أعلم بالمعتدين) الفصل للاستئناف بالرجوع بالكلام إلى خطاب النبي ﷺ لجدارته بإنباء الله له بمعاينة المشركين، وسماهم معتدين لتجاوزهم حدود الله التي شرع بها حلاله وحرامه.

قوله تعالى ﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ ﴾

قوله (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) الخطاب للمؤمنين، أي: واتركوا الآثام بأي شكل كانت، وظاهر الإثم كناية عن المعاصي الظاهرة التي ترتكب بالجوارح مما هو محس كالسرقة والغيبة والقتل والاعتداء، وباطن الإثم كناية عن المعاصي التي موطنها السرائر كالنفاق والغيب والحسد والحقد والشك بالله، ويرى العلامة الطباطبائي ومضيا مع سياق الآية: أن المراد بظاهر الإثم المعصية التي لا ستر على شؤم عاقبته ولا خفاء في شناعة نتيجته كالشرك والفساد في الأرض والظلم، وبباطن الإثم ما لا يعرف منه ذلك في بادئ الأمر كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير. انتهى.

قوله (إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقتطفون) أي: الذين يعملون المعاصي التي فيها الآثام سينالون جزاءهم المستحق، والاعتراض على الاكتساب على نحو التكلف والمشقة في استحصال المنفعة، ويدل على المعصية، لأن فيها عمل فيه ذلك المعنى، فكل ممنوع مرغوب تنتشوق إليه النفس ولو كلفها ذلك كثيرا من الجهد والعناء، والكلام تعليل للنهي عن أكل ما لم يذك ذلك فصلت، أو تعليل لترك الإثم.

قوله تعالى ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُؤْخَذَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ ﴿١٦١﴾

قوله (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه) الواو للعطف على قوله (وذروا)، والكلام خوطب به المؤمنون للنهي عن أكل ما لم يذك من البهائم.

وقد كان الجاهليون يضحون لأصنامهم أضحى، فمجيء النهي عن أكلها، لأن في أكلها ترغيبا لأعمال الشرك.

قوله (وإنه لفسق) العطف والإخبار للتشديد على أن إتيان ذلك العمل خروج عن سنة الله وشريعته، وبالإشارة إلى ما سبق يبدو أنه من باطن الإثم.

وقوله (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) الواو للعطف على (وإنه لفسق)، واللام في (ليوحون) للتأكيد واقعة في خبر (إن)، والوحي استعارة للشبهة التي ألقاها الشياطين إلى المشركين حول أكل الميتة بطريق الوسوسة لهم، والمشركون أولياء الشياطين باعتبار اتباعهم وانقيادهم.

قوله (ليجادلوكم) اللام لتعليل جملة الإيحاء. والمجادلة المغالبة في الكلام، والخطاب للمؤمنين، أي: يتكلمون معكم على سبيل إدخال الشبهة في مثل أكل الميتة لا على نحو طلب الفهم، فقد روي في مناسبة نزول الآية أن المشركين خاصموا النبي ﷺ والمؤمنين في أمر الميتة قائلين: تأكلون مما قتلتم أنتم ولا تأكلون مما قتله الله؟

قوله (وإن أطعموهم إنكم لمشركون) أي: إذا أطعموهم في أكل الميتة تدخلون في ولاية المشركين وسنتهم.

والمراد تخويف المسلمين وتهديدهم من الخروج من الإيمان، ووقوع هذه الجملة في ذيل النهي عن أكل ما لم يذكر اسم الله عليه دون سابقتها يدل على أن المشركين أرادوا من المؤمنين بجدالهم أن لا يتركوا أكل الميتة لا أن يتركوا أكل المذكى.

قوله تعالى ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾

قوله (أو من كان ميتاً فأحييناه) همزة الاستفهام لنفي المشابهة، و(من) اسم موصول. وقوله ميتاً استعارة تصريحية عن المشرك والضال أو كل من يعبد غير الله، ولكن الأولى الأرجح لتساوقها مع السياق، والميت الفاقدة للروح غير المتصرف ببدنه، والفاء للتفريع، وفعل الإحياء استعارة تصريحية، كأنه شبه الإيمان بالحياة، وأجزاء الصورة كلها تكوين لطرف المشبه.

قوله (وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس) الواو عطف لأنه تفريع آخر، ولفظ النور استعارة للمبصر المهتدي شبه به الأعمال الصالحة، وجملة فعل المشي موقعها الحال، زيادة في تفصيل المعنى، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف الناس للعموم.

قوله (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) الكاف للتشبيه، و(من) اسم موصول يفيد العموم، والمثل الشبه، والظلمات استعارة للشرك أو الكفر بجامع التخطي وعدم اهتداء الطريق.

وجملة النفي المؤكدة (ليس بخارج منها) موقعها الحال تأكيد لبقائه في الضلال، وأجزاء الصورة تكوين لطرف المشبه به، ووجه الشبه هيئة

مفهومة من أجزاء الطرفين بمعنى: حال المهتدي الذي يعرف نهاية طريقه ووصول غرضه ليس كحال المشترك الضال الذي يتخبط في مشيه لا يعرف نهاية لما يسير فيه إذ لا هدف له، والمشهد كله من باب التشبيه المركب أو الاستعارة التمثيلية.

وفي هذا التصوير من الدلالات الخفية لمعنى الإيمان والنور أو الضلال والكفر أبعد من ظاهره في المشابهة والتمثيل.

قوله (كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) الكاف ولفظ الإشارة بمعنى: كالحال السابقة لصورة المتخبطين، وفعل التزيين استعارة للعمل القبيح، والمعنى: إغواء الكافرين بالاستمرار في عمل المعصية مجازاة لهم.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ ﴿١٢٣﴾

قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) العطف والتشبيه واسم الإشارة بمعنى: كحالة تزيين أعمال الكافرين جعلنا الآية، وفعل الجعل هنا على سبيل الجزاء لما عملوا وليس من الجعل التكويني، وتطلق القرية ويراد بها حاضرة المدينة لأن بها يكون الطغاة عادة، والأكابر جمع أكبر وهم رؤوس الضلالة، وخصوا بالذكر لأنه أراد عود مكرهم عليهم، إذ هو يصدر منهم عادة، أما الأصاغر فهم أتباع وأذئاب لهم، والمجرمون الآثمون.

قوله (ليمكروا فيها) اللام للتعليل، والمكر الحيلة والخداع، والهاء في (فيها) عائد إلى القرية.

قوله (وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون) القصر بالنفي والاستثناء لتحقق المعنى بأن نهاية مكرهم لن يكون في صالحهم، إذ ترك الله لهم يمددهم بأسباب المكر ولا ينزجرون رغم ما بعث لهم من آيات هو مكر بهم لا لهم ولا يشعرون به.

قوله تعالى ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾

قوله (وإذا جاءتهم آية) العطف لاتصال الكلام، والضمير (هم) عائد إلى الأكابر، والمجيء ليس للآية على وجه الحقيقة بل للنبي يأتيهم بها، فالمجاز عقلي يراد به المبالغة في المعنى، وتنكير لفظ الآية للتعظيم.

قوله (قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) الواو في فعل القول عائد إلى الأكابر، والنفي التأييدي لشدة مكابرتهم وعنادهم على الكفر واعتداد أنفسهم، والضمير في (ما) عائد إلى الآية وهي المعجزة. وحكاية القول عن المجرمين لبيان اعتداد نفوسهم واستكبارها على سبيل عموم أكابر الأمم مع رسلهم، للإشارة إلى أكابر مكة ومجرميها ليسوا ببدع من المستكبرين الماضين في الأمم البائدة.

(الله أعلم حيث يجعل رسالته) الابتداء لتعليل اصطفاء الرسل، والإخبار
يراد به نفي مقالهم وإنكاره، لأن رسالته لا يسعها هؤلاء، إذ لا قابلية ولا
إمكان، لأن تحمل رسالة الله تحتاج استعدادا وإمكانا من العبد مع ربه في
القرب والحب والبراءة والتدبر وإعمال العقل غير اعتياديين لذلك الله
يصطفي من عبادهم رسله وأنبياءه، وهذا الاقتراح منهم يظهر حجم جهلهم
بمقام ربهم، والابتداء بلفظ الجلالة للتعظيم، والحرف المكاني (حيث)
للمجاز، وفعل الجعل بمعنى الإيجاد، والرسالة التبليغ بالوحدانية.

قوله (سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله) السين المقترن بفعل الإصابة
دال على أن العقاب مستقبلي، وفي معناه دلالة القصد أي: يصيبهم فلا
يخطئهم، والإتيان باسم الموصول وصلته لتعليل العقاب، والصغار الذل
والهوان الذي سيصيب المستكبرين دون غيرهم، وتقريده بالعندية بمعنى
ضعة منزلتهم وهوانهم عليه سبحانه، وقد يكون ذلك عقابا لهم في النشأة
الدنيا.

قوله (وعذاب شديد) العطف لأنه من جملة الإصابة، وهو من عقوبة
الآخرة، ووصف العذاب بالشدة لعظمه وقوة آلامه.

قوله (بما كانوا يمكرون) الباء تفيد السبب للإشارة إلى استحقاقهم ذلك
العذاب، و(ما) اسم موصول، وفي الكلام إشارة إلى تأكيد مكرهم في الآية
السابقة.

قوله تعالى ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٢٥﴾

الآية في تبيان مشيئة الله في هداية الناس أو إضلالهم التي قضت أن يكون ذلك بحسب استعدادهم، لذلك الآية تحاذي قوله السابق (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها).

قوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام) الفاء أقرب للتفريع لأن الكلام يحاذي قوله تعالى (أو من كان ميتا) ومتفرع عليه في تفصيل معنى الهداية والإضلال، واستعمال الشرط لتبيانهما، واسم الشرط متضمن معنى العموم، وفعل الإرادة بمعنى الرغبة الشديدة مستعمل مجازا لفعل الله لأن فعله سبحانه عين إرادته، وشرح الصدر كناية عن انبساطه وتقبله للإسلام، وذكر الصدر مجاز عن القلب لأن لغة العرب تستعمل القلب لمطلق الإدراكات الإنسانية، والإسلام التسليم وهو دين التوحيد، ومراد الكلام: أن الله تعالى إذا إرادته بهداية العبد إلى دين الإسلام يلطف به في هديه لتقبله تقبلا اختياريا لا على نحو القهر والجبر.

قوله (ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا) الكلام يقابل الذي سبقه، ونسبة الإضلال إلى الله ليست نسبة ابتداء لأن ذلك لا يصح مع

عجالاته سبحانه بل يكون بتخلية العبد لنفسه ورفع أطفاه تعالى عنه، وكذلك إسناد فعل الجعل إليه تعالى ليس على نحو الجعل الابتدائي بل للمجازاة والاستحقاق.

ومعنى الصدر الضيق الحرج القلب المنقبض الضيق الذي لا يقبل انسراب أثر الإيمان اليه، والجعل هنا استعمل للضرورة، وانتصب لفظ الضيق على الحال، ووصف بالحرج لبيان شدة انقباضه، والحرج أضيق الضيق زيادة في صفة القلب المنغلق.

قوله (كأنما يصعد في السماء) أي: مثل من ينطلق مندفعاً إلى السماء بشدة، ففعل مقاومة الضغط عليه يشعر الإنسان كأن قلبه يريد أن ينخلع من مكانه لشدة الثقل عليه، والأداة (كأن) للتشبيه، و(ما) زائدة للتأكيد، و(يصعد) أصله يتصعد، مبالغة في معنى الصعود المندفع السريع الذي لا يصوره الفعل المجرد للفظ الصعود، و(في) للظرفية المجازية، وتعريف السماء للعهد ويراد بها ما عرف من علو.

والتشبيه زيادة في تصوير شدة الضيق للقلوب الكافرة التي لا تتأثر بتقبل الهداية والإيمان بالله.

قوله (كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون) أي: على ذلك الجعل للقلوب الحرجة للكافرين يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون.

ولفظ الرجس استعارة للكفر، تشبيهاً له بالدرن والقاذورات، ليكون سمة بارزة مستعلية عليهم لتمييزهم يوم القيامة.

قوله تعالى ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يَذْكُرُونَ ﴾ ﴿١٢٦﴾

قوله (وهذا صراط ربك مستقيماً) العطف لإتمام فائدة الكلام عن صفة
المؤمنين بعد ذكر الكافرين.

واسم الإشارة يفيد القرب والتنويه، والمقصود أن الصراط معرف مشاهد
للرائين غير منكر، ولفظ الصراط طريق مخصوص يشار به إلى دين
الإسلام الذي تشرف بهذه النسبة إلى الرب، والخطاب في ضمير الكاف
عائد إلى النبي ﷺ، ونصب لفظ المستقيم على الحال تقييد للموصوف
الإسلام، كونه ينتهي بسالكة إلى الغرض المقصود من الأمن والسلامة
بأقصر وقت وأمنه.

قوله (قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون) الفصل لأنه تقرير لما تقدم، و(قد)
حرف تحقيق لأهمية الإخبار، وتفصيل الآيات تبيان الحجج وإظهارها لمن
ينتفع بها من القوم الذين يوصفون بكثرة التذكر وحضور الله وآياته دائماً
في قلوبهم، وتكرار تفصيل الآيات مرة بعد مرة لتبيان الفئات التي تنتفع
منها، فهم مرة يفقهون ومرة يؤمنون ومرة يذكرون.

قوله تعالى ﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾

قوله (لهم دار السلام عند ربهم) اللام في (لهم) للاستحقاق، وضمير جمع الغائبين راجع إلى الذين يذكرون من المؤمنين، ودار السلام كناية عن الاستقرار في الجنة، ووصفت بالسلام لأن فيها الأمن والأمان بعكس دار الدنيا المليئة بالآفات والأمراض والنهاية والفناء، وقيد الدار بكونها (عند ربهم) تأكيداً لمنزلتهم عند ربهم، فالعندية تفيد القرب الاعتباري لا المكاني، وإضافة الرب إليهم زيادة في الاطمئنان.

قوله (وهو وليهم) الواو للعطف لإتمام منته تعالى بتكفله بجميع شؤونهم، أي: وهو ناصرهم ومحبههم ومالكهم. والجملة زيادة طمأنة لهم.

قوله (بما كانوا يعملون) الباء تفيد السبب والجزاء، أي: هذه الدار الموصوفة جزاء أعمالهم الصالحة في عالم الدنيا.

قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَلْمَعُشَرُ الْجِنَّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾

جهة اتصال الآيات بما قبلها من ولاية الظالمين بعضهم بعضاً كتولية الشياطين للكافرين، وفيها تهديد ووعيد.

قوله (ويوم يحشرهم جميعا) العطف لإتمام ذكر الجزاء على الكفر بعد ذكر الجزاء على الإيمان في قوله تعالى (لهم دار السلام).

ولفظ اليوم يراد به يوم القيامة، لأن به يكون البعث والحشر، وهو الجمع على نحو القهر والإزعاج، وفاعل الحشر محوف لمعلوماته ولتعظيمه وهو الله تعالى.

ولفظ (جميعا) منصوب على الحال، تأكيد لقدرة الله في الجمع من دون نسيان أحد رغم الكثرة التي توصف بالجراد المنتشر.

قوله (يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس) النداء يوم القيامة يحتمل أن يكون منه تعالى إلى الجن وأريد بهم الشياطين لأنهم منهم، وخصوا بالنداء كونهم المسؤولين عن الإغواء والمتبوعين المستعلين على أتباعهم بالتولية، وهو نداء توبيخ وملامة لشدة ولاية الجن بإغواء الإنس.

والمعشر اسم جمع يفيد معنى الطائفة أو الجماعة التي تجمعهم صفة أو اعتقاد، وتعريف الجن للعهد يراد بهم الشياطين، وتفيد (قد) التحقيق والتأكيد للمعنى، وفعل الاستكثار بمعنى الإتيان بكثرة والمعنى: بالغتم في إغواء الناس وإضلالهم.

قوله (وقال أولياؤهم من الإنس) أي: وقال أتباع الشياطين ممن والاهم من الضالين والمشركين من الإنس، و(من) للتبيين. والإنس جمع إنسان سمي بذلك لأنسه بالاجتماع الإنساني.

قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض) جملة تفسير للاستكثار، أي: إن التابع والمتبوع ملتذ ببعض: فالإنس ملتذ بوسوسة الشياطين وتحصيل المنافع الدنيوية المنحطة، والجن ملتذ بلذة الإغواء وولايتهم على الإنس، والمقصود بالولاية الانقياد والاتباع من جهة القبول الاختياري من الإنسان، لا الجبر القهري من جهة الشياطين، إذ ولايتهم ولاية إغواء، ويحتمل أرادوا بعذرهم هذا التبرؤ من استخفافهم بأمر ربهم وأن ما كان منهم من عصيان نتيجة استمتاع بعضهم ببعض وتبادل المصالح.

قوله (وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا) الواو للعطف على ما قبلها لاتصال الكلام، أي: ووصلنا إلى نهاية مدة بقائنا في الدنيا فصرنا في قبضتك يا رب، والبلوغ الوصول، الأجل المدة المضروبة لنهاية الحياة، والتأجيل التأخير، وفي قولهم اعتراف صريح بضلالهم، واستسلام له تعالى وتحسر على ما عملوا.

قوله (قال النار مثواكم) الفصل للمحاور، وتعريف النار للعهد الحضوري أي النار التي عرفوها، والمثوى الإقامة والمكث.

قوله (خالدين فيها) حال مقيد لهم بدوام بقائهم ومستقرهم في النار.

قوله (إلا ما شاء الله) الاستثناء لبيان كمال قدرته تعالى في الإشاعة بالإخراج أو بغيرها، للإشارة بأن ذلك الأمر من مختصاته تعالى.

قوله (إن ربك حكيم عليم) الخطاب للنبي ﷺ، وفي الإخبار بالجملة الإسمية تعليل لبيان الآية، والانتقال بالكلام من خطاب الجن والإنس إلى

خطاب النبي ﷺ التفات مراعاة وعناية ليختص نبيه بهذه الحقيقة دونهم
فهم غير لائقين بتلقيها.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا

يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

قوله (وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا) الواو واسم الإشارة لاتصال
الكلام، أي: على الحال السابق من تولية الإنس للجن نولي بعض الظالمين
بعضا، بمعنى تسليط بعضهم على بعض، من باب الفتنة والمجازاة لا من
باب نفي العامل الاختياري الذي يبطل معه مبدأ الثواب والعقاب، والتولية
الاتباع، والظالمون المشركون أو يراد بهم مطلق الظلم.

قوله (بما كانوا يكسبون) أي: ذلك التسليط جزاء بما ظلموا وأشركوا، وفي
ذلك إشارة إلى عدالة الله في كون الجزاء بقدر العمل.

قوله تعالى ﴿ يَمَعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا

شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْتُهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ

أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

قوله (يا معشر الجن والإنس) كان النداء الأول في الآية السابقة مخصوصا للجن كونهم المتسلطين على أتباعهم، وفي هذا النداء جمع للأتباع والمتبوعين لتقريعهم.

قوله (ألم يأتكم رسل منكم) الاستفهام يراد به التقرير والتوبيخ، بأنهم لم ينتفعوا من إرسال الرسل إليهم وتجنيب أنفسهم عقاب النار، ولفظ الرسل جمع رسول وهو المبلغ عن الله رسالته إلى بني قومه، و(من) في (منكم) بمعنى: من جنسكم تعرفونهم ويعرفونكم ليكون ذلك أدعى إلى قبول الدعوة من شخص أجنبي عليهم.

قوله (يقصون عليكم آياتي) فعل القص بمعنى الإخبار بالقراءة والتلاوة لآيات الله وحججه وبراهينه الدالة على توحيده، وهو من أغراض الرسل، وهو جلبهم إلى طريق الهداية على سبيل البشارة لتضمنها معنى ذلك، ولتقابل ما بعدها في المعنى. وإسناد الآيات إلى ياء الجلالة للتعظيم.

قوله (وينذرونكم لقاء يومكم هذا) العطف لأن إنذار الناس غرض آخر للرسول، وهو التخويف من عاقبة ما يكره لقاءه، واللقاء المشاهدة والعيان، ولفظ اليوم يراد به يوم القيامة وإضافته إلى ضمير أنفسهم لأنهم أُنذروا به من قبل، واسم الإشارة لتحويله وتمييزه.

قوله (قالوا شهدنا على أنفسنا) إجابة المشركين لربهم بالشهادة إقرار منهم على أنفسهم بسوء اختيارهم في الدنيا للكفر والطغيان.

قوله (وغرتهم الحياة الدنيا) أي: تزينت لهم الحياة الدنيا بظاهرها حتى اغتروا بها وانخدعوا بها، فظنوا أنهم باقون دائمون فيها لا يعاقبون على أعمالهم، وفي الكلام عدول من الخطاب إلى الغيبة بالإخبار عنهم تهويلا لعاقبتهم الحتمية في أنهم أصبحوا خبرا من الأخبار المنقضية.

قوله (وشهدوا على أنفسهم إنهم كانوا كافرين) شهادة ثانية منهم على أنفسهم ظهورا للحجة عليهم، على أنهم مستحقون للعقاب أصلا.

قوله تعالى ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ (١٣٦)

قوله (ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم) الكلام تعليل لإهلاك القرى بأنه لا يكون إلا بعد إنذار أهلها بالانزجار والارتداع عن فعل المعاصي، مع أن ما يصدر منهم من ظلم يوجب أخذهم عليه من دون إنذارهم ومباغتتهم بالعذاب، ولكن ذلك يكون منه تعالى على وجه الاستظهار في الحجة دون أن يكون واجبا.

واسم الإشارة بمعنى: ذلك الجزاء والعقاب، و(أن) بمعنى: لأن. والخطاب للرسول ﷺ، وإهلاك القرى مبالغة في إفنائها وإفناء أهلها، ويكون بإحلال العذاب فيهم، والباء في (بظلم) للسبب، والظلم نقص الحق ويراد به شركهم.

قوله (وأهلها غافلون) الواو للحال، أي: وأهلها غير عالمين بالإنذار والإفناء.

قوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾

قوله (ولكل درجات مما عملوا) العطف ولفظ العموم إدماج أي: ولكل من المؤمنين والكافرين درجات مما عملوا.

ولفظ الدرجات استعارة بالكناية للأعمال: أي شبه أعمالهم بمراقي السلم بجامع الصعود والانحطاط، والمعنى: أنهم يتفاضلون في مراتب أعمالهم بحسب استحقاقهم شرا أو خيرا، وإنما يعبر عن تفاضل أهل الجنة بالدرج وعن تفاضل أهل النار بالدرك، إلا أنه لما جمع بينهم عبر عن تفاضلهم بالدرج تغليباً لصفة أهل الجنة، قاله الطبرسي في المجمع. أه.

و(مما) مكونة من حرف الجر (من) ويفيد السبب، و(ما) مصدرية بمعنى: بسبب عملهم.

قوله (وما ربك بغافل عما يعملون) الإخبار من الله تسلياً للنبي ﷺ ووعد له بالنصر على المشركين، فالنفي المؤكد لغفلة الله عن أعمال المشركين وعيد لهم بأن أعمالهم محفوظة وسيجزون عليها بما يستحقون لأن الله غير ساه عنها، وفيه ضمن الإخبار وعد للمؤمنين بأن أعمالهم الطيبة سيكافؤون عليها، وإيراد النفي بالجملة الإسمية المؤكدة لثبوت ذلك المعنى.

قوله تعالى ﴿ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴾ (١٢٢)

قوله (وربك الغني ذو الرحمة) الخطاب للنبي ﷺ، وصفة الغني تعني استغناؤه عن ظلم العباد، لأن من يظلم يبتغي استجلاب نفع أو دفع ضرر، والله تعالى كامل قادر مستغن عن ذلك.

فالظلم يلحق بالعباد بسبب سوء اختيارهم، فهو جزاء على عمل اختاروه، بمعنى أن أفعال الإنسان في عالم الدنيا من خير أو شر إنما كانت باختياره اختيارا غير خارج عن مشيئة الله، ولكنها قضت أن يهتدي الإنسان أو يضل بحسب استعداده وتقبله للإيمان أو الكفر، لأن ذلك مبني عليه تحقيق عدالة الله في ايجاب الثواب والعقاب، والعدالة لا تتحقق في الإجبار وسلب الاختيار.

وقوله (ذو الرحمة) إخبار ثان أو صفة، والرحمة رقة قلبية تطلق عليه تعالى مجازا في رضاه وقبوله لأعمال العباد ورأفته بهم في تجاوز معاصيهم، وتعريفها للتعظيم. و(ذو) دلالتها ملازمة الرحمة له سبحانه، والكلام تمهيد لما بعده من تهديد.

قوله (إن يشأ يذهبكم) أي: إن شاءت مشيئته إفناؤكم لأفناكم غير معجزين له تعالى، والخطاب لما سبق ذكره من الإنس والجن. والإذهاب الإهلاك والإفناء.

قوله (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) جزم فعل الاستخلاف لأنه معطوف على (يذهبكم)، والاستخلاف التعقيب بالخلافة لمن رحل ومات، والمعنى: يهلككم ثم يعقب بخلق غيركم مثلما خلقكم من قوم تقدموكم زماناً، و(من) زائدة لتقوية الظرف. واستعمال (ما) دون (من) في قوله (ما يشاء) يراد به الإبهام في تصور سعة قدرة الله تعالى.

قوله (كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين) الكاف للتشبيه، وفي المشبه به شاهد على غنى الله عن آبائهم الذين سبقوهم، ولفظ الإنشاء دال على الابتداء والايجاد لا على مثال يحتذى، كما يقال أنشأ قصيدة أي: أوجدها منه خالصة لم يأخذها من غيره، و(من) للابتداء، والذرية النسل من الأولاد، ووصف القوم بآخرين بمعنى الإخراج من آباء لا يشبهون ذراريهم في اللغة والعادات لتباعد الأزمان بينهم، والكلام إشارة إلى كمال قدرته تعالى في غناه.

قوله تعالى ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ ﴿١٣٤﴾

قوله (إن ما توعدون لآت) استئناف ابتدائي مؤكد بأكثر من أداة، لتأكيد التهديد والوعيد بحتمية ما سيأتيهم من عقاب في كل ما سبق ذكره من

ثواب وعقاب وتفاوت أهل الجنة في الدرجات وتفاوت أهل النار في الدرجات لآت لا محالة، والخطاب عام يدخل في ضمنه التهديد لمشركي مكة.

قوله (وما أنتم بمعجزين) إخبار معطوف مؤكد مشدد متضمن معنى الوعيد والتهديد بعدم قدرة الكافرين على منع مجازاتهم بالإهلاك الدنيوي والعذاب الأخروي.

قوله تعالى ﴿ قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾

قوله (قل يا قوم اعملوا على مكانتكم) التلقين من الله تعالى عناية بنبيه وإعلام بتأييده. والنداء بالقوم مشار به أهل مكة لأنهم مواطنوه فيها، وفعل الأمر مجاز يراد به التهديد والوعيد، والمعنى: اعملوا كما تحبون على طريقتهم وهيأتكم التي أنتم عليها.

قوله (إني عامل) قول النبي ﷺ لقومه من باب أخذ النصفة في الكلام: أي وأنا عامل كذلك في شأني بما أمرني ربي من إنذاركم، والكلام من الأدب النبوي العالي في خطاب أقوامهم نحو ما حكاه الله تعالى عن شعيب (ويا قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه) [هود: ٩٣].

قوله (فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار) الفاء للتفريع على الإخبار، وأداة المستقبل (سوف) إحالة لانتظار ما سيأتي به الله، وإنما أبهم النبي ﷺ ولم يصرح بعاقبة الدار خيرا أو شرا ليكون أبعد للنفس في تصور تهديده، والدار كناية عن مستقر الإنسان وهي الجنة في الآخرة، وإذا أريد بها الدنيا فتعني النصر عليهم.

قوله (إنه لا يفلح الظالمون) الفصل والإخبار تعليل لعاقبة الدار، أي: لا يظفر الظالمون بمطلوبهم، والمراد المشركون أو الكافرون، فهم من سماهم القرآن بذلك، والهاء في (إنه) ضمير الشأن للتأكيد، ونفي الفلاح نفي الظفر والنصر.

قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾

قوله (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الواو للعطف على ما سبق أي: وجعل المشركون لله، وفعل الجعل هنا بمعنى الاختلاق والصرف، و(من) في (مما) للتبعية، واسم الموصول وصلته لبيان فساد ما ادعوا ملكا لله لأنهم ملكوا من هو مالك في الأصل.

والفعل (ذراً) بمعنى: الخلق والإنماء، و(من) الثانية للتبيين، والحرث الزرع، والأنعام تقال للماشية من الإبل والبقر والمعز والضأن، وتقدم (لله) للأهمية، ولفظ النصيب الحظ والفرص.

ومراد الكلام: أن المشركين قسموا حظاً من الزرع وبعض الأنعام وزعموها قسمة لله وقسمة لأصنامهم.

قوله (فقالوا هذا لله بزعمهم) الفاء للتفريع، والقول حكاية عن المشركين بلسان حالهم في تقسيم الحظوظ، ولفظ الإشارة للنصيب، واللام في (لله) للملك، والباء في (بزعمهم) للسبب، والزعم الادعاء من دون دليل، وإيراد الظرف ليس من قولهم، وإنما جيء لتنزيه الله تعالى.

قوله (وهذا لشركائنا) أي: قسموا بعض صفات الأنعام هذا لله وهذا للأصنام وكنوا عنها بالشركاء، ونسبوها إلى أنفسهم لأنهم هم الذين أثبتوها واعتقدوا بها، وقيل: لأنهم خصوا جزءاً من أموالهم لها ليتخذوها شركاء لأنفسهم.

قوله (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم) الفاء التفرعية لبيان قبح استهزائهم بالله، فمع بطلان الأصل من أساسه في اتخاذ الشركاء، غلبوا شركاءهم فيما قدموا على الله جهلاً واستخفافاً، فكانوا يأخذون مما جعلوا لله إلى أنفسهم بحجة غناء الله عنه، وبين الجملتين تقابل بديعي لافت.

قوله (ساء ما يحكمون) جملة ذم من الله لهم، بمعنى: ساء الحكم حكمهم، ولا يخلو الكلام من تهكم لجهلهم.

قوله تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ
أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ
شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرَّهُمْ وَمَا يُفْتَرُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾

قوله (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم) أي: ومثل الخصال
الذميمة للمشركين فيما جعلوا من الأنعام نصيبا لله زين لكثير منهم قتل
أولادهم.

والتزيين استعارة لوسوسة الشيطان لهم بواد بناتهم خوف الفقر أو العار،
واللام في (لكثير) للغاية، (من) للتبيين، وقتل الأولاد كان من أدم خصال
المشركين فقد قتلوهم خشية الفقر وخشية العار.

قوله (ليردوهم) اللام للتعليل أي: ليهلكوهم، لأنهم منقادون إلى الشياطين
يسمعون غوايتهم.

قوله (وليلبسوا عليهم دينهم) العطف تعليل ثان، أي: وليدخلوا الشبهة على
دينهم الشركي، ويخلطوا الحق بالباطل بأن ذلك القتل مما يقرب إلى الله،
واللبس الخلط.

قوله (ولو شاء الله ما فعلوه) أي في قدرة الله منعهم من هذا الفعل، ولكن
ذلك لن يكون لأنه يخالف مشيئة الله في التكليف بتحمل اختياراتهم في عالم
الدنيا.

قوله (فذرهم وما يفترون) الفاء للتفريع، والأمر للنبي ﷺ عدول من حديث الغيبة عن المشركين إلى خطاب الحضور لغرض زجرهم وتهديدهم، والمعنى: تجاهلهم أيها النبي ﷺ واتركهم وافتراءاتهم، فسيجزون عليها في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرْتُ حَجْرًا لَا يَطْعُمَهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمُ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمُ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾

قوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) العطف لاستمرا الكلام عن العقائد الفاسدة للمشركين، فذكرت الآية ما حرّموا وأحلّوا ثلاثة أصناف من الأنعام، وواو الجمع في فعل القول راجع إلى مشركي مكة، وقولهم زعم زائف، واسم الإشارة للتمييز، والتكرير للفظ الأنعام يراد به النوعية من الأنعام التي أطلقوا عليها تسميات محددة كالبحيرة والوصيلة والسائبة والحامي، وحرث حجر أي زرع محروث محجور ممنوع من الأكل لأنهم قسموها بين الله والأصنام، والحجر الضيق والمنع.

قوله (لا يطعمها إلا من نشاء) النفي والاستثناء يفيد القصر، والإطعام التغذية، وفاعل المشيئة عائد إلى المشركين لأنهم خصوا بإطعام من يخدم الأصنام وحرموها على غيرهم.

قوله (بزعمهم) أي: ما يقولون ادعاء منهم غير قائم على دليل، وهو تعريض بهم.

قوله (وأنعام حرمت ظهورها) العطف بمعنى: وقالوا هذه أنعام، وتحريم ظهورها كناية عن منع ركوبها أو الحمل عليها، زعما منهم بأنها لله.

قوله (وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه) العطف لأنها الصنف الثالث لما حرّموا من أنعام، وهي التي إذا ذكّوها أهّلّوا عليها بأصنامهم، فلا يذكرون اسم الله عليها زاعمين أن الله أمرهم بذلك كذبا منهم عليه، ونصب لفظ الافتراء للحال.

قوله (سيجزّيهم بما كانوا يفترون) السين تشير إلى عقوبة الله لهم في مستقبل حالهم، والجزاء الرد والاستحقاق، والفاعل الله أضمر لتعظيم شأنه وتهويل عقابه، والباء في (بما) للتعليل، وجملة الموصول لتفسير علة الجزاء.

قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَيَّ أَزْوَاجَنَا وَإِن يَكُن مِّمَّةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾ (١٣٩)

قوله (وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا) وحكى القرآن مزيدا من تفصيل ما أجمل في الآية السابقة مما تبناوا من فساد الاعتقاد، فزعموا

أن ألبان البحائر والسيب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور دون النساء، وما ولد ميتا فيمكن للذكور والنساء أكله، وهم في ذلك ينسبون جهلهم إلى الله.

قوله (ومحرم على أزواجنا) أي: وألبان الأنعام المعينة ممنوع شربه على نسائنا.

قوله (وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء) تفریع، بمعنى ما ولد من الأنعام ميتا فيمكن الاشتراك في أكله ذكرانا وإناثا.

قوله (سيجزئهم وصفهم) أي: سيصيبهم الله بعقابه بسبب قولهم، والوصف أصله الإخبار.

قوله (إنه حكيم عليم) الفصل لتعليل الإخبار، فالله تعالى حكيم في وضع العقوبة في موضعها عليم لا يخفى عليه شيء مما افتروا.

قوله تعالى ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾

قوله (قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم) الاستئناف لتقرير معنى ما سبق من أحوال المشركين وبيان نتيجة أعمالهم، على سبيل إدماج فريق الضلالة: الوائدين للأولاد والبنات، والمحرمين ما أحل الله من الأنعام،

وفعل الخسران استعارة من ضياع رأس المال لبيان ضياع أثر أعمالهم، والإتيان بجملة الموصول لتعليل الخسران، والسفاهة خفة الحلم والجهل، ونصبها على الحال، والباء في (بغير علم) للملابسة، والظرف موقعها حال ثانية.

قوله (وحرموا ما رزقهم الله) العطف لأن الجملة داخلة في معنى الخسران، والتحریم المنع، إشارة إلى تحريمهم أصنافاً من الأنعام ضلالاً منهم، ولذا عظم جرمهم وتضاعف خسرانهم، لأن التحليل والتحریم من مختصات الله تعالى وحده، وجملة الموصول لبيان فساد تحريمهم، فهم حرّموا رزقاً أعطوه من الله.

قوله (افتراء على الله) انتصب اللفظ على الحال، وهو افتراء لأنه تقول عليه سبحانه.

قوله (قد ضلوا وما كانوا مهتدين) جملة تقرير وتأكيد لضلال الفريقين، وجملة نفي الاهتداء عنهم إثبات لمعنى ضلالهم.

قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ
وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَبِهًا وَغَيْرَ
مُتَشَبِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا
تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾

قوله (وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات) العطف على قوله (وحرموا ما رزقهم الله) تذكيرا بمنن الله على الناس.

وضمير الفصل للقصر، أي: الله الذي خلق بساتين من الأشجار الكثيفة، والإنشاء هو الإيجاد لا على نحو سابق، والجنات تسمى بذلك إذا اكتظت أشجارها وتكاثفت حتى كأنها تجن ما تحتها وتستتره، والمعروشات استعارة من العرش وهو الرفع، والمراد الأشجار التي ترفع بعماد كالكرم ونحوه، وغير المعروشات الأشجار التي تقوم أغصانها بذاتها من دون دعائم، وكلما كثف الغصن زادت فرص ثمره وزاد الأكل منه.

قوله (والنخل والزرع مختلفا أكله) العطف لدخول الكلام في فعل الإنشاء، ولفظ النخل يطلق على المفرد والجمع، والزرع ما يؤكل من حبه كالحنطة والشعير والحمص والعدس، والمختلف المتنوع، والأكل مصدر بمعنى المأكول، أي متنوع الطعوم.

قوله (والزيتون والرمان متشابهها وغير متشابه) أي: وأنشأ شجر الزيتون والرمان. وأريد بالمتشابه وغير المتشابه منهما لاتحادهما واختلافهما في بعض الطعم والشكل واللون.

قوله (كلوا من ثمره إذا أثمر) الأمر لحليته وإباحته، و(من) للتبيين، والهاء في لفظ الثمر عائد إلى الزيتون والرمان، والشرط للاحتراس المفيد لتوقيت ينعه.

قوله (وآتوا حقه يوم حصاده) أي: وأعطوا حق الفقراء منه يوم الحصاد.

قوله (ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) النهي عن الإسراف في إخراج حق الفقراء تقييد للحق بقصد الاعتدال في العطاء لمراعاة تأمين حال الأسرة، والفصل تعليل للنهي، ونفي المحبة عن الله مجاز لعقابه وعدم قبوله.

والسرف تجاوز الحد فيما يتصرف به من فعل أو إنفاق، والنهي المطلق في الآية حكم عام يشملهم جميعا بعدم السرف في البذل أو المنع مثلما يشمل الفقير في عدم الإسراف في الأكل، فبكل حال الله تعالى لا يوالي المسرفين ولا يؤيدهم.

والروايات مستفيضة في هذا المعنى ومنها ما روي في الكافي حين سئل الإمام الرضا عليه السلام عن معنى هذه الآية فقال: كان أبي يقول: من الإسراف في الحصاد والجذاذ أن يتصدق الرجل بكفيه جميعا، وكان أبي إذا حضر شيئا من هذا فرأى أحدا من غلمانه يتصدق بكفيه صاح به: أعط بيد واحدة، القبضة بعد القبضة، والضغث بعد الضغث من السنبل. انتهى.

قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ ﴿١٤٣﴾

قوله (ومن الأنعام حمولة وفرشا) الواو لعطف جملة على أخرى، والتقديم للأهمية لأن الكلام عنها، أي: كلوا من الأنعام كبيرها وصغيرها، وتفيد (من) الابتداء.

ولفظ الحمولة استعارة للإبل الكبيرة منها التي تطيق الأحمال، ولفظ الفرش استعارة لصغيرتها لأنها كأنها تفرش على الأرض أو توطأ كالفرش، أو لاستواء أسنانها، وانتصب اللفظان على الحال والعطف.

قوله (كلوا مما رزقكم الله) إباحة لأكلها إذ جعلها من ضمن الرزق الطيب الحلال حين أسند إلى لفظ الجلالة، والأمر تمهيد لما بعده من النهي.

قوله (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) النهي لعموم المؤمنين عن اتباع خطوات الشيطان، وأصل التمثيل يكون بوضع القدم مكان قدمه، كناية عن الانقياد والسير على أثره، في تحريم ما أحله الله.

قوله (إنه لكم عدو مبين) تعليل للنهي كحجة مقنعة، لأن العقل يمنع الانقياد وراء عدو واضح مجاهر بعداوته.

قوله تعالى ﴿ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلَ ذَكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإُنْثَيَيْنِ أَمَّا أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْإُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾

قوله (ثمانية أزواج) تفصيل لما أجمل في قوله (ومن الأنعام حمولة وفرشا) أريد به الاحتجاج على المشركين على سبيل تبكيت الخصم، وليكون أشد في التوبيخ لأنه ستترتب آثار عن كل تفصيل منها.

قوله (من الضان اثنين ومن المعز اثنين) تفصيل لما عدت الآية من ثمانية أزواج، فهذه أربعة أزواج منها.

قوله (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) تمت ثمانية أزواج لكل زوج ذكر وأنثى.

قوله (قل ء الذكرين حرم أم الأنثيين) الاستفهام لإنكار التحريم للذكور والإناث.

قوله (أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) استفهام إنكاري آخر، فـ (أما) مكونة من أم المعادلة، و(ما) اسم الموصول، والكلام من بدیع الكنايات عما سيولد من الأنعام، لأن الاشتمال الإحاطة بلطف وقوة، وهو ما يناسب الجنين في الرحم.

قوله (نبئوني بعلم إن كنتم صادقين) الأمر من الله بالإنباء على سبيل تبكيت المخاطبين المشركين وتقريعهم، ولذلك قيد فعل الإنباء بالعلم، وعلق عليه شرط الصدق.

قوله تعالى ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمُ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ

كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾

قوله (ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين) تكرر الاحتجاج لكل مجموعة: الأولى من الضأن والمعز، وأعادها للمجموعة الثانية من الإبل والبقر.

قوله (قل ء الذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين) الاستفهام لإنكار فعلهم بتحريم الذكر منها أو الأنثى، أو ما حملت منها الأنثى.

قوله (أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا) وهذا شق آخر من الاحتجاج، والمعنى هل كنتم حضورا أو راجعتموني في مشافهة تحريمها وسمعتموه مني.

قوله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) الفاء للتفريع على ما سبق. والاستفهام فيه للنفي بمعنى: لا أحد أظلم ممن كذب على الله. والضمير في اسم الموصول في قوله (ممن افترى) راجع إلى المشركين لأنهم فعلوا ذلك، وفي الكلام عدول عن مخاطبتهم إلى الغائب يراد به التهديد.

قوله (ليضل الناس بغير علم) جملة تعليل للافتراء وهو إضلال الناس جهلا بغير علم.

قوله (إن الله لا يهدي القوم الظالمين) تأكيد بالإخبار لقوله (وممن أظلم) باللفظ ذاته، وإشارة إليهم لأن الشرك أسوأ أنواع الظلم.

قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

قوله (قل لا أجد فيما أوحى محرما على طاعم يطعمه) الأمر بـ (قل) التفات بالكلام إلى النبي ﷺ، والكلام احتجاج آخر على المشركين، ينفي به عن أن يكون نزل على النبي ﷺ تحريم مما قال به المشركون. وذكر جملة الموصول بفعل الوحي في شأن محرمات المطعومات دال على أن التشريع خاص بالله وحده وليس لأحد ادعاؤه، ونفي الوجدان بمعنى نفي العلم، والمحرم الممنوع و(على) للتعدية، وقوله (طاعم يطعمه) بمعنى: أكل يأكله.

قوله (إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير) الاستثناء للاستدراك على جملة ما أحل بتأكيد أشكال المحرمات وهي: الميتة، والدم المصبوب المختلط باللحم، ولحم الخنزير، وخص الثلاثة بالذكر من باب الإجمال لأن ما ذكر من المنخفة والموقوذة والمتردية وغيرها داخل في حكم الميتة.

قوله (فإنه رجس) الفاء للتفريع على الاستثناء لتأكيد حرمة وتعليقه، والهاء عائد إلى المحرمات المتقدمة، والرجس النجس المستقذر الذي تنفر منه الطباع.

قوله (أو فسقا أهل لغير الله به) يفيد الحرف (أو) التقسيم والعطف على قوله (أو لحم خنزير) لذلك نصبه، والإهلال رفع الصوت للتسمية، والمراد: الذبائح التي يذكر عليها اسم الأصنام والأوثان ولا يذكر عليها اسم الله، وسمي ذلك الفعل فسقا لخروجه عن أمر الله.

قوله (فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم) الفاء لتفريع الاستثناء عن التحريم في حال الاضطرار وذكر تفصيله في سورة البقرة، والاضطرار القهر والإلجاء، ونصب (غير باغ) على الحال، أي: غير ظالم لنفسه بتجاوزه ما حدده الشرع، والنفي (ولا عاد) أي: ولا معتد على شرع الله في تحريمه، والفاء في (فإن) واقعة في جواب (من) الشرطية، وجملة (إن) الإسمية لثبات معنى غفران الله ورحمته أقيمت مقام الجزاء، ومضمونها الحكم بالرخصة، وهو أسلوب تكرر كثيرا في مثل هذا المقام.

قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُرُهُمَا أَوْ

الْحَوَايَا أَوْ مَا أُخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ



قوله (وعلى الذين هادوا) العطف لمناسبة ذكر المحرمات. وحرف الجر (على) للاستعلاء، والإتيان باسم الموصول وصلته لبيان أن اليهودية نسبة كانت من نفس اليهود زمن موسى، وتقديم الظرف للاختصاص لأن التحريم وقع عليهم خاصة.

والكلام لتبيان ما حرم على اليهود، كأنه في مقام الاستدراك ودفع الشبهة بشأن ما ذكر من تحريم سابق في الأنعام عند المشركين، لأن حالة بني إسرائيل أمر مختلف في أن ما حرمه الله كان جزاء لبغيهم وفعلهم.

قوله (حرمنا كل ذي ظفر) التحريم المنع من الله، والظفر العظم النابت على رؤوس الأصابع، وذو الظفر كناية عن لحوم البهائم من هذا الصنف كالإبل والسبع والكلب والأرنب والهر.

قوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) العطف لدخول الكلام في التحريم. و(من) للتبيين، والشحوم جمع شحم وهو ما يكون على اللحم أو العظم من مادة دهنية كثيفة، وهو من المحرمات على بني إسرائيل في شريعة موسى.

قوله (إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك) واستثنى الشحم على ظهور الأنعام، والحوايا المباعر، وقيل: بنات اللبن، وما اختلط بعظم شحم الجنب أو الألية، وقيل غير ذلك.

قوله (جزيناهم ببغيهم) فعل الجزاء الاستحقاق على الفعل، ويستعمل للخير والشر، قال الراغب: والجزاء ما فيه الكفاية من المقابلة إن خيرا فخير وإن شرا فشر.

والباء للتعليل في (ببغيهم)، وسماه الله بغيا لأنه اعتداء وظلم، أي: كان ذلك التحريم عقوبة لبني إسرائيل بسبب قتلهم الأنبياء وأخذهم الربا واستحلال أموال الناس بالباطل.

قوله (وإنا لصادقون) جملة تذييل لما سبق، والتأكيد المشدد بـ (إن) ولام الخبر، لتحقيق الصدق في الإخبار بالغيب.

قوله تعالى ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (١٤٧)

قوله (فإن كذبوك) الفاء للتفريع على الإخبار السابق، والخطاب للنبي ﷺ، وفاعل فعل التكذيب عائد إلى اليهود، لأنهم أنكروا بعثة النبوة من غيرهم.

قوله (فقل ربكم ذو رحمة واسعة) الفاء واقعة في جواب (إن) الشرطية،
وجملة مقول القول جواب الشرط متضمنة على تهديد مشوب برجاء
الارعواء، ووصف الرحمة بالسعة دلالة على قبولها العفو.

قوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) إخبار تقابلي مضمونه الوعيد
الشديد، والبأس للشدة، أي: لا يُدفع عذابه عن المكذبين.

قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا
ءَابَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى
ذَاقُوا بِأَسَنَّا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا
الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾

قوله (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من
شيء) الكلام يقطع طريق المعذرة على احتجاج المشركين بإسناد ضلالهم
إلى الله، وكأنهم مقهورون عليه لا خيرة لهم في الشرك.

وحجتهم باطلة لأن إرسال الرسل من الله تعالى لدعوة الناس إلى التوحيد
يتنافى مع هذه الحجة، إذ كيف يدعو الله أناسا مسلوبين لخيارهم مضطرين
مقهورين على فعلهم، فهي مغالطة في غاية السطحية لدفع التهمة عن
أنفسهم في ضلالهم، لأنهم في ذلك اعترفوا ضمنا بضلالهم.

والسين المقترن بفعل القول ودلالة الحضور فيه لاستمرار هذه المغالطة من المشركين في الماضي مع رسلهم والحاضر مع النبي ﷺ، وفي قولهم ادعاء خبيث لإيهام أنفسهم في خلط نتائج القضية ببعض وتسويغ معاصيهم، والشرك ادعاء الشريك لله في الألوهية كالأصنام في الأرض، وكالأجرام السماوية والملائكة في السماء، والآية تعني الأصنام لأن الكلام يحكي عن لسان مشركي مكة، بدلالة مسألة تحريمهم ما أحل الله، والتحريم المنع، وحرف الجر (من) زائد لنفي العموم.

قوله (كذلك كذب الذين من قبلهم) التشبيه واسم الإشارة بمعنى: على شبه المغالطة التي قال بها المشركون كذب الذين من قبلهم من الأمم السابقة أنبياءهم.

وتضعيف فعل التكذيب لتكثير الفعل منهم ومبالغتهم فيه، وسمى ادعاءهم كذبا في تحريم الحلال ونسبته إلى الله، لأنه ادعاء بلا دليل وتخل عن تحمل مسؤولية اختيارهم.

قوله (حتى ذاقوا بأسنا) تفيد (حتى) ابتداء الغاية، فعل التذوق استعارة لما هو سوء، والبأس لما يشدد من أمر، والمراد هنا العذاب المعجل في الدنيا بدلالة التذوق في أول اللسان، أما عذابهم المؤجل فيوم القيامة.

قوله (قل هل عندكم من علم) أي: قل يا محمد على سبيل الرد والاحتجاج على محاجهم: هل تملكون دليلا على ادعائكم؟ وكفى عنه بالعلم لأنه

مستلزم له، والسؤال للتهكم، لأنهم ضالون أصلاً لا دليل لهم ولا علمن
(من) زائدة للتأكيد.

قوله (فتخرجه لنا) الفاء للتفريع على السؤال التهكمي، والإخراج يراد به
إظهار ما هو مخبوء، والهاء في الفعل راجع إلى العلم، واللام في (لنا)
للتعليل، أي لأجلنا، والسؤال وما تفرع عليه واضح التهكم فيه.

قوله (إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) الاستئناف يراد به
الإضراب عما تقدم، بتأكيد جهل المشركين وكذبهم، بأسلوب القصر بالنفي
والاستثناء، وفي الآية ذم لاتباع التقليد غير المبني على الدليل والعلم.

قوله تعالى ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿١٤٩﴾

قوله (قل فله الحجة البالغة) أي: قل يا محمد على سبيل الرد على مقالهم،
والفاء للتفريع، واللام المقترن بلفظ الجلالة للملك، وتقديم شبه الجملة
للاختصاص، وسمى حجته سبحانه بالغة لأن براهين الله وآياته عن علم،
وأنها تؤدي إلى الحق دائماً، والحجة البالغة الواصلة إلى منتهي اليقين،
وهي كما قال الطبرسي: التي تبلغ قطع عذر المحجوج، بأن تزيل كل لبس
وشبهة عن نظر فيها، واستدل بها. انتهى.

وفي أمالي الشيخ المفيد روي أن الصادق عليه السلام سئل عن الآية فقال: إن الله
تعالى يقول للعبد يوم القيامة عبيد كنت عالماً؟ فإن قال: نعم، قال له: أفلا

عملت بما علمت؟ وإن قال: كنت جاهلاً، قال: أفلا تعلمت حتى تعمل؟ فيخصمه فتلك الحجة البالغة. انتهى.

قوله (فلو شاء لهداكم أجمعين) الفاء تفيد الغاية، والكلام بمثابة قلب الحجة على الخصم، بمعنى: لو اقتضت مشيئته تعالى إلقاءكم على نحو القهر إلى الهداية لفعل، ولكنه تعالى ترك لكم الخيرة للإبقاء على مبدأ التكليف الذي بنى على أساسه عدالة الجزاء ثواباً وعقاباً.

قوله تعالى ﴿ قُلْ هَلُمُّ شُهَدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ ﴿١٥٠﴾

قوله (قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) الابتداء للتأكيد والإقبال على الكلام رداً على زعم المشركين الذي حكاه تعالى في قوله (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمانا من شيء) لأجل تبكيته، والخطاب في الآية من قبيل خطاب التعجيز لبيان كفر الكافرين، واسم فعل الأمر (هلم) بمعنى: أقبل.

ولفظ الشهداء وإضافته إلى كاف جمع المشركين إشارة إلى أصنامهم التي زعموا أنهم يشهدون لهم عند الله بالشفاعة، والمعنى: فلتقبل أصنامكم وتشهد لكم بزعمكم أن الله حرم ما ذكر من تحريم بعض الأنعام.

قوله (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) الفاء للتفريع، أي: إن لم يجدوا من يشهد لهم على ادعائهم فلا تشهد لهم، لأن شهادتهم حينئذ لأنفسهم شهادة باطلة، والنهي كناية عن تكذيب المشركين، لأن النهي عن الشهادة لهم يستلزم منه أنهم كاذبون.

قوله (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا) النهي عن الاتباع نهى عن الانقياد، والأهواء الرغبات القلبية المتقلبة، والإتيان باسم الموصول وصلته تعليل للنهي، والمراد عموم المنكرين من أهل الكتاب فهم من كذب بآيات الله ووجد براهينه، وإضافة الآيات إلى نون العظمة للتعظيم، والكلام من باب إياك أعني واسمعي يا جارة.

قوله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) العطف لدخول المعطوف في النهي عن اتباع المشركين لأنهم المنكرون للمعاد، وفعل الإيمان بمعنى التصديق.

قوله (وهم بربهم يعدلون) الواو للعطف لبيان حالهم، أي: ويجعلون الله عدلا، أي مثلا من الأصنام، بدلالة تعدية الفعل بالباء.

وتقدم الظرف (بربهم) للأهمية، وفيه مفارقة كونه سبحانه مالكهم ولا يملكون حرية اختيار عتقهم من مملكته، وهم يشركون به.

قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ

إِمْلَقِ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنٌ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾

قوله (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم) الأمر ب (قل) للإخبار عن المحرمات العامة التي تشترك بها الشرائع الإلهية المختلفة لذلك سيأتي ذكر كثير من الأنبياء السابقين عليهم السلام، والخطاب في فعل العلو لعموم المخاطبين، وفعل التلاوة بمعنى القراءة المتواصلة، وإسناد الترحيم إلى (ربكم) للإشارة إلى أن ذلك من مختصات الربوبية ردا على بغي المشركين في تحريم ما أحله الله.

وفي التعبير ب (ربكم) تمهيد لتقبل ما سيلقى من أصول المحرمات، كون الملقي هو الرب والمالك، وليس للمولى العبد إلا الامتثال.

قوله (ألا تشركوا به شيئا) تقدم النهي عن الشرك بالله لأنه أولى المحرمات، فهو الظلم العظيم الذي لا مغفرة معه.

والإشراك إيقاع الإثنية بين الله ومن زعموه شريكا له في تقاسم الربوبية، وهي شركة مدعاة لأن الله العالم بكل شيء لا علم له بها، بينما عباده الجاهلون ادعوا العلم بها بفرضها، فأى ظلم وادعاء زائف هذا، سبحانه جل عن ذلك وتعالى علوا كبيرا، ولذلك أنكرها القرآن وتهكم بمدعيها.

وتتكير لفظ الشيء يفيد العموم أي: أيا كان شكل ذلك الشرك صنما أو شخصا.

قوله (وبالوالدين إحسانا) العطف على النهي بمعنى الأمر: وأن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا، وحسب الإحسان إلى الوالدين حرمة أن يأتي تالي النهي عن الشرك نحو قوله تعالى (وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) [الإسراء ٢٣]، وقوله سبحانه (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ووصينا الإنسان بوالديه) [لقمان ١٤].

وتأتي شدة حرمة عقوق الوالدين لما يسبب ذلك من هلاك النسل وضرب استمرار النوع الإنساني.

قوله (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) وهو النهي الثالث الذي حرّمته الشرائع كلها، فهو من قتل النفس أفرد بالذكر لفداحته، وحرف الجر (من) للعلة، والإملاق الإفلاس من المال والزاد.

وقد فعل ذلك بعض العرب فعمدوا إلى قتل الأولاد بسبب الجذب والقحط أنفة من يُروا أذلة جوعى.

قوله (نحن نرزقكم وإياهم) إخبار يفيد تعليل النهي عن قتل الأولاد بسبب الفقر، لأن الرزاق موجود متكفل برزقكم ورزقهم، وضمير الفصل للتعظيم يفيد قصر الرزق عليه تعالى، متضمن رفع الداعي إلى الإقدام على قتل الأولاد، وللتنبيه إلى أن قتلهم قصور منهم في طلب الرزق لهم ولأولادهم.

والإخبار من خطاب الله الحضورى للسامعين لأهميته وليس مما لقن به النبى ﷺ فى أمره بفعل القول صدر الآية.

قوله (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) وهو النهى الخامس، والنهى عن القرب مبالغة فى الإقلاع عن فعل الفاحشة لأن القرب مزلق التلبس.

والفاحشة ما يستقبح من المعاصى وهى الزنا واللواط وقذف المحصنات، وما ظهر منها يقصد به الزنا العلنى، وما بطن ما يستسر به من الأخلاء والأخدان. والله أعلم. وشدة حرمتها لخطورتها فى ضرب الوحدة الصغيرة للمجتمع وهى الأسرة والتسبب بانقطاع النسل.

قوله (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) وهو النهى السادس، وقتل النفس إزهاقها، وجملة الموصول لبيان علة النهى، والاستثناء فى قوله (إلا بالحق) إشارة إلى القصاص والقود فى الحد الشرعى.

والآية أعادت ذكر قتل النفس وأفردته عن ذكر اقتراف الفواحش - مع أنه منها- تعظيماً لهذا الفعل وتنشيعاً لأمره.

قوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون) الأفراد باسم الإشارة لأنه أخذ فيه معنى مجموع محرماتها فى الأمر والنهى، بمعنى: ذلكم الأمر وصاكم به، ولإحضارها فى الذهن وتمييزها كأنها مشاهدة للتأثر بها، فضلاً عما تفيد الإشارة بالبعيد من تعظيم الشرائع ومراعاة حرمتها. والتوصية تقع فى باب الإلزام لا الاختيار ذلك الإلزام الذى يحفظ الحرمات ويرجى به العقل

والتذكر والتقوى، وجملة التعليل لتهييج العقل فيهم لأن ارتكاب ما تقدم يقرب إلى الجهل ويبعد عن العقل.

قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْكُمْ بِهِ ۚ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾

قوله (ولا تقربوا مال اليتيم) العطف لاتصال الكلام بما تقدم فما يزال في عد المحرمات التي تشترك بها الشرائع الإلهية كلها، والنهي عن القرب كناية عن النهي عن أخذ مال اليتيم أكلا أو استعمالا أو تصرفا لأن القرب مستلزم لذلك، واليتيم الفاقد لأبيه حتى يبلغ.

قوله (إلا بالتي هي أحسن) الاستثناء للاستدراك على النهي عن التصرف بمال اليتيم إلا بنحو إنمائه وتنميته بالتجارة أو حفظ حقوقه، وإشارة التأنيث في اسم الموصول وضمير الفصل لمعنى التجارة فهي أحسن في إنماء المال وإثرائه لليتيم وحفظه له حتى يكبر.

قوله (حتى يبلغ أشده) أي: إلى أن يصل اليتيم إلى مرحلة عمرية عقلا وبدنا يكون معها قادرا على التصرف بالمال، فبلوغ الأشد كناية عن بلوغ الرشد واكتمال الوعي.

قوله (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط) أي: العمل بالعدل وعدم التطفيف بالميزان لأخذ الزيادة الباطلة من المال، والإيفاء الإعطاء لتمام الشيء وعدم إنقاصه حقه. والكيل ما يوزن به أطلق وأريد به المكنال على سبيل المبالغة، والميزان آلة الوزن أطلق وأريد به ما يوزن من طعام ونحوه، والباء للملابسة، والقسط العدل وشبه الجملة محلها الحال.

قوله (لا نكلف نفسا إلا وسعها) الفصل لتعليل أمر التوفية، بأن الله تعالى لا يحمل النفس ما لا تطيق في مراعاة التوفية، وفيها إشارة إلى الصفح والعفو في حال كان العمل صادرا عن سهو، وقد يشمل ما سبق من مال اليتيم أيضا، والتكليف تحميل النفس المشاق، والنفس تقال للذات وتتكبرها للعموم، والوسع السعة، قال الراغب: السعة تقال في الأمكنة وفي الحال وفي الفعل كالقدرة والجود ونحو ذلك، ففي المكان نحو قوله (إن أَرْضِي واسعة - ألم تكن أرض الله واسعة) وفي الحال قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) وقوله: (على الموسع قدره) والوسع من القدرة ما يفضل عن قدر المكلف، قال (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) تنبيهها أنه يكلف عبده دوين ما ينوء به قدرته. انتهى.

قوله (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) الخطاب لجميع المكلفين، وسمى الكناية عن الشهادة أو القضاء أو الفتوى بالقول واشترط لها العدالة.

وجملة الفرض بمعنى: قولوا القول الصائب العادل حتى لو كان ذلك القول ينافي المصلحة الشخصية كالشهادة ضد القريب جلبا لنفعه أو دفعا لضرره،

قال في المجمع: وهذا من الأوامر البليغة التي يدخل فيها مع قلة حروفها الأقارير والشهادات والوصايا، والفتاوى والقضايا، والاحكام والمذاهب، والامر بالمعروف، والنهي عن المنكر. انتهى.

قوله (وبعهد الله أوفوا) لفظ العهد حفظ الشيء ومراعاته حالا بعد حال ويطلق في القرآن ويراد به ميثاق الله في شرائعه وتكاليفه، وتعظيما له أضافه إلى لفظ الجلالة ليكون أجدر بالإيفاء وأدعى للعمل به، والباء المقترن به لتعدية فعل التوفية، وتقدم شبه الجملة للاهتمام، والإيفاء إيصال الحق كاملا غير منقوص.

قوله (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون) لفظ الإشارة لتمييز ما تقدم من الإيصاءات اللازمة، وجملة التعليل متضمنة معنى التحذير من الغفلة والتساهل بالالتزام بما أمر به الله.

قوله تعالى ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ ﴿١٥٢﴾

قوله (وأن هذا صراطي مستقيما) العطف لأن الكلام داخل في جمل الأمر السابقة في قوله (ألا تعبدوا)، والإخبار بتعريف الصراط تمهيد لما بعده من أمر اتباعه والالتزام به، وفتح همزة (أن) لأنها بمعنى دخول لام التعليل: لأن.

والتعريف باسم الإشارة للقريب يشير إلى وضوح سبيل الله، وأن لا عذر لمعتذر في اجتنابه، وهو كناية عن طريق الإسلام وسبيل النبي ﷺ وآله عليهم السلام بدلالة إضافة الصراط إلى ياء الجلالة، والمستقيم صفة للصراط زيادة في معنى الإشارة إلى أمان سالكيه، وانتصب اللفظ على الحال من اسم الإشارة.

قوله (فاتبعوه) الفاء تفريع على الإخبار، وجملة الاتباع أمر صريح بلزوم اتباع صراط الله بالانقياد إلى أوامره ونواهيه، لأن غيره يؤدي إلى الاختلاف المفضي إلى التهلكة والتفرقة.

قوله (ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) نهى بعد أمر، لأن نتيجة الإعراض عن اتباع صراط الله اتباع الأهواء التي تبعد عن سبيل الله أكثر، فهي طرق متعرجة غير مستقيمة، وتعريف السبل للعموم، والفاء في (فتفرق) تعليل للنهي، والفعل محذوف التاء أصله: فتتفرق، والباء في (بكم) للمصاحبة، وضمير جمع المخاطبين للعموم، والظرف بمعنى: فتفرقكم عن سبيل الله.

قوله (ذاكم وصاكم به لعلكم تتقون) اسم الإشارة لتمييز المحرمات وتشخيصها حاضرة مشاهدة للالتزام بنواهيها وأوامرها، وجملة التعليل لتشجيع النفس على التقوى بعد المعرفة.

واستعمال فعل الترجي في كل خاتمة من الخواتيم الثلاثة للآيات لأن المعنى أنكم تعاملون في التكليف والجزاء معاملة الشك للمظاهرة في العدل. قاله الطوسي. انتهى.

وفي محاولة فهم اختلاف خواتيم الآيات الثلاث، أن سياق الأولى متعلق بتمييز الإنسان العاقل من غيره لذلك استعمل (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون)، والثانية سياقها مما يحتاج معه إلى التذكير والتحذير من الغفلة والنسيان فاستعمل (ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون)، وأما سياق الآية الثالثة فهو متعلق بطلب التقوى بعد المعرفة لذلك استعمل له خاتمة (ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون).

قوله تعالى ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿١٥٤﴾

قوله (ثم آتينا موسى الكتاب) يفيد العطف (ثم) إلى رجوع هذا التفصيل إلى السياق في قوله (تعالوا أتل)، وقد أفيد بالتراخي الزمني في العطف أن هذا الكتاب إنما أنزل ليكون تاما وتفصيلا للإجمال الذي في الشرائع العامة الكلية. قاله صاحب الميزان. انتهى. والإيتاء الإعطاء ويراد به تنزيل التوراة على موسى في ميقات الله.

قوله (تماما على الذي أحسن) نصب لفظ التمام على الحال، والمعنى: إن إنزال الكتاب من الله على نبيه موسى لتتم به نقيصة الذين أحسنوا من بني إسرائيل في العمل بهذه الشرائع الكلية العامة.

وحرف الاستعلاء (على) يدل على المضاعفة ولو قال (تماما) ولم يأت بقوله (على الذي أحسن) لدل على نقصانه قبل تكميله.

قوله (وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة) العطف على الحال: أي وأنزلناه تفصيلا لكل شيء مما يحتاجونه ويحتاجه غيرهم من بعدهم وهدى يهتدون به ورحمة يستظلون بها، والتفصيل التبيين لعموم كل شيء، وتنكير لفظ الهدى والرحمة للتعظيم.

قوله (لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون) جملة تعليل، وتفيد أداة الرجاء الإشارة إلى أن بني إسرائيل كانوا يتثاقلون أو يستنكفون عن الإيمان بلقاء الله واليوم الآخر.

قوله تعالى ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (١٥٥)

قوله (وهذا كتاب أنزلناه مبارك) العطف على قوله (ثم آتينا)، ولفظ الإشارة للتنويه وتعظيم القرآن، وتنكير لفظ الكتاب تعظيم بعد تعظيم، ووصفه بالكتابة لأنه لبيان أنه مما ينبغي أن يكتب ويقرأ، والمراد: وهذا كتاب مبارك يشارك كتاب موسى (ع) فيما ذكرنا من الخصيصة، وفعل الإنزال

مجاز من إرساله من علو مقام الألوهية بالوحي إلى نبيه، وإسناده إلى ضمير التكلم للفظ الجلالة دلالة تشريف وتأكيد لصحة النبوة والإنزال، والجملة مقامها الصفة للكتاب، ولفظ المبارك صفة للكتاب، وكون الكتاب أنزل مباركا لثبوت الخير ونمائه العميم.

قوله (فاتبعوه) الفاء تفريع على الإخبار، والاتباع الانقياد إلى الكتاب بالتزام شريعته في أوامره ونواهيه، والخطاب لعموم المكلفين.

قوله (واتقوه) أي: واتقوا مخالفة الكتاب، والمخاطبون هم الناس جميعا من المشركين وأهل الكتاب.

قوله (لعلكم ترحمون) أي: اتقوه لكي ترحموا، أو اتقوا على رجاء الرحمة.

قوله تعالى ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴾ (١٥٦)

قوله (أن تقولوا) متعلق بقوله السابق (أنزلناه)، ومعناه: كراهة أن تقولوا، لئلا تقولوا.

قوله (إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا) جملة مقول قول الكافرين، ابتدئت بالحصص لأن الكلام منهم أورد على سبيل التأكيد، وتعريف الكتاب للعهد يراد به التوراة والإنجيل فهما أشهر الكتب السماوية السابقة على

القرآن، و(على) حرف استعلاء مجازي، وأريد بالطائفتين الإشارة إلى اليهود والنصارى.

قوله (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) تنمة لإبطال الحجة، و(إن) حرف نسخ مخفف من (إن) الثقيلة، وتقديم شبه الجملة (عن دراستهم) للاهتمام، والدراسة يراد به العلم، وأن كتابهم لم ينزل على لغتنا فنتعلمه، واللام في (لغافلين) داخلة على خبر (إن) وهي اللام الفارقة، والغفلة يراد بها نفي العلم.

ومراد الآية: أن إنزال القرآن قطعاً للمعذرة وإزاحة للعلة، وكراهة أن تقولوا يا أهل مكة: إن الكتاب الإلهي المفصل لشرائعه إنما أنزل على اليهود والنصارى وإنا كنا غافلين عن دراسته وتلاوته.

قوله تعالى ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْرِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوًى الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾

قوله (أو تقولوا لو أننا أنزل علينا لكننا أهدى منهم) الترديد (أو) لقطع العذر على المشركين من عدم الإيمان بالقرآن.

والمعنى على لسان أهل مكة: لو أنزل علينا الكتاب لكنا أسرع إلى المبادرة إلى قبوله والتمسك به، كون العرب أكثر فطنة وأقوى حافظة وأحد ذهنا وفهما، واسم التفضيل (أهدى) بمعنى أكثر هديا، والضمير في (منهم) أي: من اليهود والنصارى.

قوله (فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) الفاء لتفريع التقرير على قول مشركي مكة، والمعنى: فقد لبي الله مطلبكم بما كنتم تقولون فماذا أنتم فاعلون؟

وإسناد البينة إلى فعل المجيء من المجاز العقلي أريد به المبالغة في معنى ظهور حجة القرآن، وكنى عنه بـ (البينة) لظهور حجته ووضوح براهينه حتى لا يبقى عذر لمعتذر، وحرف الابتداء في (من ربكم) للتأكيد على صحة نسبته إلى الله، والتأكيد في لفظ الهدى والرحمة للدلالة على خصوصية الاهتمام إلى سبيل الثواب والنعيم، وإلى نوعية النعم الكثيرة الدائمة المتحصلة به.

قوله (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله) الفاء للتفريع، واسم الاستفهام (من) مجازي يراد به الإنكار بمعنى: لا أحد أظلم، و(ممن) مكونة من حرف الجر المفيد للتبيين، واسم الموصول المفيد للعاقل، والتكذيب بآيات الله يكون بجحدها ونكران دلائلها الواضحة في توحيد الألوهية.

قوله (وصدف عنها) العطف لدخول جملة الصدوف في منتهى الظلم، والصدوف شدة الإعراض، وحرف التجاوز (عن) للتعدية، وضمير الهاء عائد إلى آيات الله.

قوله (سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) السين للإحالة على إنزال العذاب بالجاحدين الصادقين عن آيات الله يوم القيامة، وسوء العذاب من باب إضافة الصفة إلى موصوفه ويعني: أشد العذاب وأسوأه.

قوله (بما كانوا يصدفون) الباء للسبب، والجملة جزاء على إعراضهم وتماديهم في تجاهل آيات الله في الحياة الدنيا.

قوله تعالى ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴾ (١٥٨)

قوله (هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة) أي: هل ينتظرون، والبدء بالاستفهام للإنكار، وواو الجمع للمشركين تهديد لهم، وإتيان الملائكة كناية عن قبض أرواحهم لإهلاكهم.

قوله (أو يأتي ربك) الترديد على تقدير حذف مضاف: أو يأتي أمر ربك، وهو كناية عن عذاب الاستئصال، والخطاب إلى النبي ﷺ للعناية به، وللمبالغة في تهديد المشركين بلفظ الغيب.

قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) ترديد ثالث للتهديد، إشارة إلى أمارات العذاب نحو خروج الدابة أو طلوع الشمس من مغربها.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، ودابة الأرض، وخويصة أحدكم وأمر العامة. ذكره الزمخشري في الفايق. انتهى.

ويعني بقوله: خويصة أحدكم: موته، تصغير خاصة، وأمر العامة: يعني به يوم القيامة.

قوله (يوم يأتي بعض آيات ربك) لفظ اليوم يراد به اليوم المعلوم وهو يوم القيامة، وبعض الآيات بعض الدلائل على حدوثه كالصيحة وخسوف الأجرام ونحوها، والكلام إخبار عن الغيب لحتمية تحقيقه، وتكرار لفظ (ربك) ثلاث مرات لتأكيد النبي ﷺ وطمأنته وتثبيت قلبه أمام خصومه المتباهين بأربابهم من الأصنام.

قوله (لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل) خبر الابتداء، إذ في يوم القيامة لا ينفع النفس شيء لانسداد باب التوبة، فإن إيمانها لا قيمة له ما لم تكن آمنت في حياة التكليف، وتقدم لفظ النفس للاهتمام وتذكيره للعموم، والهاء المقترن بلفظ الإيمان عائد إلى متأخر رتبة ولفظا، والبناء في الظرف (قبل) لأنه مقطوع عن الإضافة بمعنى: من قبل الموت.

وفي هذا المعنى قوله ﷺ في نهج البلاغة: ألا وإن الآخرة قد أقبلت ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا أبناء الدنيا، فإن كل ولد

سيلحق بأمه يوم القيامة، وإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.
انتهى.

قوله (أو كسبت في إيمانها خيرا) يفيد الحرف (أو) معنى العطف والترديد،
لأن نفي اكتساب أعمال بسبب الإيمان بالله داخلة في نفي الانتفاع يوم
القيامة لأنه إيمان بلا عمل، وهذا من أجل معاني الإسلام والعقيدة، إذ ربط
المعتقد وأثره بالسلوك والعمل به، وفعل الكسب يراد به الانتفاع من أثر
العمل الصالح، و(في) بمعنى السبب، والهاء في (إيمانها) راجع إلى النفس.
وتنكير لفظ الخير للعموم.

قوله (قل انتظروا إنا منتظرون) الأمر يراد به التهديد والوعيد لعموم
المشركين والكافرين، والإخبار متضمن معنى يقين النبي ﷺ بربه
ونصرته، ومعنى انتظار إحلال عذاب الإنظار بالمشركين لا الاستئصال،
والكلام من باب إنصاف الخصم في تهديده، وفيه تجنب اشتقائي، وفن رد
العجز على الصدر فحين بدأ بقوله (هل ينظرون) رد بالأمر (انتظروا)
على سبيل التهديد.

قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿١٥٩﴾

قوله (إن الذين فرقوا دينهم شيعة) الفصل للاستئناف الابتدائي، والإخبار
عام لكل من عمل على تفريق وحدة الكلمة للدين الحنيف كالمشركين

واليهود والنصارى فكلهم مشتركون في ذلك، ونسبة الدين إليهم لأن دينهم الحنيفية دين إبراهيم في الأصل.

ويدخل فيه أهل الضلالة والشبهات والبدع من هذه الأمة وهو المروي عن الباقر عليه السلام في المجمع: جعلوا دين الله أديانا لإكفار بعضهم بعضا، وصاروا أحزابا وفرقا. انتهى. ولفظ الشيع الأتباع والمراد بها الفرق. ونصبه على الحال.

قوله (لست منهم في شيء) الجملة محلها الإخبار لحرف النسخ (إن)، والخطاب للنبي ﷺ تبرئة له منهم. وضمير جمع الغائبين في (منهم) راجع إلى المفرقين، و(في) للظرفية المجازية، وتنكير لفظ شيء لنفي العموم بمعنى: لا صلة بينك وبينهم.

قوله (إنما أمرهم إلى الله) فصل الكلام ولم يصله بما قبله لإفادته تعليل النفي، والإخبار المؤكد بحصر إيكال أمرهم إلى الله متضمن معنى التهديد والوعيد.

قوله (ثم ينبئهم بما كانوا) تفيد (ثم) التراخي الرتبي في الكلام، وإنباؤهم بأعمالهم السيئة لتوبيخهم ويراد به ما يستلزم منه وهو إدخالهم في عذاب النار.

قوله تعالى ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَلِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا

يُجْزَى إِلَّا أَمْثَلَهَا وَهُمْ لَا يُظْمَرُونَ ﴿١٦﴾

قوله (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) استئناف ابتدائي لذكر الوعد على الحسنات بعد ذكر الوعيد على السيئات لإتمام فائدة الكلام.

والإتيان بالشرط لبيان جوابه، وهو بيان منة الله وفضله لتهييج المؤمن على فعل الأعمال الصالحة، فجعل من عنده الإتيان بالحسنة الواحدة بعشر أمثالها ترغيباً، وقيل الحسنة كناية عن التوحيد لأنه أصل الحسنات.

قوله (ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها) أي: العقوبة على قدر الاستحقاق لا يزيد عليها، لكن في الثواب يزيد عليه فضلاً ومناً، وقيل السيئة كناية عن الشرك لأنه أسوأ السيئات.

قوله (وهم لا يظلمون) أي: لا يظلم أصحاب السيئات بالزيادة على ما استحقوا من عقاب، ولا يظلم أصحاب الحسنات بالإنقاص من أعمالهم الصالحة.

وعلى هذا المعنى روي عن النبي ﷺ قوله: إن الله تعالى قال: الحسنة عشر، أو أزيد، والسيئة واحدة أو أغفر، فالويل لمن غلبت آحاده أعشاره. ذكره الثعلبي في تفسيره، والرازي. انتهى.

قوله تعالى ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِثْلَ آبَرِهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١٦١)

قوله (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم) الأمر بإخبار الأمة لبيان أن الشرائع واحدة، وأن طريق الإسلام واحد منذ إبراهيم عليه السلام، وهداية الله أطافه بنبيه إلى الاصطفاء بالنبوة ودين التوحيد، وتنكير الصراط للتعظيم ووصفه بالاستقامة لأمان سالكيه وتأديته بهم إلى الفوز.

قوله (دينا قيما) نصب لفظ الدين على الحال، ووصفه بالقيم مبالغة في قيموته على المتدينين به وتدبير شؤونهم، ولأنه الدين الدائم الذي لا ينسخ.

قوله (ملة إبراهيم حنيفا) انتصب لفظ الملة على الحال من (دينا)، والملة الشريعة مأخوذة من الإملاء، كأنه ما يأتي به الشرع، ويورده الرسول من الشرائع المتجددة، فيمليه على أمته ليكتب، أو يحفظ.

أما التوحيد والعدل فواجبان بالعقل ولا يكون فيهما اختلاف، والشرائع تختلف، لهذا يجوز أن يقال: ديني دين الملائكة، ولا يقال ملتي ملة الملائكة، فكل ملة دين، وليس كل دين ملة، وإنما وصف دين النبي ﷺ بأنه ملة إبراهيم ترغيبا فيه للعرب، لجلالة إبراهيم في نفوسهم، ونفوس أهل الأديان كلهم، ولانتساب العرب إليه، واتفاقهم على أنه كان على حق، ونصب (حنيفا) على الحال، والحنف الميل، والمقصود به: مائلا إلى طريق الإسلام، ويراد به الإخلاص في العبادة.

قوله (وما كان من المشركين) العطف على الحال، أي: وما كان إبراهيم من المشركين، فهو إخبار متضمن معنى التعريض بالمشركين، لأنه كان يدعو إلى عبادة الله، وينهى عن عبادة الأصنام.

قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٦٢﴾

قوله (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي) التلقين لبيان خلاصة دعوة النبي ﷺ، وبراهينها لإبطال عقيدة الشرك.

والمعنى: أمرت بأن تكون عبادتي وأعمالي كلها خالصة لله أرجو بها رضاه الذي هو مالكي ومالك العوالم كلها، والنسك مطلق العبادة وكثر استعماله في الذبائح تقرباً إلى الله، وخصت الصلاة بالذكر مراعاة لأهميتها في العبادات، والمحى وكذا الممات مصدر ميمي بمعنى الحياة والموت.

قوله (لله رب العالمين) اللام المقترن بلفظ الله للملك، ووصفه بربوبيته تعالى لجميع العالمين، للرد على من فصل بين الألوهية والربوبية في ادعاء الشراكة.

قوله تعالى ﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ﴿١٦٣﴾

قوله (لا شريك له) جملة النفي المطلق محلها الحال، وهي تفصيل لمعنى وحدانية الله تعالى بتأكيد نفي أي شركة له، وإفراد التوحيد بالذكر لأهميته، مع أنه موجب لما سبق في معنى الآية السابقة.

قوله (وبذلك أمرت) أي: وبذلك الإقرار بالتوحيد أمرني ربي، وضمير التكلم راجع إلى النبي ﷺ.

قوله (وأنا أول المسلمين) وكون الرسول ﷺ أول المسلمين يعني أول الناس من حيث درجة الإسلام ومنزلته.

قوله تعالى ﴿ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ ﴿١٦٤﴾

قوله (قل أغير الله أبغي ربا) الكلام تقرير لمعنى التوحيد على لسان الرسول ﷺ، والاستفهام لإنكار ابتغاء إله غير الله، وتقديم المفعول للأهمية.

قوله (وهو رب كل شيء) الواو تفيد الحال، والإخبار بأن الله مالك كل شيء لأنه خالقه وموجده بإفاضة الوجود عليه، وفيه غاية معنى التوحيد.

قوله (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) أي: إن عمل النفس خيرا أو شرا يكون لها أو عليها يبين أثره فيها، فتحاسب عليه بالثواب أو العقاب.

قوله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) الوزر هو الملجأ أو هو الثقل استعير لمعنى الإثم بجامع الحمل في كل منهما، والآية تنهى عن تحميل غير فاعل السوء سوءا لأن في ذلك ظلما للبريء، أي: لا أحد يجازى بفعل غيره حسنا أو سوءا.

وقوله (ثم إلى ربكم مرجعكم) تفيد (ثم) التراخي الرتبي، وتقديم شبه الجملة للقصر، والمرجع المصير، والإخبار يفيد التهديد.

قوله (فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون) الفاء للتفريع، وإنباء الله لهم بمعنى محاسبتهم على اختلافهم في أمر دينهم، وتفرقهم عن توحيده.

قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ



قوله (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض) العطف على قوله (أغير الله)، وضمير الفصل للقصر، وتعريف المسند إليه قصر ثان، والخلائف جمع خليفة، والمعنى: جعل الله أهل كل عصر يخلف أهل العصر الذي قبله، كلما مضى قرن خلفهم قرن، يجري ذلك على انتظام واتساق حتى تقوم الساعة على العصر الأخير فلا يخلفه عصر، وهذا لا يكون إلا من عالم مدبر.

وقيل المراد: أمة نبينا جعلهم الله تعالى خلفاء لسائر الأمم ونصرهم على سائر الخلق.

قوله (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) العطف لأنه ذكر لمنن الله على أمة الإسلام، وفعل الرفع مجاز في علو المقام والمنزلة.

ونذكر التفاضل في المراتب ليكون أدعى إلى المسارعة إلى الأعمال الصالحة واجتناب الأعمال السيئة.

قوله (ليبلوكم في ما آتاكم) اللام للغاية، أي: ليكون ذلك فتنة واختبارا في عالم الدنيا يجزي به المحسن ثوابا والمسيء عقابا.

قوله (إن ربك سريع العقاب) إخبار بمعنى التعليل لفعل الابتلاء، والخطاب للنبي ﷺ لجدارته بالإخبار من ربه، وسرعة العقاب باعتبار ما هو آت قريب من الحساب، وباعتبار قدرته تعالى على تعجيل العقوبة.

قوله (وإنه لغفور رحيم) العطف لإفادة المقابلة بين جملة العقاب والغفران، ولم يقابل بالثواب ليكون ذلك أدعى إلى الإقلاع عن الخطيئة، و(إن) حرف تأكيد، وضمير الهاء راجع لله تعالى، واللام في (لغفور) واقعة في خبره، والغفور الرحيم صيغ مبالغة تفيد الكثرة، واختتمت السورة بالمغفرة والرحمة وصلا بحمده الذي افتتح به السورة سبحانه.

واشتملت الآيتان الأخيرتان على ثلاث حجج هي جوامع الحجج المذكورة في التوحيد وهي:

أولا: الحجة من طريق بدء الخلقة: في قوله تعالى (قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء).

ثانيا: الحجة من طريق عود الخلقة: في قوله تعالى (ولا تكسب كل نفس إلا عليها)

ثالثاً: الحجة من طريق نشأة الحياة الدنيا: في قوله تعالى (وهو الذي جعلكم
خلائف الأرض)، والله سبحانه العالم.

المحتويات

تتمة تفسير سورة المائدة ١٢٤-١

﴿ إِنَّمَا جَزَأُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فَكَفَرُوا بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْنَا فَمَن يَكْفِرْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَوْفَ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٣٢ ﴾ ٢-١

﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمْ اللَّهُمَّ أَنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ وَأَعِزِّ لَكَ مَا بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَأَمَّا الْكُفْرُ فَهُوَ سَرْمَدٌ لِّلْكَافِرِينَ لَّعَنَ اللَّهُ كُفْرَهُمْ وَلَهُمْ أُولَئِكَ الْوَحْشَةُ وَالْعَذَابُ ٣٤ ﴾ ٢

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَبْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ٣٥ ﴾ ٣-٢

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَرَوْا أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٦ ﴾ ٤-٣

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُخْرَجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٧ ﴾ ٥-٤

﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا ٣٨ ﴾ ٧-٥

﴿ فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيمٌ ٣٩ ﴾ ٧

﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ٤٠ ﴾ ٨-٧

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ ٤١ ﴾ ١٢-٨

﴿ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِن جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِأَمْرِ اللَّهِ فَإِن تَاخَّرْنَا فَذَلِكَ عَصَاكُمُ ٤٢ ﴾ ١٤-١٢

﴿ وَكَيْفَ يُحْكِمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ ٤٣ ﴾ ١٥-١٤

﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ ٤٤ ﴾ ١٨-١٥

﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ٤٥ ﴾ ١٩-١٨

- ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَرِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ... ﴾ ٤٦ ٢١-٢٠
- ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ ... ﴾ ٤٧ ٢٢
- ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ ... ﴾ ٤٨ ٢٥-٢٢
- ﴿ وَإِنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ ... ﴾ ٤٩ ٢٦-٢٥
- ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ٥٠ ٢٧-٢٦
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ ... ﴾ ٥١ ٢٨-٢٧
- ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَنْ تُصِيبَنَا ... ﴾ ٥٢ ٣٠-٢٩
- ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ ... ﴾ ٥٣ ٣١-٣٠
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ ... ﴾ ٥٤ ٣٥-٣١
- ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ ... ﴾ ٥٥ ٣٨-٣٥
- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ ٥٦ ٣٩-٣٨
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا ... ﴾ ٥٧ ٤٠-٣٩
- ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوعًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ٥٨ ٤١-٤٠
- ﴿ قُلْ يَأَيُّهَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَعْقِلُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا ... ﴾ ٥٩ ٤٢-٤١
- ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ ... ﴾ ٦٠ ٤٤-٤٢

- ﴿ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ ءَالَهُ ... ﴾ ٦١ ٤٤-٤٥
- ﴿ وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسْرِعُونَ فِي آلَائِهِمُ وَالْعُدُونِ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَبِئْسَ ... ﴾ ٦٢ ٤٥
- ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِلَافُ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ ... ﴾ ٦٣ ٤٥-٤٦
- ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ بِلَىٰ ... ﴾ ٦٤ ٤٦-٥٠
- ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ ... ﴾ ٦٥ ٥٠
- ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ ... ﴾ ٦٦ ٥١-٥٢
- ﴿ * يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ بَلَغَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَفْعَلْ ... ﴾ ٦٧ ٥٢-٥٥
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُفِيمُوا التَّوْرَةَ ... ﴾ ٦٨ ٥٥-٥٧
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالْتَصِرِي مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ ... ﴾ ٦٩ ٥٧-٥٨
- ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَكُمْ ... ﴾ ٧٠ ٥٨-٥٩
- ﴿ وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا ... ﴾ ٧١ ٥٩-٦٠
- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ ... ﴾ ٧٢ ٦٠-٦٢
- ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا ... ﴾ ٧٣ ٦٢-٦٥
- ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ... ﴾ ٧٤ ٦٥
- ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ ... ﴾ ٧٥ ٦٥-٦٧

- ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ ... ﴾ ٧٦ ﴿ ... ٦٧
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ ... ﴾ ٧٧ ﴿ ... ٦٨-٦٩
- ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ ... ﴾ ٧٨ ﴿ ... ٦٩-٧٠
- ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا ... ﴾ ٧٩ ﴿ ... ٧٠-٧١
- ﴿ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ ... ﴾ ٨٠ ﴿ ... ٧١-٧٢
- ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِ مَا ... ﴾ ٨١ ﴿ ... ٧٢
- ﴿ * لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ ... ﴾ ٨٢ ﴿ ... ٧٢-٧٤
- ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ ... ﴾ ٨٣ ﴿ ... ٧٤-٧٥
- ﴿ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا ... ﴾ ٨٤ ﴿ ... ٧٥-٧٦
- ﴿ فَاتَّبَعَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ... ﴾ ٨٥ ﴿ ... ٧٦-٧٧
- ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ... ﴾ ٨٦ ﴿ ... ٧٧
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَاتٍ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ ... ﴾ ٨٧ ﴿ ... ٧٧-٧٨
- ﴿ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ ... ﴾ ٨٨ ﴿ ... ٧٩
- ﴿ لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمْ ... ﴾ ٨٩ ﴿ ... ٧٩-٨٢
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ ... ﴾ ٩٠ ﴿ ... ٨٢-٨٤

- ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ ... ﴾ ٩١ ٨٥-٨٤
- ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا ... ﴾ ٩٢ ٨٦-٨٥
- ﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ... ﴾ ٩٣ ٨٨-٨٦
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بَشْيَاءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ ... ﴾ ٩٤ ٨٩-٨٨
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ ... ﴾ ٩٥ ٩٢-٩٠
- ﴿ أَجَلٌ لَّكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحَرْمٌ ... ﴾ ٩٦ ٩٣-٩٢
- ﴿ * جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ ... ﴾ ٩٧ ٩٤-٩٣
- ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ... ﴾ ٩٨ ٩٤
- ﴿ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْمُنُونَ ... ﴾ ٩٩ ٩٥
- ﴿ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ ... ﴾ ١٠٠ ٩٦
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءٍ إِنْ بُدَّ لَكُمْ سَأُولُكُمْ ... ﴾ ١٠١ ٩٨-٩٦
- ﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ... ﴾ ١٠٢ ٩٩-٩٨
- ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ... ﴾ ١٠٣ ١٠٠-٩٩
- ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا ... ﴾ ١٠٤ ١٠٢-١٠١
- ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِّنْ صَلَّ إِذَا ... ﴾ ١٠٥ ١٠٣-١٠٢

- ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ ... ﴾ ١٠٦-١٠٣
- ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ... ﴾ ١٠٧-١٠٦
- ﴿ ذَلِكَ أَذَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنَّ ... ﴾ ١٠٨-١٠٧
- ﴿ * يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا ... ﴾ ١٠٩-١٠٨
- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ ... ﴾ ١١٣-١٠٩
- ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَىٰ الْحَوَارِيِّينَ أَن ءَامِنُوا بِي وَبِرُسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا ... ﴾ ١١٤-١١٣ ...
- ﴿ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ ... ﴾ ١١٦-١١٤ ...
- ﴿ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنَّ قَدْ ... ﴾ ١١٧-١١٦
- ﴿ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ... ﴾ ١١٨-١١٧ ...
- ﴿ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ ... ﴾ ١١٩
- ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي ... ﴾ ١٢١-١١٩
- ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ءَإِنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ... ﴾ ١٢٢-١٢١
- ﴿ إِنِ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدَاكَ وَإِن تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ... ﴾ ١٢٣-١٢٢
- ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي ... ﴾ ١٢٤-١٢٣
- ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ... ﴾ ١٢٥-١٢٤ ...

تفسير سورة الأنعام ٣٤٩-١٢٥

- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ... ﴿١﴾ ﴾ ... ١٢٦-١٢٨
- ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ ... ﴿٢﴾ ﴾ ... ١٢٨-١٢٩
- ﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا ... ﴿٣﴾ ﴾ ... ١٢٩-١٣٠
- ﴿ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ... ﴿٤﴾ ﴾ ... ١٣٠-١٣١
- ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَتُهُمْ مَا كَانُوا بِهِ ... ﴿٥﴾ ﴾ ... ١٣٢-١٣٣
- ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ... ﴿٦﴾ ﴾ ... ١٣٣-١٣٦
- ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَامْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا ... ﴿٧﴾ ﴾ ... ١٣٦-١٣٧
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ ... ﴿٨﴾ ﴾ ... ١٣٧-١٣٨
- ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ ... ﴿٩﴾ ﴾ ... ١٣٨-١٣٩
- ﴿ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا ... ﴿١٠﴾ ﴾ ... ١٣٩-١٤٠
- ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ... ﴿١١﴾ ﴾ ... ١٤٠-١٤١
- ﴿ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ... ﴿١٢﴾ ﴾ ... ١٤١-١٤٢
- ﴿ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْإِيلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ... ﴿١٣﴾ ﴾ ... ١٤٣
- ﴿ قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ ... ﴿١٤﴾ ﴾ ... ١٤٣-١٤٥
- ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ... ﴿١٥﴾ ﴾ ... ١٤٥-١٤٦

- ﴿ مَن يُصِرَّ عَنْهُ يَوْمِيذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (١٦) ١٤٦
- ﴿ وَإِن يَمَسَّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ۖ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمَسَّكَ ... ﴾ (١٧) ١٤٧
- ﴿ وَهُوَ الْفَاحِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٨) ١٤٧-١٤٨
- ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۚ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ... ﴾ (١٩) ١٤٨-١٥١
- ﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ ۚ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا ... ﴾ (٢٠) ... ١٥١-١٥٢
- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢١) ١٥٣
- ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّا سُرَّاوُكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ ... ﴾ (٢٢) ... ١٥٤
- ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنَتُّهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾ (٢٣) ١٥٤-١٥٥
- ﴿ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ ۚ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ (٢٤) ١٥٥-١٥٦
- ﴿ وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۚ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمُ أَكِنَّةً ۚ أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي ... ﴾ (٢٥) ... ١٥٦-١٥٨
- ﴿ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْعَوْنَ عَنْهُ ۚ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (٢٦) .. ١٥٩-١٦٠
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتٍ ... ﴾ (٢٧) ... ١٦٠-١٦١
- ﴿ بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخَفُّونَ مِن قَبْلُ ۚ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ ... ﴾ (٢٨) ١٦١
- ﴿ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴾ (٢٩) ١٦٢
- ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۚ قَالُوا بَلَىٰ ... ﴾ (٣٠) ١٦٢-١٦٣
- ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً ... ﴾ (٣١) ١٦٣-١٦٥

- ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ... ﴾ ﴿٢٢﴾ ... ١٦٧-١٦٥
- ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ ... ﴾ ﴿٢٣﴾ ... ١٦٧-١٧٠
- ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا ... ﴾ ﴿٢٤﴾ ١٦٩-١٧٠
- ﴿ وَإِن كَانَ كِبَرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي ... ﴾ ﴿٢٥﴾ ١٧١-١٧٢
- ﴿ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿٢٦﴾ .. ١٧٢-١٧٣
- ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ ... ﴾ ﴿٢٧﴾ ١٧٣-١٧٥
- ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمٌّ أَمْثَلُكُمْ ... ﴾ ﴿٢٨﴾ ١٧٥-١٧٦
- ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَكُفِّرْ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَاءُ اللَّهُ ... ﴾ ﴿٢٩﴾ ١٧٧-١٧٨
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنِ اتَّكُمُ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيَّرَ اللَّهُ ... ﴾ ﴿٣٠﴾ ١٧٨-١٧٩
- ﴿ بَلْ إِلَٰهَهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنْسَوْنَ ... ﴾ ﴿٣١﴾ ... ١٧٩-١٨٠
- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ ... ﴾ ﴿٣٢﴾ ١٨٠-١٨١
- ﴿ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ... ﴾ ﴿٣٣﴾ ١٨١-١٨٢
- ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ ﴿٣٤﴾ ١٨٢-١٨٣
- ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿٣٥﴾ ١٨٣-١٨٤
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مِّن ... ﴾ ﴿٣٦﴾ ... ١٨٤-١٨٥
- ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنِ اتَّكُمُ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ ... ﴾ ﴿٣٧﴾ ... ١٨٥-١٨٦

- ﴿ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا ... ﴾ ١٨٧
- ﴿ وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ ١٨٧- ١٨٨
- ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا ... ﴾ ١٨٨- ١٩٠
- ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ ... ﴾ ١٩٠- ١٩١
- ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ مَا ... ﴾ ١٩١- ١٩٣
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ... ﴾ ١٩٣- ١٩٤
- ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ ... ﴾ ١٩٤- ١٩٥
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَتِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ١٩٥- ١٩٦
- ﴿ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا آتِيْعُ ... ﴾ ١٩٦- ١٩٧
- ﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ ۚ مَا عِنْدِي مَا ... ﴾ ١٩٧- ١٩٩
- ﴿ قُلْ لَوْ أَنِّي عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَفُضِّي الْأَمْرَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... ﴾ ١٩٩
- ﴿ ۞ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا ... ﴾ ١٩٩- ٢٠٢
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ ... ﴾ ٢٠٢- ٢٠٤
- ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا ... ﴾ ٢٠٤- ٢٠٦
- ﴿ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ ۖ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ ٢٠٦- ٢٠٧
- ﴿ قُلْ مَن يُنَجِّيكُمْ مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ... ﴾ ٢٠٨- ٢٠٩

- ﴿ قُلِ اللَّهُ يُبَيِّنُ لَكُمْ مَنَافِعَهَا وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَهَا فَسَدُّ لَكُمْ أَعْيُنَكُمْ عَنْهَا وَإِنَّكُمْ تَعْمُونَ ﴾ (٦٥) ٢٠٩
- ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ ﴾ (٦٥) ٢١١-٢٠٩
- ﴿ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴾ (٦٦) ٢١١
- ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ (٦٧) ٢١٢-٢١١
- ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي ﴾ (٦٨) ٢١٣-٢١٢
- ﴿ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَٰكِنْ ﴾ (٦٩) ٢١٤
- ﴿ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ ﴾ (٧٠) ٢١٧-٢١٤
- ﴿ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُردُّ عَلَى ﴾ (٧١) ٢٢٠-٢١٧
- ﴿ وَإِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (٧٢) ٢٢٠
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ ﴾ (٧٣) ٢٢٢-٢٢٠
- ﴿ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَاذَرَ اتَّخَذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي ﴾ (٧٤) ٢٢٤-٢٢٢
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ ﴾ (٧٥) ٢٢٥-٢٢٤
- ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ ﴾ (٧٦) ٢٢٧-٢٢٥
- ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَّمْ يَهْدِنِي ﴾ (٧٧) ٢٢٧
- ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا ﴾ (٧٨) ٢٢٩-٢٢٨
- ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ (٧٩) ٢٣٠-٢٢٩

- ﴿ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحِبُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ ... ﴾ ٢٣١-٢٣٢
- ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ ... ﴾ ٢٣٢-٢٣٥
- ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْآمَنُ وَهُمْ ... ﴾ ٢٣٥-٢٣٦
- ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ ... ﴾ ٢٣٦-٢٣٧
- ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن ... ﴾ ٢٣٧-٢٣٨
- ﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ... ﴾ ٢٣٨-٢٣٩
- ﴿ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِلْيَاسَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ... ﴾ ٢٣٩-٢٤٠
- ﴿ وَمِنَ ءَابَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَىٰ ... ﴾ ٢٤١
- ﴿ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِّنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا ... ﴾ ٢٤١-٢٤٢
- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ ... ﴾ ٢٤٢-٢٤٣
- ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهَدْيِهِمْ أَقْدِرُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ ... ﴾ ٢٤٣-٢٤٥
- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّنْ شَيْءٍ ... ﴾ ٢٤٥-٢٤٨
- ﴿ وَهَٰذَا كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ ... ﴾ ٢٤٨-٢٥٠
- ﴿ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ ... ﴾ ٢٥٠-٢٥٣
- ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا ... ﴾ ٢٥٣-٢٥٥
- ﴿ * إِنَّ اللَّهَ قَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ... ﴾ ٢٥٥-٢٥٧

- ﴿ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ﴾ ﴿٩٦﴾ ٢٥٨-٢٥٧
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ ﴾ ﴿٩٧﴾ ٢٥٩-٢٦٠
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا... ﴾ ﴿٩٨﴾ ٢٦٠
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ... ﴾ ﴿٩٩﴾ ٢٦١-١٦٣
- ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِبْنَ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُم مِّن بَنِينٍ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ... ﴾ ﴿١٠٠﴾ ٢٦٤-٢٦٥
- ﴿ يَدْبُعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَتَى يَكُونُ لَهُ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ ... ﴾ ﴿١٠١﴾ ٢٦٥-٢٦٦
- ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ ... ﴾ ﴿١٠٢﴾ ٢٦٦-٢٦٧
- ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ... ﴾ ﴿١٠٣﴾ ٢٦٧-٢٦٨
- ﴿ قَدْ جَاءَكُم بِصَٰبِرٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ ﴿١٠٤﴾ ٢٦٩-٢٧٠
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ ﴾ ﴿١٠٥﴾ ٢٧٠-٢٧١
- ﴿ أَتَتَّبِعُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِّن رَّبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ﴿١٠٦﴾ ٢٧١
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ ... ﴾ ﴿١٠٧﴾ ٢٧١-٢٧٢
- ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ ... ﴾ ﴿١٠٨﴾ ٢٧٢-٢٧٣
- ﴿ وَأَفْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ ءَايَةٌ لِّیُؤْمِنَنَّ بِهَا قُلْ ... ﴾ ﴿١٠٩﴾ ٢٧٤-٢٧٥
- ﴿ وَتَقَلِّبْ أَعْيُنَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ؕ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ ... ﴾ ﴿١١٠﴾ ٢٧٥
- ﴿ * وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَكَامَهُمُ الْمَوْتُ وَخَشَرْنَا ... ﴾ ﴿١١١﴾ ٢٧٦-٢٧٧

- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ... ﴾ ﴿١١٣﴾ ٢٧٧-٢٧٩
- ﴿ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُواهُ وَيُفْتَرُوا... ﴾ ﴿١١٣﴾ ٢٧٩-٢٨٠
- ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ... ﴾ ﴿١١٤﴾ ٢٨٠-٢٨٢
- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ... ﴾ ﴿١١٥﴾ ٢٨٢-٢٨٣
- ﴿ وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ... ﴾ ﴿١١٦﴾ ٢٨٣-٢٨٤
- ﴿ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١١٧﴾ ٢٨٤-٢٨٥
- ﴿ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿١١٨﴾ ٢٨٥-٢٨٦
- ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ... ﴾ ﴿١١٩﴾ ٢٨٦-٢٨٧
- ﴿ وَذَرُوا ظَهَرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ... ﴾ ﴿١٢٠﴾ ٢٨٧-٢٨٨
- ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ... ﴾ ﴿١٢١﴾ ٢٨٨-٢٨٩
- ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ... ﴾ ﴿١٢٢﴾ ٢٩٠-٢٩١
- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا... ﴾ ﴿١٢٣﴾ ٢٩١-٢٩٢
- ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ... ﴾ ﴿١٢٤﴾ ٢٩٢-٢٩٣
- ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ... ﴾ ﴿١٢٥﴾ ٢٩٤-٢٩٥
- ﴿ وَهَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا آيَاتِ الْقَوْمِ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ﴿١٢٦﴾ ٢٩٦
- ﴿ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٧﴾ ٢٩٦-٢٩٧

- ﴿ وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا يَمَعَشَرَ الْجَنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ... ﴾ ﴿١٢٨﴾ ... ٢٩٧-٣٠٠
- ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَيِّ بِعُضِّ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ﴿١٢٩﴾ ٣٠٠
- ﴿ يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ ... ﴾ ﴿١٣٠﴾ ٣٠٠-٣٠٢
- ﴿ ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَفُوفٌ ﴾ ﴿١٣١﴾ .. ٣٠٢-٣٠٣
- ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٣٢﴾ ٣٠٣
- ﴿ وَرَبُّكَ الْعَنِيِّ دُو الْرَحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ... ﴾ ﴿١٣٣﴾ ٣٠٤-٣٠٥
- ﴿ إِنْ مَا نُوعِدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ ﴿١٣٤﴾ ٣٠٥-٣٠٦
- ﴿ قُلْ يَتَّقُوا أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ ... ﴾ ﴿١٣٥﴾ ٣٠٦-٣٠٧
- ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا... ﴾ ﴿١٣٦﴾ ... ٣٠٧-٣٠٨
- ﴿ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ ... ﴾ ﴿١٣٧﴾ ٣٠٩-٣١٠
- ﴿ وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَمُ وَحَرَّتْ حِجْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ ... ﴾ ﴿١٣٨﴾ ٣١٠-٣١١
- ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِدُكُونِنَا ... ﴾ ﴿١٣٩﴾ ٣١١-٣١٢
- ﴿ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا ... ﴾ ﴿١٤٠﴾ ... ٣١٢-٣١٣
- ﴿ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ ... ﴾ ﴿١٤١﴾ ... ٣١٣-٣١٥
- ﴿ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةٌ وَفَرَسَاتٌ كُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ... ﴾ ﴿١٤٢﴾ ٣١٥-٣١٦
- ﴿ ثَمَنِيَّةٌ أَزْوَاجٌ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ قُلْ ... ﴾ ﴿١٤٣﴾ ٣١٦-٣١٧

- ﴿ وَمِنَ الْإِيلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَالْذَكَرَيْنِ حَرَّمَ... ﴾ ﴿١٤٤﴾ ... ٣١٧-٣١٩
- ﴿ قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ... ﴾ ﴿١٤٥﴾ ... ٣١٩-٣٢٠
- ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ... ﴾ ﴿١٤٦﴾ ٣٢٠-٣٢٢
- ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ... ﴾ ﴿١٤٧﴾ ... ٣٢٢-٣٢٣
- ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا... ﴾ ﴿١٤٨﴾ ٣٢٣-٣٢٥
- ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَلِيغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ﴿١٤٩﴾ ... ٣٢٥-٣٢٦
- ﴿ قُلْ هَلُمْ شُهَدَاءَ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ... ﴾ ﴿١٥٠﴾ ... ٣٢٦-٣٢٧
- ﴿ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا... ﴾ ﴿١٥١﴾ ٣٢٧-٣٣١
- ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا... ﴾ ﴿١٥٢﴾ ... ٣٣١-٣٣٣
- ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ... ﴾ ﴿١٥٣﴾ ... ٣٣٣-٣٣٥
- ﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَقْصِيلاً... ﴾ ﴿١٥٤﴾ ... ٣٣٥-٣٣٦
- ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ ﴿١٥٥﴾ ... ٣٣٦-٣٣٧
- ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا... ﴾ ﴿١٥٦﴾ ... ٣٣٧-٣٣٨
- ﴿ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ... ﴾ ﴿١٥٧﴾ ... ٣٣٨-٣٤٠
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ... ﴾ ﴿١٥٨﴾ ٣٤٠-٣٤٢
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا... ﴾ ﴿١٥٩﴾ ٣٤٢-٣٤٣

﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا ... ﴾ (١٦٠) ٣٤٤-٣٤٣

﴿ قُلْ إِنِّي هَدَيْتَنِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ (١٦١) ٣٤٥-٣٤٤

﴿ قُلْ إِن صَلَاحِي وَنُصْحِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١٦٢) ٣٤٦-٣٤٥

﴿ لَا شَرِيكَ لَهُ ۚ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (١٦٣) ٣٤٦

﴿ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَعْبِيَ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ... ﴾ (١٦٤) ٣٤٦-٣٤٥

﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ ... ﴾ (١٦٥) ٣٤٧-٣٤٦